#### وزارة المعارف العمومية

# ان في السين المرائح في المنظمة المحروبية المعروبية المعروبية المعروبية المعروبية المعروبية المعروبية المعروبية

تاليف محمد رفعت مراقب تعليم البنات المساعد (والحائز لدرجة أستاذنى الآدات ودرسة الشرف بن الطبقة الاولى فى المتاريخ الحديث وعل منحة اللجت العلمي من جامعة ليفربولو)

الجازء الأوّل \_ للدارس العالية (من سنة ١٧٩٨ النّاسنة ١٨٤٩ م)

حق هذه الطبعة محفوظ للوزارة

القامة ة طبع بالطبب الأميرية بهولا ق ١٩٣٤

....

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

JUA.

,

.

اهداءات ، ، ، ۲ م<u>كتب</u> ا.د. محمد حسين ميك ل رئيس مجلس الشيوخ السابق

#### وزارة المعارف العمومية

# الني مُحْدِلِيتِ المِنْ الْمُعَالِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعِلَّيِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعِلِي الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعِلَّى الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعِلَّيِّ الْمُعَالِينِ الْمُعِلَّى الْمُعِلَّى الْمُعَالِينِ الْمُعِلَّى الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِي الْمُعِلَّى الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعِلَّمِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعِلِي الْمُعِلَّى الْمُعِيلِي الْمُعِلَّى الْمُعِلَّى الْمُعِلَّى الْمُعِلَّى الْمُعِلَِّ

# في لأزمنه المحديث

فألف

محمد رفعت

مراقب تعليم البنات المساعد (والحائز لدرجة أستاذ في الآداب ودرجة الشرف من الطبقة الأولى

( والحائر لدرجه استاد في الإداب ودرجه السرف من الطبعه الموق في التـــار يخ الحديث وعلى منحة البحث العلمي من جامعة ليڤر بول )

الجزء الأقل \_ للمدارس العالية (من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٤٩ م)



حق هذه الطبعة محموظ للوزارة

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق المحافظة المحافظة

Converted by Tiff Combine - (n	o stamps are applied by registered vers	ion)			
				 54	
•					
				į	
	•				
			,		

•

•

,	 	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	 	
t				

Conve

erted by Liff Combine - (no stamps are applied by registered version)



مجد على الأكبر

# بسسم الله الرحمن الرحيم

#### مقدمة الطبعة الأولى

أقدّم كتابى إلى قراء التاريخ وأنا شاعر بأنى بعيد عن الغرض الذى كنت أرمى اليه . ولكننى وجدت الاحجام عن نشر ما تهيأ لدى لفائدة أبناء وطنى ، لمجرد الاعتقاد بأن ذلك دون ما أبغى من الكمال ، ضربا من الجمود العلمى لايتفق مع سنة النشوء والترقى فى العلوم الحديثة ،التى يتوارثها العلماء ناقصة فلا يلبثون أن يورّثوها غيرهم وافية بقدر المستطاع ، إذ العصمة والكمال لله وحده .

لذلك أقدمت على نشر أبحاثى التي يرجع البدء فيها إلى سنة ١٩١٤ أيام أن كنت أواصل الدراسة في انجلترا في مكتبة و المتحف البريطاني ودار وسجلات الحكومة " بلندره . ولقد قصدت إلى أن يكون بحثى مستمدا من أصوله الرسمية ومن المصادر الموثوق بها حتى يحوز الصفة العلمية التي تحتمها الجامعات الأوربية أولا وحتى يتسنى لمصرى مثلي يفهم الروح المصرية أن يضع كتابا مستقلا في الموضوع بحيث لا يكون جل اعتماده فيه على ما يكتبه العلماء الأوربيون بل على المصادر التي يأخذ عنها هؤلاء العلماء رأسا .

وما أكثروأعظم ما يعثر عليه الباحث المنقب من أصول ومادة فى تاريخ مصر الحديث ، فسجلات وزارة الحارجية بلندره ، ناهيك بما فى العواصم الأخرى ، حافلة بجحلدات مكدسة بعضها فوق بعض حاوية لجميع أنواع الرسائل الرسمية والخاصة والسرية والتقارير والجرائد وغير ذلك مما يتطلب عدة سنوات للفحص عنه فحصا دقيقا . وقد انتهزت فرصة تعينى طالبا

للبحث العلمى فى لندره باتفاق جامعة ليڤر بول مع وزارة المعارف المصرية فقضيت عام ١٩١٦ فى درس الوثائق الهامة الخاصة بحالة مصر فى عهد محمد على . ثم حضرت مصر وواصلت بحثى فى المكتبة السلطانية واستوفيت ماكان ناقصا وخاصة فى الجزء الأول من الكتاب .

وسيرى القارئ أنى توخيت فى كتابى أسلوبا سهلا ، وطريقة علمية فايتها الوحدة التاريخية ، واتجاه السياسة العامة ، وربط الأسباب بالمسببات ، وإغفال التفاصيل المملة ، وإبداء النقد على حسب الحقائق المقررة لا على حسب ما تمليه العواطف ؛ وهنا الفرق كل الفرق بين المؤلف الذى يجب أن يكتب ويبحث لأجل الحقيقة وبين السياسي الذى يكتب ويجادل إرضاء لعواطفه الخاصة .

وغاية رجائى أن يفى الكتاب بحاجة المتعلمين إلى كتاب فى التاريخ على الطرق العلمية الحديثة ، وأن يتقدّم العاملون للبحث والكتابة العلمية فى موضوعاتهم التاريخية وأن يتكرم أولو الفضل بموافاتى بما يعنّ لهم من الآراء ووجوه الاصلاح التاريخية فى الكتاب .

والله أسأل أن يوفقني الى إتمام الجزءين الباقيين من الكتاب وأن يوفقنا جميعا الى خدمة بلادنا العزيزة بالصدق والاخلاص م

محمد رفعت

القاهرة في أول رمضان سنة ١٣٣٩ ( الموافق ٩ مايو سنة ٢٠ ١٩)

# تعلیقات بعض الجرائد علی تاریخ مصر السیاسی فی الازمنة الحباضرة

جاء فى جريدة الأخبار بتاريخ ٢٤ ما يوسنة ١٩٢١ :

و بين أيدينا كتب ألفت في التاريخ المصرى وهذه الكتب على تعددها تكاد تكون كتابا واحدا كثير الطبعات ...

وإنا اليوم في المرة الأولى في عهد هذه النهضة نرى من كتاب وتاريخ مصر السياسي" الذي أخرجه المؤرخ المصرى الفاضل عهد رفعت ... أرق أنموذج عملي ممكر. للتأليف في هذه المادة فان هذا المؤلف في التاريخ لم يكن في شيء من أولئك المقلدين الذين حذا بعضهم حذو بعض حتى تشابهوا وحتى كان آخرهم صورة لأولهم . بل هو قبل أن يؤلف كتابه هذا ألف طريقة مثلي لوضعه بحيث يكون في نفسه مادة علمية صافية من كل شائبة ويكون كذلك حجة قاطعة لكل لبس أو ابهام يحيط بأية مسألة من مسائل التاريخ .

ونحن نشكر لحضرته كل الشكر هـذه الخدمة العلمية التي لا ينقضي برها ولا ينقطع شكرها ، نشكر له تلك اليد البيضاء ونرجو أن يوفق الى إتمـام ما بدأ فيه بمثل تلك العناية الجميلة " .

#### وجاء فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠ ما يو سنة ١٩٢١ :

وقيد بذل المؤلف عناية كبرى فى البحث والاستقصاء فرجع إلى مصادر وقد بذل المؤلف عناية كبرى فى البحث والاستقصاء فرجع إلى مصادر تاريخية عديدة ومحررات رسمية كثيرة للالمام بموضوعه من جميع أطرافه لأنه لم يقتصر على ايراد الوقائع على سبيل الرواية بل تخطى الرواية إلى بحث العلل والمعلولات وماترتب على ذلك من النتائج السياسية ... الخ" .

#### وجاً. في مجلة المقتطف عدد يونيه سنة ١٩٢١ :

وو تماب ووراريخ مصر السياسي تأليف الأستاذ مجد رفعت ... وقد قال في مقدمته إنه اعتمد في جمعه وتأليفه على المصادر الموثوق بها ... وأنه توخى أسلوبا سهلا وطريقة علمية غايتها الوحدة التاريخية وربط الأسباب بالمسببات واغفال التفاصيل المملة وإبداء النقد على حسب الحقائق المقررة لا على حسب ما تمليه العواطف .

لا يكاد القارئ يتصفح أربع صفحات من الفصل الأول من هـذا الكتاب حتى تبدو له الأدلة على ما قاله المؤلف ... الخ الخ ".

# فهرس الكتاب

صفحة														
١				•••		:	فرنسيا	لهلة ال	نبل ا-	مصرا			الأول	لعصل
71				•••									الثاني	لفصل
۲۹													الثالث	لفصل
٤٩	•••	•••		•••		ون	. نا بلي	ية بعد	الفرئس	الجملة	_		الرابع	الفصل
٦1	•••	•••	•••				ىية	الفرنس	الجلة	نتابج	_	(	الخا مسر	الفصل
٦٧				•••						-		L	السادس	لفصل
٨٦				•••									السابع	الفصل
١٠٩													الثا من	
177				يونان									التاسع	المصل
١٤٨	•••												العا شر	
139											4		الحادي	
۲۸،													الثانى .	
144													الثالث	
719													الرابع	
777													دی - (۱)	
7 7 9													۱۱ <i>)</i> (ب) -	
777													ر (ج) -	
 T T V													ر بي) ( د ) -	
739											,		(a) -	
1 1 1	• • •		• • • •	-	ی .		J		1-1-	(		•	\_/	,

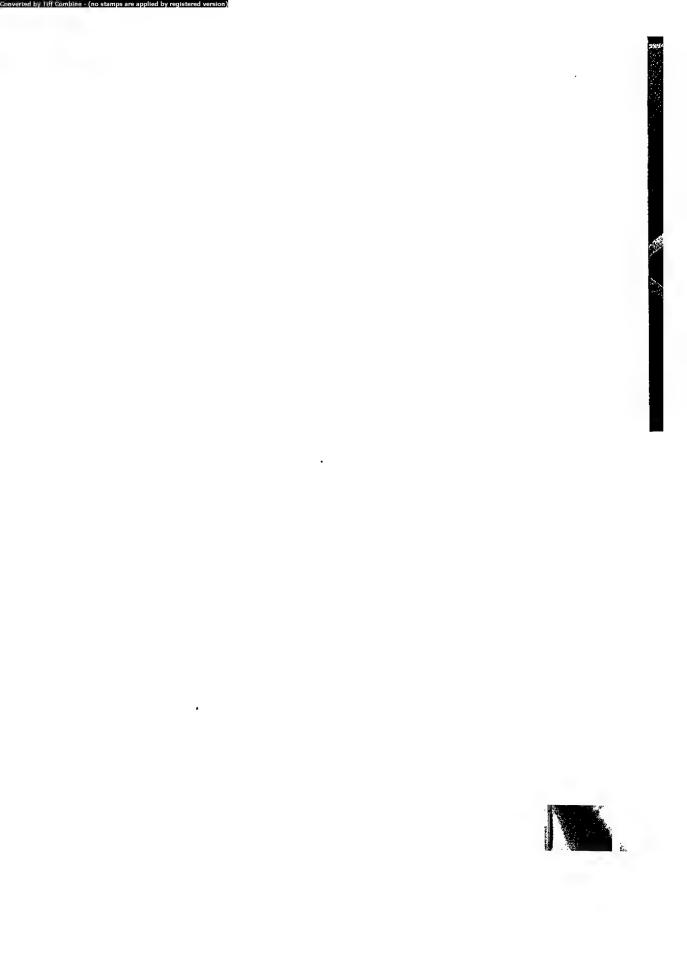
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

,

----

# فهرس الصــور

أمام صفح									•						
رج)	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••		•••	•••	كبير	. على ال	مر
٧															
٨	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	• • •	•••	•••	ورة	يا ف
Y 4		•••	•••			•••	•••	•••		•••	•••	•••	نا پرت	ليون پو	ناي
1 - 1															
110															
														اهیم با	
١٧٠	***	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••		•••	•••	• • •	•••	 لرستون	بالم
														ى فىلىب	
														للعة من	
***												-			



#### ( 신 )

# فهرس الخرائط

أمام صف								
37	•••		•••	•••		•••	— خريطة الحلة الفرنسية في مصر وسوريا	
۳٦	•••			•••	•••		— « موقعة أبى قير البحرية	١
47		•••	•••	•••	•••	•••	<ul> <li>« اتساع نفوذ مجد على وبلاد العرب</li> </ul>	١
1 • 1		•••	•••	•••	•••		— « فتح السودان	:
۱۳۷			•••	• •		•••	— « شبه جزيرة البلقان والمورة	
							ما الفام	

by Tiff Co

.

## الفصل الأول مصر قبل الحملة الفرنسية

#### الحالة السياسية

#### تمهيد:

تعاقبت على مصر منذ الفتح العربي حكومات أجنبية عدة فمن الطولونيين والأخشيديين الى الفاطميين ثم الأيو بيين (١) وجميعهم مر عناصر غير مصرية ، ولكنهم سرعان ما كانوا يتأثرون بالبيئة المصرية ويند بجون في مدنيتها فيعلنون استقلالهم ويطبعون حكومتهم بالطابع المصري ، وهكذا احتفظت البلاد بمميزاتها الاستقلالية طول العصور الوسطى ووصلت فيها الى درجة عظيمة من الرقى ، ثم اغتصب و المماليك " الحكم مع الأيو بيين سنة ، ١٢٥ فكموا البلاد مستقلين أيضا حكما مستنيرا لا بأس به ولقبوا أفسمهم سلاطين واستطاعوا الاحتفاظ بأملاك مصر في الشام ، حتى ظهرت قوة الأتراك العثمانيين واتجهت أنظار السلطان و سليم الأول " نحو الشرق فيهز قوة للقضاء على خصومه : الشاه اسماعيل في فارس والسلطان و الغورى " في مصر ، فانتصر سليم على الفرس أولا ، وعلى أثر هذا الانتصار توترت العلاقات بين سليم والغورى حليف الشاه اسماعيل ، فأعد الغورى حملة كبيرة في سنة ١٥١ وخرج قاصدا حدود آسيا الصغرى ، والتق الفريقان قرب حلب في موقعة و مرج دابق " فانهزم المصريون والتق الفريقان قرب حلب في موقعة و مرج دابق " فانهزم المصريون

<sup>(</sup>۱) الطولونيون (۸۷۰ ــ ۵۰۰ م) ، والاخشيديون (۹۳۲ ــ ۹۶۸ م) ، والفاطميون (۹۳۲ ــ ۱۲۷۱ م) . والأيو بيون (۱۲۷۱ ــ ۱۲۰۰ م) .

لقلة عددهم وسوء أسلحتهم ونظامهم ولظهور الشحناء بين صفوف المماليك وقتل الغورى فى هذه المعركة واستولى العثمانيون على مدن الشام وحصونها ثم دخلوا مصر وحاول وو طومان باى " ابن أخى الغورى الذى خلفه حاكما على مصر مقاومة العثمانيين فانهرم فى عدة مواقع آخرها قرب وو وردان " سنة ١٥١٧ م وقبض السلطان على طومان باى وشنقه عند باب زويلة ، وهكذا فقدت مصر استقلالها وصارت أيالة عثمانية .

#### نظام الحكم العثاني في مصر:

بعد أن فرغ سليم من جمع ومصادرة التحف والنفائس والجواهر التى كانت تملاً قصور سلاطين الماليك وخائنهم وضع نظاما يسير عليه الحكم في مصر بعد مفادرته البلاد ، وقد قصد السلطان سليم من النظام الذى وضعه إلى غرض أساسى واحد هو ضمان بقاء تبعية مصر للدولة فعمل لهذا القصد وحده دون الاهتام بمصالح البلاد وترقية مواردها ، ولما لم يكن للعثمانيين مدنية أو آداب خاصة يمكن ادخالها وترويجها في البلاد التي فتحوها لم يترك نظام حكمهم في البلاد أثرا ظاهرا باقيا على الرغم من طول بقائهم بالبلاد التي فتحوها .

#### الباشا:

رأى السلطان أن مصر بمعزل عن أملاك الدولة وأن بعدها عن مقر الحكم في الاستانة قد يساعد حكامها على الاستقلال عن الباب العالى فوضع نظاماً يقضى بتو زيع السلطة على ثلاث هيئات يكون له من تشاحنها ودوام تنافسها ما يضمن استمرار ضعف هذه الهيئات والتجائها الى الملاذ الأعلى بالقسطنطينية ، فعل السلطة الرئيسية في يد وال أو حاكم بلقب و باشا " يعينه السلطان لمدة قصيرة تتراوح عادة بين سنة وثلاث ومقره القلعة ووظيفته تمثيل الباب العالى وتبليغ وتنفيذ أوامره و إرسال الجزية وقيادة الجند في الحرب.

#### الديوان:

ويعاون الباشا في الحكم ديوان مكون من ضباط جيش الاحتلال الذي كان يتألف من سبع فرق أو و أوجقه " واحدها و وجاق " وتتكون هذه الفرق من جنود مختلفة الأجناس أهمها فرقة الانكشارية اذ كان لأغا الانكشارية شأن ومركز ليس لغيره من ضباط الفرق. وللديوان حق الموافقة على قرارات الباشا ومراجعته فيا لم يوافق عليه من القرارات ، وله عند الاقتضاء حق عزل الباشا والاتصال رأسا بالباب العالى ، وعند البحث في المسائل الهامة يجتمع الديوان و يضاف اليه كبار العلماء والمشايخ والأعيان ولا ينعقد الديوان الكبير مذه الهيئة الا نادرا .

#### أمراء المماليك :

أما السلطة الادارية المحلية فرأى السلطان أن يبقيها في يد أمراء المماليك أو ود البكوات " وكان في مقدوره أن يقضى عليهم بعد انتصاره على وطومان باى " ولكنه تركهم ليحفظوا التوازن بين الوالى والديوان، فعين منهم مديرين أو سناجق وكشاف في الأقاليم .

وأنشأ السلطان ديوانا خاصا للحاسبة وتسجيل الأملاك ونقلها وجمع الضرائب ، وعرف هذا الديوان و بديوان الأفندية "

استمر هذا النظام نافذا نحو قرن كانت فيه الدولة العثمانية حافظة لمركزها وسمعتها الحربية بين دول أور با ، فلما ظهر ضعف تركيا الحربي وانتشر الفساد والاضطراب داخل الدولة لم يعد النظام الذي وضعه السلاطين العظام سليم وابنه سليمان نافذا بل سطت عليه يد المسخ والتغيير وتدهورت الحال تدريجا حتى نمت سلطة المماليك رغم أنف ممشلي السلطان ، وجمعوا النقود في أيديهم وقصروا سلطة الباب العالى على الاسم والحطبة والجزية .

#### ضعف الوالى:

أما الوالى فصار مقامه بمصر تحت رحمة الماليك ، يقضى أيامه شبه سجين فى القلعة لا هم له سوى جمع المال بكل الطرق الممكنة قبل أن يستدعيه السلطان من البلاد ، فاذا أساء التصرف أو ساءت علاقته مع الماليك أرسلوا اليه رسولا يقرأ عليه كلمة و انزل ياباشا " و يطوى البساط أمامه فاذا هو وال معزول لامندوحة له عن مغادرة البلاد .

#### ضعف الديوان:

أما ضباط الجيش وفرقه وهم أعضاء الديوان فقد تدهورت حالتهم الأدبية وانحطت أخلاقهم على أثر ضعف الباب العالى وانهزاماته ، وأفقدتهم عيشة الخمول والكسل صفاتهم الحربية الأولى فتقر بوا من بكوات الهاليك وهم إذ ذاك أصحاب الأمر داخل البلاد وقبلوا منهم الوظائف وصاروا من أنصار الماليك وأعوانهم ولم يمض وقت طويل حتى أصبح الديوان كله من صنائع الماليك وأتباعهم ، وهم الذين يجمعون ويسيرون أعضاءه متى وكيف شاءوا .

#### أصل الماليك:

أما البكوات المماليك الذين سادوا البلاد وعاثوا فيها فسادا فى أثناءالعهد العثمانى المظلم فكانوا من بقايا المماليك الجراكسة الذين حكموا البلاد قبل الفتح العثمانى. وأول من استخدم المماليك الأثراك فى مصر خلفاء الفاطميين الذين أرادوا التشبه بالعباسيين فى بغداد ثم جاء الأيو بيون فاشترى الملك والصالح بن أيوب "عددا يزيد على الألف من رقيق شمالى وغربى آسيا. وكان والمغول" فى ذلك الوقت قد جعلوا يخربون تلك الجهات ويدمرون قراها و يغيرون عليها بين آن وآخر ، فهاجر أهل البلاد ومعهم أولادهم و بناتهم وانتهز تجار الرقيق الفرصة فملئوا الأسواق بالفتيان والفتيات من أهل قفقاسيا وجورجيا والجركس .

#### الماليك البحرية:

و يعرف الماليك الأول الذين حكوا بعد الأيو بيين من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٣٨٦ بالماليك البحرية لأنهم أقاموا أولا فى جزيرة الروضة حيث بنى لهم الملك الصالح قصورا قرب المقياس ، وأكثر هؤلاء الماليك من الأتراك وسكان شمالى آسيا وكانوا فى حكهم يتبعون النظام الوراثى عادة واشتهر من سلاطينهم الظاهر بيبرس (١٢٩٣ – ١٣٤١ م) والناصر بن قلاوون ( ١٣٤١ م ) .

#### الماليك الجراكسة:

أما المماليك الجراكسة فأصلهم من جورجيا والقفقاز و بلاد الجركس وقد حكموا من سنة ١٣٨٢ الى سبنة ١٥١٧ ، وكانوا لايتقيدون بنظام خاص فى الحكم بل كان الأمر للغالب المنتصر من الأمراء . ومن أشهر سلاطينهم الظاهر برقوق (١٣٨٢ – ١٣٩٨) والغورى(١٥٠١ – ١٥١٦).

#### نشأة الماليك:

ولما كان المماليك مترفعين عن الاختلاط بأهل البلاد اعتمدوا في زواجهم وحروبهم على ماكانوا يشترونه من الرقيق الجركسي فتيانا وفتيات ، وكان الغلمان يدر بون منذ نعومة أظفارهم على أعمال الفروسية والحرب والصيد ويعلمون القراءة والكتابة والقرآن وشيئا من الدين ، فاذا كبر الغلمان وبلغوا الثامنة عشرة وظهرت لحاهم حررهم ساداتهم ومنحوهم مالا وأرضا وجوارى ورقوهم الى رتبة البكوية فيتزوجون ويؤسسون بيوتا يمائونها بالرقيق كسادتهم (١) ولم تكن الروابط بين السادة والأتباع شبيهة بالروابط الاقطاعية التي سادت في أور با في العصور الوسطى ، فهذه كانت مبنية

<sup>(</sup>۱) من الهاليك من كان يملك من ۲۰۰ الى ۳۰۰ ملوك . أما رؤسا ؤهم كابراهيم بك فكانوا بملكون من ۲۰۰ الى ۸۰۰ مملوك .

على أسس اقتصادية أهمها ماكية الأرض والولاء بين السيد وتابعه ، وأما العلاقات بين الماليك وأساتذتهم فلم تكن مؤسسة على أية قاعدة سوى مجرد الرغبة والشهوة الوقتية .

#### شيخ البلد:

ولما كان الوصول الى الزعامة والحكم لايجىء الاعن طريق التغاب والقوة كارف المماليك فى أثناء قيام دولتهم وفى العهد العثمانى فى حروب ومنازعات حزبية مستمرة غايتها الوصول الى الرياسة ، ويعرف رئيس الماليك وبشيخ البلد" ومقره القاهرة ومتى ظفر بأعدائه استولى على أموالهم وجواريهم وأملاكهم .

#### زى الماليك:

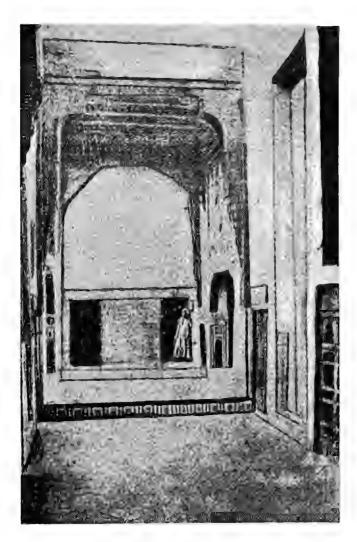
وكان المماليك يعيشون عيشة البدخ والنعيم فيرتدون المنسوجات الهندية الرفيعة ، وفوقها القفاطين الحريرية ذات الأكمام التى تتدلى الى أطراف أصابع اليد ثم الجبب ذات الفراء الغالية والسراويل الواسمعة من الجوخ الذى كان يرد من فرنسا ثم يتمنطقون بأحزمة حريرية مثبتة فيها الأسملحة المختلفة و يضعون على رءوسهم عمامات من النسيج الرفيع (الشاش) وكانوا يمتطون الخيول العربية الكريمة المطهمة والمزركشة بالفضة والذهب والأحجار الكريمة .

#### نظامهم الحربي :

ولم يكن للماليك نظام عسكرى بل كانوا يعتمدون على أنفسهم وأتباعهم للدفاع عن البلاد وكانوا جميعا من الفرسان. أما نظام المشاة فلم يعرفه المماليك وكان محتقرا فى نظرهم غير أنهم كانوا يأخذون معهم الى الحرب عددا كبيرا من الخدم المصريين يقومون بحاجاتهم وحاجات خيولهم. وإذا خرجوا للحرب لم يتبعوا قوانين خاصة بل اعتمدوا على الكر والفر السريع وعلى النزال

riff

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versio



قاعة استقبال داخل بيت أحد كبراء المماليك

الفردى . وكانوا كفرسان أور با فى العصور الوسطى اذا أعوزتهم الحروب الحقيقيسة فى الداخل أو فى الخارج لجئوا الى حفلات يقيمونها فى الموالد. والمواسم للسابقات الرياضية والنزال الفردى مستعملين العصى الطويلة بدلا من الأسلحة والمزاريق .

#### مساكنهم:

وكان المماليك يسكنون قصورا فحمة منسقة تنسيقا بديعا تتجلى فيه آثار الصناعة العربية الدقيقة ، يراها الناظر من الحارج فلا يأبه لها حتى اذا دخلها وجد لهما فناء واسعا تحيط به أشجار الفاكهة ومختلف الأزهار والعطور وتجرى فى عرصاته جداول الماء فيهب من فوقها النسيم رطبا حتى فى أشد ساعات القيظ ، أما الأثاث والرياش والمأكل والمشرب وموائد الطعام والجوارى الحسان ، فكانت مضرب الأمثال من حيث الوفرة وحسن التنسيق والجمال .

#### حال الفلاح:

مثل هذه العيشة عيشة البذخ والترف والنعيم التي كانت تكلف الواحد من بكوات المماليك ٢٥٠٠ جنيه كل سنة على المتوسط جعلتهم يبالغون في ظلم واضطهاد الفلاحين من أهل البلاد الذين صار واكرقيق الأرض ليس لهم حقوق أمام ساداتهم المماليك بل جلعملهم أرب يدبروا الثروة اللازمة لتهيئة أسباب النعيم والرفاهية للماليك وكانوا كلما ساءت الحمال الاقتصادية في البلد وزاد فقر الفلاح زادوه ظلما وقسوة وعدوانا ، وكلما اشتبهوا في ثروة واحد منهم عذبوه حتى يبتزوا منه آخر قرش ادخره. ومعنى ذلك أن ثمانية آلاف من المماليك ( وعددهم كان يتراوح بين ٢٠٠٠ في ويستغلون ثروتهم و يستعبدونهم لأجل مصالحهم الخاصة ، و بدلا من العمل و يستغلون ثروة مواردها عمل الماليك على نقصها وافسادها ولا غرابة على انماء ثروة البلاد ومواردها عمل الماليك على نقصها وافسادها ولا غرابة

في ذلك فالمماليك جماعة لم تربطهم بالبلاد روابط وطنية أو أسرية لأنهم اعتمدوا على ما كانوا يبتاعونه من الرقيق ولم يصاهروا الأهالى . زد على ذلك أن شغفهم بالحروب وأعمال الفروسية وعدم ملاءمة الجو لأكثرهم قد ساعد على تقصير أعمارهم وعدم بقاء أسراتهم طويلا في البلاد . لذلك لم يرحموا أهل البلاد ولم ينظروا في مصلحة أحد سوى ارضاء ملاذهم وشهواتهم .

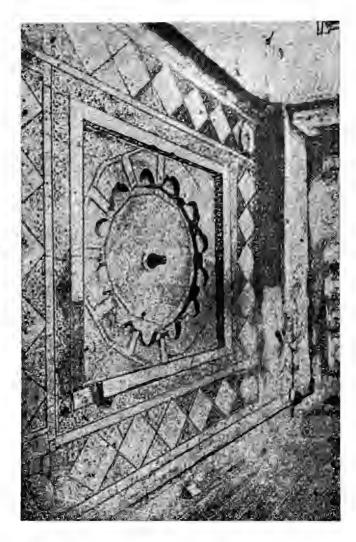
لذلك ساءت حال الفلاح وتناو بتمه المجاعات والأو بشة إذ كان قوام طعامه الذرة وقليل من البصل ، ولا يلبس سوى قميص من القطن أوالكتان ويسكن في أكواخ حقيرة قليلة المنافذ يعيش فيها هو وأسرته ومواشميه أضنك عيشة . ولولا جق البلاد الصحى وانتظام فيضان النيل الطبيعى وما عرف عن أمراء المماليك من الكرم لكان مصاب الفلاحين ونصيبهم من الحياة أدهى وأمر .

ومع ذلك وعلى الرغم من سوء حالة البلاد الاقتصادية استطاع المماليك أن يحتفظوا بمراكزهم و بقوتهم أكثر من قرنين بعد الفتح العثمانى. و يرجع تفقق المماليك و بقاؤهم فى مراكز ققتهم الى الأسباب الآتية :

#### أسباب تفوق الماليك

#### ١ - حيويتهم:

إن المماليك كانوا العنصر الحيّ القوى في البلاد دون العناصر والهيئات الأخرى ، فقد رأينا أن سلطة الوالى والجيش قد تدهو رت وانحطت وأن الأهالى لم يكونوا سوى آلات مسخرة لجمع الثروة في خزائن الماليك، و يظهر أن الماليك بسبب شغفهم بالحرب والنزال قد حافظوا على حيو يتهم ونشاطهم وبذلك برهنوا على صدق نظرية القائلين بأن الحرب أعظم مساعد على بقاء واستمرار أصلح العناصر وأقواها .



فافورة وسط بيت من بيوت أمراه الماليك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

The same of the sa

#### ٢ - عصبيتهم:

ولا ننسى قوة عصبية الماليك فانهم لم يندمجوا فى المصريين كغيرهم من الشعوب ، بل ظلوا محتفظين باستقلالهم الجنسى دائبين على مل صفوفهم بشراء الرقيق وتدريب ، ثم انهم وحدوا قواتهم برياسة زعيمهم شيخ البلد أو حاكم القاهرة ، وكانوا على الرغم من منازعاتهم وحروبهم الحزبية قوة واحدة فى وجه العدو المشترك كالأتراك وغيرهم من الأجانب .

### ٣ - اتصالم بالأهالي:

أضف الى ذلك أن الماليك كانوا أكثر الهيئات اتصالا بأهل البلاد وعاداتهم وعلما بلغتهم وحيلهم ، وانهم لذلك كانوا أعرف الناس بحكم داخلية البلاد ، وكان كثير من الهاليك على درجة عظيمة من التفقه في اللغة والشريعة والدين .

#### ع ــ ضعف ترکیا :

ثم ان هناك سببا لولاه ما استطاع الماليك أن يجمعوا السلطة فى أيديهم وذلك أن حالة الدولة فى الداخل والخارج قد حالت دون ارسال الحملات الكفيلة باسترجاع نفوذ الباب العالى .

#### ظهور على بك الكبير وإعلان الاستقلال :

وليس أدل على عظم قوة البكوات الماليك فى ذلك العهد من ظهور وعلى بك الكبير "الذى صار فى سنة ١٧٥٧ شيخا للبلد ثم مالبث أن أدرك الحقيقة الواقعة ، وهى أنه ليس للعثمانيين ما يبرر وجودهم فى البلاد وأن الماليك هم أصحاب السلطة الحقيقية ، فعمل على احراج الفكرة الى عالم الوجود ، فعمل يزيد فى اتباعه و يستميل البكوات اليه حتى استطاع الوجود ، فعمل يزيد فى اتباعه و يستميل البكوات اليه حتى استطاع

في سنة ١٧٦٦ أن يعان استقلاله فأرسل الباشا أو الوالى الى القسطنطينية وامتنع عن دفع الجزية وسك النقود باسمه واتخذ لنفسه لقب وسلطان مصر محددا بذلك عهد الماليك الأول ، ورأى على بك أن يقوى جانبه وخاصة من الناحية المعرضة لهجوم الأتراك فاتحد مع و شيخ ضاهر ما أمير عكا و بفضل هذا التحالف أمكنه أن يصد القوات العثمانية التي كان يجعها ولاة سوريا بأمر السلطان ضد على بك ، ولما أمن جانب العثمانيين انتهز فرصة اشتغال تركيا بحروبها في أور با فوجه عنايته الى اصلاح حال حكومته ، فعنى بالتجارة الخارجية وسهل مواصلاتها ، وأنزل الرعب في قلوب عربان الصيحراء فانتشر الأمن وحصل على المال اللازم لاعداد جيوشه وحملاته .

#### فتوحاته :

وكان على بك يعلم ما ينتاب الدولة العلية حينئذ من المحن والبلوى في الداخل والخارج. وانها لذلك لا تقوى على ارسال حملة الى مصر في وقت انحطت فيه سمعة تركيا الحربية أمام قوات النمسا و روسيا و بولونيا ، فجهز على بك حملة احتلت والمين " وأخرى احتلت وجده " و و مكه " ولم تمض ستة شهور حتى خضعت شبه جزيرة العرب وامتدت سلطة و على بك " على سواحل البحر الأحمر وتجارته وصارت جدة مركزا تجاريا هاما، واستحق على بك " على بك البحر الأحمر وتجارته وصارت جدة مركزا تجاريا هاما، واستحق على بك " على بك البحر الأحمر وتجارته وصارت بدة مركزا تجاريا هاما، واستحق على بك " على بك البحر الأحمر وخاقان البحرين " .

وفى سنة ١٧٦٩ أعد لفتح سوريا قوة تبلغ ٤٠٠٠٠ رجل من هؤلاء ٠٠٠٠ من فرسان المماليك و١٥٠٠٠ من البدو وعين لقيادتها أحب أتباعه اليه مجمد بك المعروف و بأبى الذهب ، وكان غرضه من هذه الحملة ضمان سلامة ملكه وتأمين حليفه و الشيخ ضاهر ، ضد تعدى قوات السلطان ومهد على بك الطريق لفتوحه في سوريا بتوثيق العلاقات وإحكام الروابط بينه وبين أعداء تركيا مثل الروس والبنادقة .

#### حملته فی سوریا :

ولما دخلت جنود على بك في سوريا انضمت اليه قوات الشيخ ضاهر، وسرعان ما استولت على غزة وناباس والقدس ويافا وصيدا، ثم حوصرت وحمشق " بضعة أيام وأخيراسلمت ، وكان هذا النصر منتهى ما وصلت اليه قوة على بك اذ استطاع الأتراك أن يعوضوا من خسارتهم في الحسرب تفوقهم في السياسة والدسيسة فاستمالوا الى جانبهم محمد بك أكبر قواد على بك ومنوه بتوليته حكومة القاهرة ، فعمل على كسب ثقة بعض الماليك وغادر الجميع سوريا فجأة ودخلوا مصر قاصدين الصعيد وهناك استعدوا لملاقاة على بك ، ولما كان أكثر اتباع على بك قد انضم الى محمد بك لم يجد بدا من مغادرة البلاد الى وعكا " ثانية ، وهناك بدأ يجهز جيشا لاسترداد أملاكه فنجح في سوريا ثم قصد مصر .

#### وفاته :

وكان مجمد بك قد أرصد له من يداهمه فى الطريق فوقع أسيرا وكانت صحته قد تأثرت كثيرا لشدة حنقه وغيظه فمات بعد أيام سنة ١٧٧٣. ويعد على بك أكبر الشخصيات التي ظهرت فى ذلك الجزء المظلم من تاريخ مصر، وأعماله تعد سابقة لأعمال مجمد على العظيم ، فلا غرابة اذن أن عرف اسمه فى التاريخ و بالكبير ، ولم يخلفه فى مواصلة مشروعاته أحد من المماليك.

#### خلفاء على بك الكبير:

ولما مات على بك صار و أبو الذهب "شيخا للبلد وعادت سلطة إلباب العالى الى ما كانت عليه فعادت الفوضى والأو بئة والحجاعات ولم يطل عهد أبى الذهب بل مات بعد عامين ، وتنازع ثلاثة من زعماء المماليك على مركز الرياسة بعده وهم البكوات و اسماعيل " و و ابراهيم " و و مراد " فاتحد الأخيران على الأول وأخذا السلطة بيدهما وصارا يتناو بان مشيخة البلد وامارة الحج أى السلطتين الادارية والحربية ، فكان ابراهيم بك عادة شيخ البلد ومراد بك أمير الحج وقائد الجند ، وجعلا يتنازعان و يسيئان حكومة البلاد حتى جاء الفرنسيون مصر سنة ١٧٩٨

#### الحالة الاقتصادية

#### أثر تحول طريق التجارة :

إن أهم حادث أثر في مصير البلاد السياسي والاقتصادي معا في مب العصور الحديثة هو تحول طريق التجارة بين أور با والشرق الى طر رأس الرجاء الصالح الذي كشفه وو فاسكوده جاما " البرتغالي سنة ٩٨. بعد أن كشف و كولمب " طريق الدنيا الجديدة ، فأحدث هذ الاستكشافان انقلابا ذا شأن في عالم التجارة اذ انتقل المركز التجاري العامن حوض البحر الأبيض المتوسط الى المحيط الأطلسي وكان لهذا الانتقاسوا أثر في تجارة الدول التي تمس سواحلها البحر الأبيض المتوسط كالبند، ومصر .

وكانت مصر قد وصلت في العصور الوسطى وهي التي تنتهى باتهم القرن الخامس عشر الى درجة عظيمة من الثروة والرقى في جميع شؤونها م كانت أور با في ذلك الوقت في حالة جهل و جمود عظيمين ، فقسد خلف أصحاب الأمر في مصر حينذاك آثارا بديعة من نماذج الصناعة العربية تدعلي ماكان لهم من وفرة المال وعظيم الجاه ، وما ذلك الالأن مواد ثروتهم لم تكن مقصورة على ماكانت تنتجه أرض مصر من المحصولاد الزراعية بل كانت خزائهم تفيض بأموال الأجانب من تجار و البندقية و و جنوه "الذين كانوا ينقلون متاجرهم من الشرق الى أور با ويدفعو عنها ضرائب ونفقات مختلفة كانت سببا في اثراء الحكومة والأهالي معا و كانت مصر حينذاك قابضة على طريق التجارة بين الشرق وأور با : طريؤ والسويس ومنها بطريق القوافل الى القاهرة ثم على السفن في فرع رشي والسويس ومنها بطريق القوافل الى القاهرة ثم على السفن في فرع رشي الى قرب الرحمانية على النيل ومنها الى الاسكندرية إما بطريق الترعة التي قرب الرحمانية على النيل ومنها الى الاسكندرية إما بطريق الترعة التو

كانت توصل بين النيل والاسكندرية ثم انسدت وبطل عملها واما على ظهور الدواب. ومن الاسكندرية تنقل الى موانى ايطاليا ومنها الى ممالك أوربا المختلفة .

فلما تحول طريق التجارة من مصر الى رأس الرجا الصالح حرمت مصر من مرور تجارة الشرق ونضبت منابع الثروة التى كانت تفيض عليها وتملاً خزائنها ذهبا وفضة ، تلك الثروة التى ظهرت آثارها فيما خلفته دولة المماليك فى مصر من مختلف الآثار البديعة مما دعا الناس الى القول بأن مصر يومئذ كانت مهد حكاية ألف ليلة وليلة .

وأراد البرتغاليون في ذلك الوقت أن يحولوا دون استعادة مصر مركزها التجارى ففكر المستكشف البرتغالى الشهير والبوكك Albuquerque "ف مشروع شيطانى يقضى بتحويل مجرى النيل حتى يصب في البحر الأحمر لا الأبيض المتوسط وحاول الغورى سلطان المماليك في مصر في ذلك الوقت بالاتفاق مع البنادقة القضاء على قوة البرتغال الاستعارية في الشرق فجمعوا أسطولا حاربوا به في البحر الأحمر فانتصروا في أول الأمن ثم دارت عليهم الدائرة وانهزموا انهزاما حاسما في موقعة ود ديو "أمام بمباى سنة ١٥٠٩، وبهذه الموقعة تقوى مركز البرتغال في الشرق ، و بدأت الدول الغربية التي وبهذه الموقعة تقوى مركز البرتغال في الشرق ، و بدأت الدول الغربية التي تمس سواحلها المحيط الأطلسي تبني نفوذها التجارى والاستعارى في الشرق . وظلت بعد ذلك نحو ثلاثة قرون في تأخر وعوز اقتصادى عام مما جعل وظلت بعد ذلك نحو ثلاثة قرون في تأخر وعوز اقتصادى عام مما جعل عهد العثانيين من أنكد عصور التاريخ في مصر .

ولما ضعفت صلات مصر بالخارج ولم يعد لمصر ذلك المركز التجارى الهام، ولم تعد البلاد تنتج للاً سواق الخارجية كثيراً بل اقتصرت في انتاجها على قدر حاجات أهلها وساداتها المماليك وقف دولاب العمل وقلت موارد البلاد وصارت الحكومة في حاجة زائدة الى المال تجبيه أو تصادره من الملاك والتجار الوطنيين والأجانب الذين يجرأون على احراز الثروة ، وكثيرا ما كان يشتد العوز في البلاد وتتهددها المجاعات والأمراض من حين الى

آخر لعدم عناية المماليك بشؤون الزراعة ، وهى المورد الوحيد لثروة البلاد و بالمنافع العامة كتطهير الترع واقامة القناطر وتحسين طرق الرى وتوزيع مياهه .

#### انحطاط الاسكندرية:

ولما كسدت التجارة انحط شأن الاسكندرية وصار سكانها لا يزيدون على ٨٠٠٠ نفس وقل عدد الأجانب فيها ، ومن بق بها صار مهددا بتعدى الحكومة واضطهادها ، وساعد على اضمحلال الاسكندرية انسداد الترعة التي كانت توصلها بفرع رشيد ، ووجود قرصان البحر بكثرة في البحر الأبيض والبحر الأحمر، وتعرض السفن في ميناء الاسكندرية للرياح دون وجود أي موئل لها .

#### علاقات مصر التجارية :

وعلى الرغم من ذلك لم تبق مصر دون تجارة خارجية ، فقد كانت بينها و بين تركيا وفرنسا والحبشه واليمن و بلاد العرب علاقات تجارية ، وقدقدر السائح الفرنسي وواني Volney الذي ساح في مصر وطبع سياحته سنة ١٧٨٧ قيمة تجارتها الخارجية أى قيمة صادراتها ووارداتها بمبلغ خمسة عشر مليونا من الجنيهات وهو مبلغ عظيم لا يخلو من المبالغة ، أما أهم صادرات البلاد فكانت الغلال والأرز والصمغ والبن والشمع مماكان يرد اليها من السودان والحبشة الخ ، وأهم الواردات المنسوجات الصوفية والحريرية والمعادن .

#### حالة الصناعة:

أما الصناعة فانها تأخرت لنفس الأسباب التى أثرت فى الحالة الاقتصادية العامة ، وأصبحت مقصورة على عدد قليل من الصناعات الرائجة أهمها المنسوجات وصناعة السكر والزجاج ودبغ الجلود . وكانت القاهرة أهم مركز

صناعى فى القطر، وكان للصناعات نقابات تجمع بين أفراد الطوائف المختلفة ولكل حرفة شيخ مسئول أمام الحكام عن كل ما يطلب من أفراد طائفته فعليه جمع العوائد والأعطية التى تفرض على الصناع ، وله أن يقضى بين المتنازعين من أفراد الطائفة وأن يراقب حالة السوق .

# نظام الأرض :

أما نظام الأرض في مصر فقد بي كما كان منذ عصور الفراعنة اذ كانت الأرض ملكا لللك ، والملوك هم الذين كانوا يولونها الأتباع ، واستمر الحال كذلك الى أن جاء الفتح العثماني فقرر السلطان سليم بعد أن مسح أراضي القطر أن الأرض ملك للسلطان بمعني أن مالكها له وحق المنفعة "أو الانتفاع بثمرها دون الأرض، أما الملاك فأصبحوا كأنهم مستأجرون تعود أملاكهم الى بيت المال بعد موتهم الا اذا اشترى ورثتهم الأرض من جديد بدفع مبلغ معين، لذلك عين السلطان موظفا خاصا بلقب الدفتردار لتسجيل جميع أراضي القطر وفرض على كل فدان من الأرض مساحة ، . ٤ قصبة مربعة ضريبة معلومة .

## الالتزام:

ولماكان الأتراك مسيطرين فى البلاد كانت الضرائب تصل الى الديوان من غير صعوبة ، فلما لم يصبح لموظفى السلطان أقل نفوذ داخل البلاد وعجزت الحكومة عن تحصيل المال المطلوب لجأت الى طريقة والالتزام وقد انتشرت هذه الطريقة فى منتصف القرن السابع عشر ولو أنها لم تكن مجهولة قبل ذلك .

وو والالتزام " أن يتكفل من يشاء من أكابر البـــلاد سواء أكانوا من المـــاليك أم الأتراك أم التجار بتحصــيل الحراج للحكومة في قرية واحدة أو في عدة قرى بالاتفاق أو بالمزايدة ، فيدفع الملتزم للخزانة مال سنة واحدة

معجلا ثم تترك له حرية التصرف فى دائرة التزامه ، والملتزم أن يحصل على صك الالتزام من و شيخ البلد " أو كبير أمراء الماليك . وكان الالتزام فى بداية الأمر يعطى لمدة محدودة ولكن آل الأمر الماعطائه لآخر العمر والملتزم أن يبيع التزامه اذا شاء بشرط اخطار و الرزنامة " أو بيت المال وشيخ البلد . واذا مات الملتزم و رثه فى دائرة التزامة أبناؤه أومن يوصى لهم فاذا لم يكن له وارث رجعت أراضيه الى بيت المال ، وعلى كل حال كان على الوارث أو الموصى له أن يطلب ترخيصا بالالتزام بعد دفع مبلغ معين وبذلك صار للالتزام صفة شبه وراثية قانونية لمعظم أراضى القطر التي صار كل جزء منها مربوطا باسم أحد الملتزمين على الرغم من أن أصحاب الأرض من الفلاحين كان لهم حق الانتفاع بأرضهم وحق التصرف فيها نظريا .

و بفضل صك الالتزام أو " النميقة "التي كانت تخول الملتزم حق التصرف في القرى والتي بمقتضاها صار على الأعيان والمشايخ أن يساعدوا الملتزم في تحصيل الضرائب حل الملتزم محل الحكومة في دائرة التزامه وصار مطلق التصرف في معاملته للفلاحين وخاصة في القرن الثامن عشر حين حلت الفوضي محل الحكومة في ادارة البلاد فكان الملتزم يعين مشايخ القرى والمباشرين من الأقباط لاجراء الحساب اللازم . وكان الملتزم فوق التزامه من الأرض من الأقباط لاجراء الحساب اللازم . وكان الملتزم فوق التزامه من الأرض من الأقباط لاجراء الحساب اللازم . وكان المتزم فوق التزامه من الضرائب مقابل ما يقوم به المستخرة .

## أرض الوقف :

على أن جزءا عظيما من الأرض كان موقوفا على المساجد والأعمال الخيرية ويعرف بأراضى الوقف وهى التى لا يجـوز فيها التصرف بالبيع ، وكانت معفاة من الضرائب ، و بسبب اضطراب الأمن وخوف أصحاب الأملاك من عبث العابثين بها بعد وفاتهم زادت هذه الأراضى زيادة عظيمة ووصل

الحال الى أن خيف أن تصبح أرض مصر كلها موقوفة ، فاشترطت الحكومة أن لايتم وقف الا باقرارها ، وكان معظم هذه الأراضي الواسعة في يد كبار العلماء يستغلونها كما لو كانت أملاكهم الخاصة .

### الضرائب:

وكانت ضريبة الحراج أو والميرى" التى يجمعها الملتزمون إما نقدا و إما من نفس المحصول وتقسم ثلاثة أقسام: قسم لبيت المال و يعرف وبالميرى" وقسم للسنجق أو للكاشف و يعرف وبالكشوفية"، وقسم يبقى لللتزم باسم والفائض" وكانت والجزية" ترسل من مال الميرى وتقدر باشى عشر ألف كيس في كل كيس خمسة جنهات مجيدية (أربعة مصرية) ولم يكن الماليك حريصين على ارسال الجزية بانتظام في الجزء الأخير من الحكم العثماني بل كانوا أحيانا يوقفون ارسالها وكثيرا ما كانوا ينتحلون الأعذار لانقاصها كتطهير الترع و بناء القناطر وهي أعمال كان الماليك يهملونها تماماوكان الملتزمون يتعسفون في جمع الضرائب و يرهقون الفلاح الذي كان عليه دفع الملتزمون يتعسفون في جمع الضرائب ويرهقون الفلاح الذي كان عليه دفع المؤد الأكبر من الضرائب ارهاقا دعا الفلاحين الي هجرة أراضيهم .

#### الحالة الفنية والعلمية

اذا أردنا أن نعرف مبلغ التأثيرالذى نشأ عن تحول طريق تجارة الشرق من مصر فى الحالة الفنية فما علينا الا أن نوازن بين الآثار التى خلفها سلاطين الماليك و بين الآثار المخلفة من عهد العثمانيين ، فالأولى تنم عن ثروة وقوة وذوق ومهارة ، وأما الثانية فتدل على مالحق البلاد من نقص فى الثروة وانحطاط فى الصناعة ، وأكثر ما نشاهده فى القاهرة من الآثار العربية التى تزدان بها القاهرة هو من آثار دولة الماليك البحرية والشراكسة ، ومن أبدع نماذج ذلك العصر مساجد السلطان حسن والمؤيد و برقوق وقلاو ون وكلها تنبئ عن عظمة داخل البناء وخارجه ودقة فى الصناعة و جمال فى الزخرفة والبناء .

#### المبانى:

أما المبانى فى العصر العثمانى فكان الغالب فيها النمط البو زنطى وقد نقله الأتراك. عن الأغريق، وأهم مظاهره القباب التى صارت أهم مميزات المساجد فى ذلك العصر بعد أن كانت القباب رمن اللا ضرحة من قبل ومن مظاهره أيضا استعال والقاشانى وهو نوع من الفخار مكسو بطلاء أبيض أو ملون عليه رسوم هندسية أو نباتية ، ومن مظاهره المنائر الأسطوانية والسبل التى كانت تبنى عادة منفصلة وفوقها المكاتب وأحيانا تابعة المساجد .

وعلى العموم فلت مساحة المساجد عما كانت عليه وذلك مراعاة للاقتصاد بسبب سوء الحالة كما قلت الدقة في الصناعة أيضا ، على أن هناك آثارا عثانية جميلة بنيت في العهد العثماني كسبيل خسرو باشا بالنحاسين والمباني التي جددها أو بناها الأمير و عبد الرحن كتخدا " ومنها تجديد بناء الأزهر والسبل والمكاتب الواقعة قرب مسجد السيدة زينب وفي درب الجماميز.

#### الحالة العلمية :

أما الحالة العلمية والأدبية فقد تأثرت أيضا كغيرها وصار العلم مقصو را على ماكان يعلم بالأزهرمن الموضوعات وأهمها القرآن الكريم والعلوم العربية والشرعية ، والمنطق والجدل وعلم الكلام وقد ينبغ من بين المشايخ أحيانا من يكتب النثر و يقول الشعر وأكثره كلام مقفى لا أثر فيه للعانى المبتكرة أو العواطف النفسية والانسانية ، وإن الانسان لتتولاه الدهشة حين يقرأ شيئا لمشايخ الأزهر أو علمائه فى ذلك الوقت اذ ترى فيه نقصا ظاهرا وغلطا فاحشا فى التعبير والتفكير.

## منزلة العلماء :

أما الأبحاث والتجارب العلمية فلم تكن معروفة بالمرة بل ساد الاعتقاد بين الناس فىالتعاويذ والخرافات والخزعبلات والبدع مما لا يزال يملاً أذهان العامة للآن، لذلك عظمت منزلة العلماء اذ لا بد أن يظهر للعالم قيمة مهما قل علمه مادامت البيئة تسود فيها الجهالة والسذاجة ، فصار للشايخ منزلة تشبه ماكان لرجال الدين فى أوربا فى العصور الوسطى ، أما مصادر تلك القوة ، فأولها اعتقاد الناس فى صلاح العلماء وتقواهم ومعرفتهم ، ثم تظاهر العلماء وادعاءاتهم ، وأخيرا ماكانوا فيه من الثروة الطائلة بسبب أراضى الوقف التى كانوا يقامون نظارا عليها ويستغلونها كما لو كانت أملاكهم الحاصة ، وهذا هو أهم أسباب قوتهم فى ذلك العصر الذى كان فيه العلماء أهم عنصر يمثل البلاد ويتولى الكلام باسمها ويذود عن حقوق أهلها ويخطب وده الحكام سواء أكانوا عثمانيين أم مماليك ، وسنرى شأن العلماء وماقاموا به من الأعمال فى عهد الجملة الفرنسية وعهد عهد على .

· 茶 说 · 张

# أسباب انصراف أوربا عن مصر:

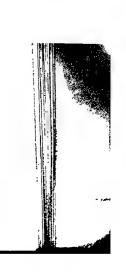
بعد أن عرفنا مبلغ درجة الضعف العام الذى كانت عليه البلاد لم يبق سوى مسألة واحدة وهى بحث الأسباب التي منعت أو ربا مر توجيه سياستها الاستعارية نحو مصر رغم ضعفها طول ذلك الوقت الى أن جاءت الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر.

أولا — ان دول أور با كانت مشتغلة بتكوين مستعمرات في آسيا وأمريكا وهي الجهات التي كان يحصل منها الأوربيون على كنوز عظيمة من الثروة من معادن نفيسة وأحجار كريمة وحرير وعطور وجواهر و بسط ، فانصرف الأوربيون عن الاهتمام بأمر أفريقية ، وقد دب التنافس بين الدول عامة وخاصة بين فرنسا وانجلترا بشأن امتلاك المستعمرات في آسيا وأمريكا فقامت حرب السنوات السبع ١٧٥٦ — ١٧٦٣ واشتركت فيها معظم دول أوربا ، ولما حاولت فرنسا في هذه الحرب أن تحتفظ بتفوقها في أوربا علاوة على ما كان لها من المستعمرات مما دعا الى توزيع جهدها بين قوتيها علاوة على ما كان لها من المستعمرات مما دعا الى توزيع جهدها بين قوتيها علاوة على ما كان لها من المستعمرات مما دعا الى توزيع جهدها بين قوتيها

البرية والبحرية أخفقت فى الغرضين ، فى حين أن انجلترا وجهت اهتمامها الى مستعمراتها وقوتها البحرية وساعدها مركزها الطبيعى على عدم الاهتمام بقوتها البرية فانتصرت فى النهاية على فرنسا التى فقدت كل مستعمراتها وراء البحار ولم يبق لها سوى بضع جزائر وعدد من المحطات التجارية . أما دولة فرنسا الاستعارية التى تملكها الآن فقد تكونت فى القرن التاسع عشر وأكثرها تكوّن فى النصف الأخير منه .

ثانيا — أن دول أو ربا كانت تخشى فتح باب المسألة الشرقية لاختلافها فيا بينها على تو زيع أملاك و الرجل الضعيف " وخاصة فيما يتعلق بالبوغازات والبلقان فكانت الدول تعلن بين حين وآخر رغبتها فى حفظ كيار الدولة وعدم مس أجزائها حتى لا يتسبب عن ذلك ضعف تركيا ضعفا يغرى بها الروسيا فتنفذ الى البحر الأسود ومنه الى البحر الأبيض وتعرقل مصالح الدولذات الشأن كانجلترا أو فرنسا والنمسا فلا يبعد أن تنشب حرب أو ربية عامة على أثر ذلك .

لذلك لم يكن من السهل من الوجهة الدولية أن تمتد يد فرنسا مثلا الى مصر دون أن تكون موطنة النفس على اثارة حرب ضروس بينها و بين الدول . على أن الدول ماكانت تحجم عن الانتفاع بالفرص السانحة فتزدرى بتصريحاتها النظرية وتنقص الدولة من أطرافهاما استطاعت الى ذلك سبيلا.



# الفصل الثــانى مشروع الحملة الفرنسية على مصر

## حملة سان لوى :

العلاقات بين فرنسا ومصر قديمة ترجع الى أيام الحروب الصليبية حين خرج ملك فرنسا المحبوب و سان لوى " أو لو يس التاسع فى حملته الصليبية على مصر ١٢٤٨ — ١٢٥٢ وهى التى انتهت بهزيمة لو يس ومن معه من الفرنسيين عند و المنصورة " و و دمياط " و أخذ لو يس أسيرا ولم يفك أسره إلا بعد دفع دية عظيمة من المال وذلك فى عهد الملك و الصالح أيوب " وابنه توران شاه ، وعلى الرغم من الماك و الفرنسيين واند عار نحو ثلاثين ألفا منهم فان الحملة وارتباطها باسم الملك و القديس لو يس "قد تركت أثرا نفسيا دينيا لا يمحى من أذهان الشعب الفرنسي .

#### معاهدات الامتيازات:

ثم تقوت مصالح فرنسا في مصر وغيرها من أملاك الدولة العثانية عند ما تعاقد الملك وفرنسوا الأول مع السلطان وسليان القانوني افي سنة ١٥٣٥ ضد الامبراطور شارل الخامس وكانت هذه أول معاهدة بين تركيا واحدى الدول الأوربية فنال الفرنسيون منذ ذلك الوقت في أملاك الدولة مركزا خاصا ممت ازا دعا غيرهم من الأجانب الى التشبه بهم ، فعقدوا مع تركيا معاهدات مشابهة للعاهدة الفرنسية . وتعتبر التسهيلات والاعفاءات التي معاهدات مشابهة للعاهدة الفرنسيون وغيرهم بفضل هذه المعاهدة أساسا للامتيازات الأجنبية التي كان المقصود منها أولا حماية الدولة لرعايا الدول صاحبة الامتيازات لا حقوقا مكتسبة يتمتع بها الأجانب على حساب الدولة صاحبة الحق كما صادب الحالى عند ما بدا ضعف الباب العالى وحكومته .

وكما أن معاهدة سنة ١٥٣٥ قد كدرت أوربا من فرنسا لاتفاقها مع السلطان ضد الامبراطور فانها أكسبت فرنسا فى أنحاء الدولة امتيازات أدبية وسياسية ودينية لا يزال أثرها باقيا للآن فقد كانت فرنسا الى زمن قرب تعتبر حامية للشعوب الكاثوليكية فى الشرق الأدنى .

# مشروع ليبنتز :

وفي سنة ١٩٧٦ حينا كان لويس الرابع عشر يحارب هولندا الصغيرة ويعاقبها جزاء معارضتها لمشروعاته جاء وولينتز Leibnitz "أحد الفلاسفة الألمان ، وكانت له شهرة ذائعة في أو ربا بمشروع يقترح فيه على لويس اعداد حملة للاستيلاء على مصر بدلا من محاربة هولندا في ديارها مبينا أن ههذا هو السبيل الوحيد للنيل من هولندا التي كانت أولى الدول استعارا في الشرق. غير أنه لما كان غرض لويس من محاربة هولندا هو تفوق فرنسا في أوربا أهمل مشروع وولينتز "وزج بنفسه في حروب أوربية طاحنة . على أن الحكومة الفرنسية ما فتئت تذكر مشروع أخذ مصر طول القرن وضمت لنفسها جزءا من أملاك الدولة ، فكانت فرنسا تريد أن تحصل على مصر حتى يتم التوازن بينها و بين روسيا ، وقد عثر وو تاليرند " و وو نا بليون مصر حتى يتم التوازن بينها و بين روسيا ، وقد عثر وو تاليرند " و وو نا بليون على مشروعات وخرائط عدة خاصة بالاستيلاء على مصر .

وفى سنة ١٧٧٧ زار مصر و البارون ده توت Baron de Tott وغرضه الظاهرى القيام بأبحاث علمية وفلكية المجمع العلمى ولكنه فى الحقيقة كان مكلفا أن يقوم باستطلاعات حربية، و باختبار حالة السواحل والقلاع الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ومعرفة أعماق الماء فى الموانى، كما أن الحكومة الفرنسية أرسلت ضابطا آخر لمثل هذه الأبحاث فى البحر الأحمر، ثم وقفت المسألة ولم تتقدم كثيرا بسبب تدخل فرنسا فى حرب الاستقلال الأمريكي وأخيرا بسبب الانقلاب العظيم الذي أحدثته النورة الفرنسة.

#### رحلة ڤلني :

على أن فكرة الاستيلاء على مصر ظلت قائمة بسبب ما كان يكتبه بعض الرحالة الفرنسيين الذين زاروا مصر فى ذلك الوقت ، ومن هؤلاء و قلنى Volney "الذى نشر رحلته سنة ١٧٨٧ فذكر سهولة فتح مصر وضعف مركز المماليك فيها وجهلهم بطرق الحرب الحديثة بحيث لا تتطلب الحملة سوى عدد قليل من الرجال . وقال يصف الاسكندرية :

وانه ليس في المدينة سوى أربعة مدافع في حالة صالحة وليس بين الحامية الذي يبلغ عددها خمسهائة مرب يمكنه إصابة المرمى بل جميعهم من العال العاديين الذين لا يحسنون سوى التدخين "ومما قاله أيضا: ووان الاستيلاء على مصر يجب أن يكون محور السياسة الفرنسية ".

## مكاتبات مجالون :

على أن وو مجالون Magallon " قنصل فرنسا فى الاسكندرية ما فتى يكاتب حكومته فى هـذا الشأن ويكرر الشكوى من مراد بك وابراهيم بك صاحبى الأمر فى مصر ويحبذ للحكومة فكرة إرسال حملة الى مصر، ويذكر ما يمكن أن تعود به على فرنسا من وافر الخير وعظيم القوة حتى أن ومجالون " رأى من واجبه أن يحضر بنفسه الى فرنسا سنة ١٧٩٦ حتى يعرض الحالة أمام و حكومة الادارة " وكانت الغلاقات التجارية بين فرنسا ومصر لابأس بها وقد قدر و ثلنى " مجموع الصادرات والواردات بخسة ملايين من الجنبهات ، وهـذا مبلغ لا نستهان به بالنسبة الى قيمـة النقود فى ذلك الوقت .

## نابليون وصلح كمبوفورميو :

ولما بدأت الحالة تستقر نوعا فى فرنسا فى عهد حكومة الادارة وانتصرت على أعدائها وعقدت صلح وو بال " مع بروسيًا وأسبانيا سنة ١٧٩٥ ولم يبق

من الحلفاء ضد فرنسا سوى النمسا وانجسلترا عهدت حكومة الادارة الى نابليون فى مهمة محاربة النمسا فى ايطاليا فعبر نابليون جبال الألب ودخل ايطاليا منتصرا فى عدة وقائع واضطرت النمسا الى الجلاء عن شمالى ايطاليا. فكوّر نابليون جمهو ريات الألب وليغوريا على نسق جمهو رية فرنسا وسقطت جمهورية البندقية ولما بدأ نابليون يطارد النمسا فى ألمانيا عقدت صلح وحمدو فورميو سنة ١٧٩٧ أول صلح مشرف للثورة ورجالها . ومن بعض شروط هذا الصلح التى أصر عليها بونا برت يتجلى الغرض الذى كان يرمى اليه هو وحكومة الادارة معا بشأن تقو ية النفوذ الفرنسى فى البحر يرمى المتوسط .

فانه لما أراد تقسيم أملاك جمهورية البندقية بين فرنسا والنمسا ثمما لنزول الأخيرة عن الأراضى المنخفضة لفرنسا أصر نابليون على أن تحتفظ فرنسا بجزائر الايونيان و كورفى "وو زنطة "ود كفالونيا "حتى تتخذ فرنسا مر هذه الجزر قواعد تجارية بحرية تبنى عليها تفوقها فى البحر الأبيض المتوسط وتكون لها بمثابة محطات ذات شأن فى طريق فرنسا الى الشرق .

وكتب و تاليرند Talleyrand "أحد أعضاء حكومة الادارة ومدير الشؤون الخارجية الى نابليون بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٧٩٧ يؤيد خطته في الشرق ويزيد عليها بقوله : و يجب أن تكون علاقاتنا ودية مع ألبانيك واليونان ومقدونيك وجميع ولايات الدولة العثمانية في الشرق بل مع جميع الشعوب التي تمس سواحل البحر الأبيض المتوسط وخاصة مثل مصر التي قد تصير يوما ما ذات منفعة عظيمة لفرنسا".

ومن ذلك الوقت أخذ نابليون يدرس و يبحث فى أمر الحمسلة على مصر وجعل ينقب فى سجلات وزارة الحسارجية بمعاضدة و تاليرند " باحثا عن التقارير والخرائط والمشروعات التي قدمت للحكومة فى القرنين المساضيين بخصوص الاستيلاء على مصر .

#### أسباب الحملة:

تتلخص أهم الأسباب التي أدت الى قيام الحملة فيما يأتى :

(١) مهاجمة انجلترا فى الشرق وقطع طريق الاتصال بينها و بين مستعمراتها .

(٢) تكوين مستعمرة فرنسية في مصر تعوض على فرنسا ما فقدته في القرن الثامن عشر وفتح ميادين جديدة لتجارة فرنسا .

(٣) كشف مصر علميا وادخال مبادئ المدنية الحديثة .

أما عن السبب الأول: فان أكبر معضلة واجهت حكومة فرنسا ونابليون فى كفاحها مع انجلترا التى بقيت بمفردها فى حالة حرب مع فرنسا بعد أن خرجت النمسا بمقتضى صلح كمبوفورميو، هى تعذر الوصول الى تلك البلاد لعدم وجود أسطول قوى يمكن فرنسا من التفوق فى وو بحر المانش ولو لمدة وجيزة تستطيع فيها انزال حملة برية على سواحل انجلترا. فلما رأى بونابرت أن توجيه الاصابة الى قلب انجلترا غير ميسور فكر في في في في في المستعمرات أو في في المستعمرات أو بقطع طريق التجارة بين انجلترا و بيز هذه المستعمرات أو بتأسيس مستعمرات فرنسية جديدة تعادل من حيث شأنها ومواردها المستعمرات الانجليزية وخاصة الهند .

على ذلك رأت الحكومة الفرنسية أن استيلاء فرنسا على مصر يجعل أقصر طريق بين الشرق والغرب فى قبضة فرنسا وأن بونابرت فى مصر يستطيع أن يتصل بقبائل و المهراتا " بالهند أو و تبو صاحب " حاكم و ميسور " وغيرهما مر. العناصر الثائرة ضد الانجليز فى الهند فلا يلبث النفوذ الانجليزى أن يتضعضع فى الشرق . زد على ذلك أنه اذا أضيفت مصر الى دائرة نفوذ فرنسا فى ايطاليا و جزر الايونيان لا يلبث أن يصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية .

قال وو تاليرند " في خطابه الى نابليون في ١٣ سبتمبر سنة ١٧٩٧ :

ودان مصر كطريق تجارى ستعطينا تجارة الهند لأن المعول في التجارة على الوقت ، وبالاستيلاء على مصر نستطيع أن نقوم بخمس رحلات مقابل ثلاث بالطريق المعتاد حول ود الرأس ".

أما عن السبب الثانى: فان فرنسا قد فقدت كل مستعمراتها فى القرن الشامن عشر لمحاولتها الاحتفاظ بتفوقها فى أور با زيادة على مستعمراتها وعلى ذلك أخفقت فى الغرضين ، فلما جاء عام ١٧٩٧ وخرجت فرنسا منتصرة من حروبها فى أور با وظفرت بصلح و كمبو فورميو "الذى ضمن لها تفوقها على و الرين "وعلى و الدانوب " بدأت تتطلع الى الاستعار وأخذت تتحين الفرص لتعوض ما فقدته من مستعمراتها ، ومما يدل على أن فرنسا كانت تريد تأسيس مستعمرة فرنسية بمصر ما أرسلته مع الحملة من علماء وصناع وعدد وآلات ومطابع ومترجمين ، ولا تنس أن استيلاء فرنسا على مصر يفتح أسواقا جديدة للصنوعات الفرنسية ، فحرب مصر تستطيع فرنسا أن تتصل بسوريا و بسواحل أفريقية الشمالية و ببلاد العرب .

أما عن السبب الثالث: وهو تمدين مصر وكشفها علميا فان فرنسا ما فتلت تعلن فى ذلك الوقت أنها مرشدة العالم والآخذة بيد الشعوب الى المدنية والحرية وانها حاملة لواء العدل والمساواة والاخاء ومنقذة الشعوب الضعيفة من ذل الجهل والاستعباد . فلا غرابة أن يكون هذا ضمن الأغراض الأساسية للحملة ، ومن أجل هذا حضر أكثر من مائة عالم واختصاصي من كبار علماء فرنسا ليساعدوا وبونابرت فى أعمال البحث والتنقيب والانشاءات اللازمة لتكوين المستعمرة الجديدة ومما قاله وتاليرند فى ذلك : وانى أرى فى الجملة موارد عظيمة لتجارتنا وكنزا وذخيرة للعلوم ، ومن الغريب أن الحملة قد أخفقت نهائيا فى جميع وذخيرة للعلوم ، ومن العرب أن الحملة قد أخفقت نهائيا فى جميع أغراضها الا فى هذه الوجهة فانها نجحت تماما مما دعا المؤرخين الى القول بأن الحملة الفرنسية على مصر كانت علمية أكثر منها حربية .

#### اسباب ثانوية :

وهناك أسباب نعدها في الدرجة الثانية من الأهمية، فمن هذه الأسباب أن همة نابليون قد أبت عليه البقاء في فرنسا بعد و صلح كبوفورميو " من غير عمل ، وخشى أن الشعب لا يلبث أن ينساه اذا لم يظهر أمامه بعمل عظيم. لذلك أخذ ينقب عن مشروع تتجلى فيه عبقريته ومواهبه فلم ير أمامه سوى الشرف مهدا لعظاء الرجال وميدانا لكبار الأبطال من قديم لزمان وكان نابليون يطمح أن يقلد الأسكندر فينشئ في الشرق دولة كدولته .

ثم ان نابليون رأى أن الفرصة غير سانحــة للوصول الى قلب الحكومة فى فرنسا وأخذ مقاليد الأمور بيده ، ورأى مر. الحكة الابتعاد عن البلاد حتى تتهيأ له الفرصة اذ لا يبعــد أن تتألب دول أور با ضد فرنسا مر. جديد منتهزة غيابه ثم لا تلبث حكومة الادارة أن تنهزم أمام تلك الدول فيضج الرأى العام الفرنسي وحينئذ يعود نابليون الى فرنسا فيستقبله الشعب استقبال المنقذ للوطن و يسلمه زمام الأمور .

#### أسباب صورية :

وفضلا عن هذه الأسباب الثانوية فهناك أسباب صورية مر. نوع الأسباب التي تتذرع بها الحكومات عادة لتبرير موقفها ازاء القانون العام وأمام غيرها من الدول وخاصة أمام الدولة صاحبة الحق.

تظاهرت فرنسا أنها انما أرسلت الحملة لتأديب الماليك والاقتصاص منهم بسبب ماوقع على التجار والرعايا الفرنسيين فى مصر من الظلم والمصادرة والاضطهاد فى عهد ابراهيم بك ومراد بك بما دعا و مجالون " الى ارسال الشكوى الى حكومته .

كذلك ادعت الحكومة الفرنسية عقب قيام الحملة ووصولها مصر أن المماليك قد عصوا الباب العالى واستقلوا بالبلاد وعانوا فيها فسادا غير مراعين في ذلك حقوق السلطان . ولما كانت فرنسا أقدم حليف لتركيا رأت حكومة الجمهورية مساعدة الباب العالى بالقضاء على فئة المماليك وتوطيد نفوذ السلطان بمصر وقد سعت حكومة الادارة في اقناع الباب العالى بهذا الغرض بكل الطرق فلم تفلح وسرعان ما أدرك السلطان أغراض فرنسا فاتحد مع أعدائها .







نا پلیون بونا پرت

# الفصل الثالث نابليون فى مصر

## سرية مشروع الحملة :

اعتبرت الحكومة الفرنسية أمر هذه الحملة سرا مكتوما لم يعلم به أحد غير أعضاء حكومة الادارة و بونابرت ، حتى أن الرؤساء والمشتغلين بتجهيز معدات الحملة لم يعلموا عن وجهتها شيئا نهائيا ، ولضمان المحافظة على سرية المشروع لم يستخدم الموظفون والكتاب في تحرير رسائل الحملة حتى أن رئيس الحكومة كتب أمر تعيين بونابرت لرياسة الحملة بيده .

وفى جميع هذه المحررات الأولى لم تعين وجهة الحملة بالضبط بل كانوا يكتفون بذكر ومملة البحر الأبيض المتوسط "أو و الحملة الموجهة ضد انجلترا "، و بالفعل ظل هذا التكتم سائدا جميع الدوائر حتى أقلعت الحملة من فرنسا ولم يكن لأحد من رجالها علم بغرض الحملة الى أن اقتربت الحملة من المياه المصرية ، وماذا كان يهم الضباط أو الجنود من غرض الحملة مادام نابليون على رأسهم وما داموا يعرفون تماماأن الحملة موجهة ضد انجلترا .

والحقيقة أنه لو لم تراع الحكومة هذا التكتم الشديد لتسرب أمر الحملة الى البحرية الانجليزية ولتعرضت الحملة فى بدء سيرها لضربة قاضية من جانب الأسطول الانجليزى الذى كان شديد الرقابة فى البحر الأبيض ولم تكتف الحكومة الفرنسية باحتفاظها بسر الحملة بل انها تظاهرت بعمل استطلاعات ومناو رات فى سواحل فرنسا الشمالية لتوهم الحكومة الانجليزية أن غرضها من الحملة إنما هو انزال جيوشها على سواحل انجلترا الجنوبية أو على سواحل ايرلنده فينصرف نظر البحرية الانجليزية ولو قليلا عن البحر الأبيض .

## خطة الأسطول الانجليزي :

وفعلا لما نشطت حركة الموانى الفرنسية وقف أمير البحر الانجليزي لورد سنت وو فنسنت StVincent " عند ميناء وو قادس " ليحسن رقابة الأسطول الفرنسي عند خروجه من بوغاز ووجبل طارق " قاصدا ايرلنده أو انجلترا أو البرتغال أو جزائرالهند الغربية كما توهم الانجليز ، وليحول دون خروج الأسطول الاسباني واتفاقه مع الأسطول الفرنسي . ثم أنه أرســـل أمير البحر ود نلسن Nelson " ومعه ثلاث سفن لرقابة سواحل فرنساوا يطاليا وجمع المعلومات عن الحملة ، فوصل الى وقطولون "أول يونيه وكانت الحملة قد خرجت في ١٩ ما يو سنة ١٧٩٨ ولم يعلم الأسطول الانجليزي عن أمرها شيئًا فأرسل وو سنت فلسنت "عشر سفن أخرى وو لنلسون " لما تبين له خطأ انتظار الحملة عنــد وو قادس " فأخذ نلسون يبحث عند السواحل الايطالية حتى علم في ٢٠ يونيه من جكومة وونابلي " حليفة الانجليز أرب الفرنسين وصلوا جزيرة ومالطه٬٬ في ٩ يونيه، فلما وصل اليها كان بونابرت قد غادرها مع حملته قاصدا الشرق متخذا كل الطــرق للهروب من رقابة نلسون ، كأن يسمير محاذيا سواحل أفريقية . أما نلسن فانه وصل الي الاسكندرية قبل وصول الحملة الفرنسية بثلاثة أيام ولما أبي وو السيد عهد كريم "حاكم الاسكندرية أن يسمح لنلسون وسفنه الثلاث عشرة بالبقاء في الميناء انتظارا للفرنسيين سار شمالا قاصدا جزر الأرخبيل الأغريقي .

### سير الحملة :

أما الحملة فقامت بقيادة نابليون بونابرت في ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ من ميناء وطولون ومرسيليا بفرنسا ومن وجنوه ووسفيتا فكيا الوالجاكسيو من موانى ايطاليا وقورسقة تحمل أكثر من ثلاثين ألف نفس ويحرسها

#### احتلال مالطة:

ولم يشهد البحر الأبيض المتوسط مثل هذا العدد من السفن والرجال منذ الحروب الصليبية ، ولقد صادف هذه الجملة عند قيامها نجاح وتوفيق عظيان اذ تمكنت من الافلات مر... رقابة نلسون واستولت على جزيرة ماطلة " بدون كبير مشقة ، وقد برر نابليون هجومه على الجزيرة بأرب اتهم حاكمها وهو رئيس الرهبان فيها بأنه متفق مع قيصر روسيا وأنه كان يناوئ الثورة في فرنسا ، وأن السفن الفرنسية لم تكن تجرؤ على الدخول في ميناء "لاثاليت علمها الفرنسي ، ثم نزل في ميناء "لاثاليت للامول في ميناء "لاثاليت الزمن حتى احتل الفرنسيون جمديع الأبراج وطاردوا الجنود في شوارع المدينة ، وفي ١٢ يونيه الجمم مفوضو رئيس الرهبان ببونابرت وسلموه المدينة والجزيرة وفي مقابل ذلك وعد نابليون أن يسعى في ايجاد امارة المانية لرئيس العهد تعوضه عما فقده وأن يتسلم مؤقتا معاشا سنويا قدره ألمانية لرئيس العهد تعوضه عما فقده وأن يتسلم مؤقتا معاشا سنويا قدره فيها القائد و فو بواكن الى أن توجد الامارة . و بعد أن نظم حكومة الجزيرة ترك فيها القائد و فو بواكن قد انضم الى الحملة ألفان من جنود مالطه .

<sup>(</sup>۱) كان مجموع القطع الحربية فى الحملة ۱۳ سفينة حربية ، و ۹ من النوع المسمى فرقاطه (Frégates) ، و١١ من النوع المسمى (Corvette) و ٢٣ سفينة نقالة ، وأ ماعدد الرجال فكان ١٨٠٠ منهم ، ٣٠٠٠ ٢ من المشاة و ، ، ٤٠ من الفرسان و ، ، ٣٠ للدفعية ، وأ ما عدد الخيول فكان ٢٨٠ فقط لاعتماد الحملة على ما يمكن الحصول عليه من مصر ،

وفى 19 يونيه قامت الحملة بعد أن استولت على احدى المحاط الهامة في طريقها من مصر الى فرنسا ، ولما مرت الحملة بجزيرة و كريت "لم يعد غرض الحملة خافيا فأعلن الخبر للجند قبل الوصول الى الاسكندرية بليلة.

## وصول الجلة :

وفى أول يوليه ١٧٩٨ وصلت الحملة الى الاسكندرية وعلم نابليون لأول مرة أن نلسون ومعه ثلاث عشرة سفينة حربية قد زار الاسكندرية فى ٢٨ يونيه فأصدر أمره بالزال الجند والذخيرة بأسرع ما يمكن وذلك لاحتمال وجود نلسون بمقربة من الاسكندرية .

وفى ٣ يوليه كان قد تم انزال جميع المعدات وكانت الجنود قد استولت على المدينة بعد مقاومة ضئيلة من حاكم الاسكندرية وو السيد محمد كريم " وتم الاتفاق بينه و بين الفرنسيين على أن يحتفظ بمركزه كما اتفقوا مع بعض أعراب البحيرة للسير مع الحملة و توريد الجمال والخيول اللازمة لحمل الأمتعة والمؤنة و بذلك تحقق قول و ثلني " عن الاسكندرية وصار الطريق الى مصر مفتوحا أمام الحملة .

# سير الحملة ونظام المربعات المفرغة :

وفي ٩ يوليه قامت الحملة من الاسكندرية بعد أن تركت ثمانية آلاف جندى بوياسة وو كليبر ، وأخذت الحملة طريق الصحراء غربى فرع رشيد ، وسارت بعض السفن حاملة المؤنة والغذاء في فرع رشيد ، وقد قاسى الجنود في أثناء اختراقهم الصحراء أهوالا شديدة بسبب شدة الحرارة وجفاف الأرض وقلة الماء وسطو الأعراب بين حين وآخر ، ولماوصل الجند الى وو الرحمانية ، على النيل حيث لحقوا بالحملة النيلية ألقوا بأنفسهم في الماء فرحين مغتبطين ، ثم سارت الحملة بمحاذاة فرع رشيد وفكر نابليون في طريقة يتق بها هجات العربان والمماليك الذين اشتهروا بالكر والفرالسريع فوضع نظام المربعات المفرغة وقسم الحملة الى خمسة مربعات عظيمة كل

ضلع مكون من ستة صفوف . وسارت المدفعية بين المربعات أما العلماء والعناصر غير المحاربة فسارت وسط المربعات بعيدا عن هجات الأعراب. ومن مزايا هـذا النظام أنه اذا هجم العدو هجمة سريعة واخترقت جنوده أحد أضلاع المربع لاتلبث النيران أن تنصب عليه فجأة من أضلاع المربع الأخرى و بهذا النظام استطاع بونا برت أن يقضى على تفوق الماليك الظاهر من جهة الفرسان .

#### تدابير الماليك:

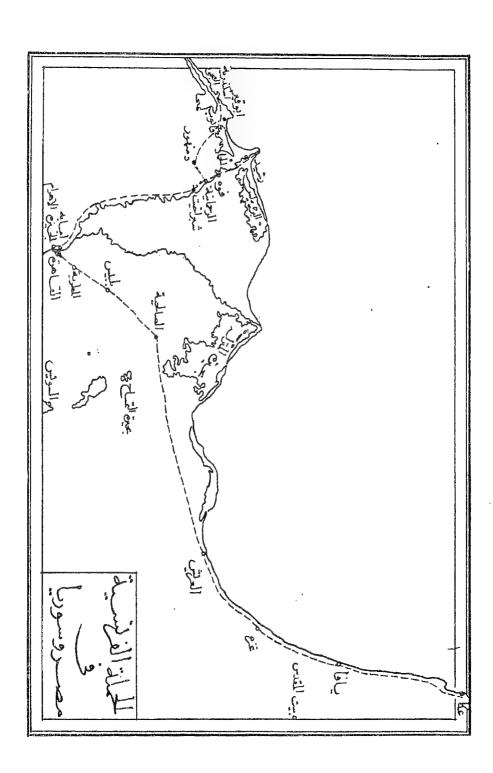
ولما علم المماليك بنزول الحمــلة فى الاسكندرية فى ٥ يوليه قابلوا الخبر بغير اهتمام أو اكتراث مزدرين شأن الافرنج عامة ومحتقرين كفايتهم الحربية وأقسموا أنهم سيحصدون رءوسهم حصدا اذا قاتلوهم ثم اجتمع رؤسًاء المماليك مراد بك وابراهيم بك ومعهم الباشا التركى سيد بكر ، وقر الرأى أولا على أن يرسلوا قوة تبلغ . . . ، من فرسان المماليك ومن الجنود التركية بقيادة مراد بك لاستطلاع قوة الفرنسييز\_ ، وكانت الأخبار قد وصلت تسقوط الاسكندرية ورشيد وزحف الفرنسيين على القاهرة عن طريق الصحراء، والتبي الفريقان عند وفشبراخيت، بعد أن استولت الحملة على الرحمانية في طريقها الى القاهرة ، وقد اشتبك في هـذه الموقعة بعض السفن المسلحة التي أحضرها الماليك مع القوة الفرنسية التي كانت تسير فى النيل ، وانهزم المماليك لأول مرة أمام نيران المدافع والبنادق الفرنسية وتقهقر المماليك جنو با الى القاهرة حيث قر الرأى على أن يبتي مراد على الضفة اليسرى للنيل ومعه قوة تبلغ ٢٠٠٠٠ من فرسان المماليك و١٠٠٠ من الجنود التركية ، و بني الماليك استحكامات عند و امبابه " ووضعوا بعض المدافع على قواعد ثابتة وأحضروا. ٢٤٫٠٠٠ من الفلاحين للدفاع عن المكان . أمَّا ابراهيم بك فبق عند بولاق على الضفة اليمني للنيل ومعه عدد احتياطي من المماليك والفلاحين ومعه فوق ذلك ماأمكن حمـــله من الثروة والكنوز التي جمعها المماليك وحملوها ظهور الدواب أو السفن وقد خرج مع ابراهيم بك ومن معه سكان القاهرة ينتظرون الموقعة و يضجون بالأدعية والصلوات والكل مترقب أول اشارة بالهزيمة لينجو بنفسه من المهالك .

و يلاحظ هنا أن الماليك قد أخطئوا فى تقسيم قواتهم و وضع الجزء المهم من هذه القوة على الضفة اليسرى ، إذ كان يجب أن يجمعوا قواتهم على الضفة اليمنى و يتركوا للفرنسيين مهمة عبو ر النيل وهى مهمة لا تخلو من خطر على الجيش المهاجم . ولكن يظهر أن الماليك قد أعدوا خطة التقهقر قبل أن ينظموا خطط الدفاع .

## موقعة امبابه :

وفى ٢١ يوليه وصل الفرنسيون الى ود امبابه " وعسكروا بينها و بين الجيزة بمرأى من أهرام الجيزة الذى أشار اليه نابليون وقال مخاطبا جنوده قبل الموقعة وان أربعين قرنا تنظر اليك "وقد وقف الفرنسيون فى مربعاتهم منتظرين هجوم الماليك حتى يحصروهم بين نيران مربعاتهم وقد وضعوا خطتهم بحيث يحواون دون وصول الماليك الى استحكاماتهم فى امبابه ثم يدفعونهم نحو النهر فاما أن يلقوا بأنفسهم فيه أو يفروا هاربين الى الصحراء وفى هذه الموقعة حواما أن يلقوا بأنفسهم فيه أو ود الأهرام " كما تعرف عند الفرنجة الخلهر مراد بك ومن معه من الماليك منتهى الشهامة والبطولة غيرمبالين بالنيران ولا مكترثين للوت فكانت هجاتهم على المربعات الفرنسية لا تلبث أن تتكسر أمام بنادق العدو وماذا كانت تجدى بطولة الماليك وفروسيتهم أمام جيوش حديثة منظمة يقودها نابليون ؟ لقد تهشمت قوة وفروسيتهم أمام جيوش حديثة منظمة يقودها نابليون ؟ لقد تهشمت قوة الماليك في ساعات قليلة ولم يبق من الماليك سوى جماعات غير منظمة عددها أربعة آلاف فرت الى الصحراء أو الى الصعيد مع مراد بك الذى عددها أربعة آلاف فرت الى الضحراء أو الى الصعيد مع مراد بك الذى العدوق العذي يكون المدين العدوق العدوق العدوق العدوق العدوق العدوق العدوق العدوق العدى العدوق العدوق المنفن التي كانت بحمل الذخيرة حتى لاتقع في أيدى العدوق.

أما ابراهيم بك ومن معه من المماليك والأهالى فظلوا على ضفة النيل عند بولاق يراقبون حركة الموقعة فلما رأوا ما حل بمراد بك استولى عليهم الفزع والرعب وضيح الناس بالصراخ والعويل وأحرق ابراهيم بك ما أمكن احراقه



nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Bennest .

.

•

من السفن المحملة حتى غطت النيران سلطح الماء ، ثم فرومن معه من الماليك قاصدين الشرقية ثم سوريا ، وخرج مع أبراهيم بك سيد بكر الباشا التركى وعدد من زعماء المصريين . أما المدينة فظلت في حركة مستمرة اذ أخذ الناس يهاجرون من المدينة ومعهم أسراتهم وما خف من متاجرهم وثروتهم ، وانتهز اللصوص الفرصة فدخلوا البيوت والحوانيت ونهبوا ما فيها .

# تسليم القاهرة:

وأخيرا قررأى بعض التجار الأجانب على أن ينصحوا وكيل الباشا بأن يسلم المدينة وذهبوا لمقابلة نابليون. وفي ٢٤ يوليه ذهب الى برالجيزة جماعة من المشايخ يعرضون الصلح على الفرنسيين و يسلمون القاهرة ، وفي ٧٧ يوليه دخل نابليون مصر على رأس جنده وكان قدعين القائد وديبوى Dupuy" حاكما على المدينة وأرسل و ديزيه "على رأس قوة الى الصعيد لمطاردة مراد بك وأتباعه.

وفى ٧ أغسطس خرج ٥ بونابرت "على رأس قوة لمطاردة ابراهيم بك فوصل ٥ بلبيس " والتق الفريقان عند والصالحية " في ١٠ أغسطس وفر ابراهيم بك الى سوريا بعد أن ترك بعض أحماله في أيدى الفرنسيين، وحاول نابليون أن يستميل الباشا التركى الى جانبه مرة ثانية، فيلم يفلح. وكان بونابرت يرمى من ابقاء الباشا بجانبه في مصرالي غرضين: (الأول) أن يبرهن للشعب على صدق دعواه في أنه حليف السلطان وأنه يعمل ضد الماليك بالاتفاق مع الباب العالى، (الثاني) أنه كان يريد أن يحتفظ بالعلاقات الودية بينه و بين تركيا حتى لا ينضم الأتراك الى أعداء فرنسا. لذلك أرسل نابليون في غداة موقعة الصالحية خطابا الى ابراهيم بك يطالبه فيه بارسال الباشا اليه ليكون واسطة الصلح بين الفريقين. ولما لم يصله رد على خطابه أمر فحصن ليكون واسطة الصلح بين الفريقين. ولما لم يصله رد على خطابه أمر فحصن حاكما على المنصورة ثم عاد في ١٣ أغسطس الى القاهرة .

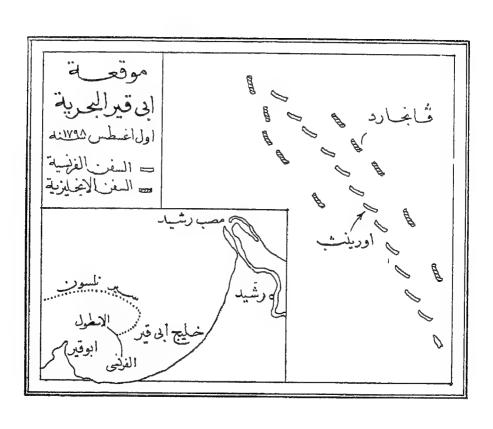
## موقعة أبي قير البحرية :

وفى أثناء طريقه وصل اليه رسول من و كليبر " يعلمه بالكارثة التي أصابت الحملة بتدمير الأسطول الفرنسي عند و أبي قير " فى أول أغسطس وذلك أن و نلسن " لما علم بنزول الفرنسيين مصر أقلع من جزر الأرخبيل و باغت الأسطول الفرنسي، وعلى الرغم من كثرة السفن الحربية الفرنسية فان نلسن استطاع بمهارته وسرعته أن يشق الأسطول الفرنسي شقين و يحصر الجزء الأكبر منه بين نارين من أسطوله وهكذا دمر الجزء الأكبر من الأسطول الفرنسي وقتل وغرق عدد عظيم من الفرنسيين. ومن الذين قتلوا و ده مروى " قائد الأسطول الذي أظهر من الشجاعة والثبات وهو على ظهر سفينته و الشرق قائد الأسطول الذي أظهر من الشجاعة والثبات وهو على ظهر سفينته و الشرق أسطوله عند أبي قير بل عليه أن يحتمى اما داخل ميناء الاسكندرية أو يخرج أسطوله عند أبي قير بل عليه أن يحتمى اما داخل ميناء الاسكندرية أو يخرج به الى جزيرة مالطة أو إحدى جزر الأيونيان . فلم يبادر و دو بروى " بتنفيذ شيء من ذلك وظل عند أبي قير على غيراستعداد حتى جاء نلسن ووجه بتنفيذ شيء من ذلك وظل عند أبي قير على غيراستعداد حتى جاء نلسن ووجه بتنفيذ شيء من ذلك وظل عند أبي قير على غيراستعداد حتى جاء نلسن ووجه بتنفيذ شيء من ذلك وظل عند أبي قير على غيراستعداد حتى جاء نلسن ووجه بتنفيذ شيء من ذلك وظل عند أبي قير على غيراستعداد حتى جاء نلسن ووجه بتنفيذ شيء من ذلك وظل عند أبي قير على غيراستعداد حتى جاء نلسن ووجه بتنفيذ شيء من ذلك وظل عند أبي قير على غيراستعداد حتى جاء نلسن ووجه بسلم المناس و المناس

# نتامج الموقعة :

و بتدميرالأسطول فقد بونا برت أسباب الاتصال بأو ربا عامة و بفرنسا خاصة وضاع كل أمل في امكان وصول المدد والذخيرة من فرنسا الى الحملة كما أن ضياع الأسطول قد حرم الفرنسيين من أكبر ضمان يعتمدون عليه و يلجئون اليه اذا ما اضطرتهم الظروف في مصر الى التقهقر أو العودة ، ولا شك أن الحملة الفرنسية بمصر بعدهذه الموقعة أصبح مقضيا عليها لا محالا الفرنسيون في مصر كأنهم محصورون في مدينة مضيق عليها ومصيرها الى التسايم آجلا أو عاجلا .

لذلك قابل نابليون الخبر باهتمام كبير وتأثر ظاهر غير أنه سرعان ماتجلد وامتلاً قلبه ثقة وأملا في المستقبل فأبلغ الخبر الى من حوله من الضباط



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

•

.

ومنهم انتقل الى الجنود وسرت فى نفوسهم روح النقة والشجاعة التى استمدها الجميع من بونا برت . قال بونا برت مخاطبا ضباطه وجنوده أنعليهم أن يعت دوا جو مصر وأن يقوموا بأعمال عظيمة كتكوين دولة عظيمة فى أفريقية وآسيا يكون مركزها مصر .

## سياسة بونابرت في مصر:

## انشاء الديوان الوطني :

وأهم من ذلك كله أنه عمل على اشراك العناصر الوطنية مع الفرنسيين في الحكم لأول مرة في تاريخ مصر الحديث . اذ أصدر مرسوما حال دخول الفرنسيين القاهرة يقضى بتأليف ديوان وطني يساعد الحاكم العسكري في الحكم ، و يتكون من تسعة أعضاء من المشايخ وعاشر ليكون سكرتيرا ، وانتخب و الشيخ عبد الله الشرقاوي " رئيسا للديوان و والشيخ المهدي " سكرتيرا ، و يجتمع الديوان كل يوم للنظر في مهام الأمور . وكان

<sup>(</sup>١) راجع ملحق حرف (١) صفحة ٧٢٧ (منشور بونا برت الى المصريين'' .

نابليون يجيب بالموافقة على أكثر قرارات الديوان و يترك له الحرية في تعيين من يختارهم من غير المماليك للوظائف الداخلية الخماصة بالمدينة كوالى الشرطة والأغا والمحتسب ووكيل أو كتخدا لكل من هـؤلاء ، وقد عين بونا برت حكاما عسكريين للقاهرة وللأقاليم وأمر بتكوين ديوان وطنى لكل اقليم على نسق ديوان القاهرة يتكون من سبعة أعضاء و يعاور للحكام الفرنسيين في حكومة الأقليم .

ولم يفرض نابليون ضرائب جديدة بل جمع المال المعروف بالميرى وعين السليج Poussielegue " للشؤون المالية فجمعت الضرائب بنظام من الجميع وحصرت أملاك الماليك والمشايخ الذين هاجروا الى الشام وثبتوا كلا في ملكيته واحترموا أملاك الوقف وتركوا المعاملات المدنية والتجارية كالنت ، كما أنهم لم يحدثوا تغييرا ما في ادارة القضاء في البلاد .

وعلى ذلك سرعان ماآنس النياس بالفرنسيين واطمأنوا اليهم فنشطت حَرَكة العمل فى المدينة وأنشئت فى القاهرة محال تجارية وقهاوى ومطاعم ومصانع وأذيع التنبيه بوجوب الانارة والنظافة أمام محالهم وبيوتهم فى الشوارع والحارات .

# تنظيم المجمع العلمي المصرى :

ثم نظر بونا برت في تنظيم و المجمع العلمي المصري المحمع وفي ٢٤ منه اجتمع فأصدر أمرا في ٢١ أغسطس بتكوير هيئة المجمع وفي ٢٤ منه اجتمع المجمع لأول مرة بمنزل و حسن كاشف " (١) وعين و منج Monge " أكبر الرياضيين رئيسا ووجد نابليون الشرف كله أن يكون وكيلا للجمع ، ثم قسم المجمع الى أربعة أقسام مهمة: قسم للا بحاث الرياضية والطبيعية ، وقسم للا بحاث الاقتضادية ، وقسم للفنون ، وقسم للا داب. وأهم الأعمال التي قام بها المجمع في أثناء وجود نابليون درس مشروع وصل البحر الأحر . بالأبيض وكشف القناة القديمة التي كانت توصل النيل بالبحر الأحمر .

<sup>(</sup>١) في حارة منج خلف المدرسة السنية بالناصرية .

## ديزيه في الصعيد:

وفى أثناء ما كان نابليون يقوم بهذه التنظيات فى القاهرة والدلتا كان و ديزيه " يعمل على اخضاع مراد بك فى الصعيد وكان قد انضم اليه عدد كبير من الماليك وعربان الوجه القبلي واتخذ مقره فى البهنسا بمديرية المنيا فسار اليه و ديزيه " واشتبكا فى موقعة عند مدينة الفيوم انهزم فيها مراد بك وأتباعه و بعدها عقل مراد على اتباع طريقة الكروالفر التى يحذقها فرسان الماليك فصار الفرنسيون فى حركة مستمرة أثناء وجودهم بالصعيد الى أن استدعاهم نابليون قبيل موقعة أبى قيرالبرية فى أغسطس سنة ١٧٩٩

و بينها كان الفرنسيون يحاولون تثبيت حكهم فى البـــلاد اعترضتهم حادثتان قضتا على آمالهم فى هـــذه البلاد نهائيا : (الأولى) داخليـــة وهى ثورة أكتو برسنة ١٧٩٨ ، (الثانية) خارجيـــة وهى تعرض الفرنسيين لهجوم الأتراك والحلفاء فى مصر وفى أورو با فى آن واحد .

# ثورة ۲۱ أكتوبر سنة ۱۷۹۸

#### السبب الاقتصادى:

إن أهم الأسباب التي أدت الى ثورة القاهرة ولم يمض على دخول الفرنسيين سوى ثلاثة شهوره في الحقيقة اقتصادية وذلك أن الفرنسيين قبل احتلالهم البلاد كانوا يمنون أنفسهم بثروة طائلة يحصلون عليها بطريقة ما ، فلما دخلوا البلاد لم يجدوا شيئا يذكر فالماليك قد أفنوا أو أخفوا كنوز ثروتهم على أثر موقعة امبابه ثم حملوا ما تبقى منها الى سوريا .

ولا ننسى أن تدمير الأسطول الفرنسي عند <sup>وو</sup>أبى قير" واعلان الحصر البحرى على سواحل البحر الأبيض المصرية بسبب تفوق الأسطول

الانجايزى قد أدى الى وقف دولاب الأعمال التجارية والصناعية فساءت الحال الاقتصادية بدرجة شعر بسوء وقعها الفرنسيون. لذلك شرع الفرنسيون يفكرون فى فتح أبواب جديدة يحصلون منها على المال اللازم ففرضوا عوائد على الأملاك وأنشئوا ديوانا لتسجيل الحجج والعقود الموجودة عند الأهالى والتي تثبت امتلاكهم لما لهم من الأملاك في مقابل رسم خاص. فاستاء الأهالى وعظم سخطهم وأيقنوا أن الفرنسيين لايقلون عن غيرهم من حيث تعسفهم في جمع المال بل ان الفرنسيين كانوا أشد وأدق في جباية الأموال.

# شدة الفرنسيين:

هـذا هو السبب المباشر للثورة . على أن هناك أسـبابا ثانو ية أخرى أهمها تشدد الفرنسيين واضطهاد المماليك وسوء معاملة أسراتهم وتوقيع أشد العقو بات على من يشتبهون فى صلاته معهم . فكانوا يحكمون بالاعدام على من يتهم بمراسلة المماليك أو بقضاء حاجات لهم . وأكبر من أعدم بهذا السبب و السيد محمد كريم "أول من اتفق مع الفرنسيين بالاسكندرية .

# انتشار البدع ونشر الدعوة :

ثم ان الفرنسيين على الرغم من تظاهرهم باحترام الدين الاسلامى كانوا في الحقيقة قليلي الاكتراث للتعاليم والمبادئ الاسلامية اذ أطلقوا العنان لشهواتهم وكثر التبذل وظهر الفجور وانتشرت المسكرات والبدع وعمت المفاسد وارتفع شأن الأجنبي على حساب أهل البلاد .

وهناك سبب خارجى يرجع الى مجهودات ابراهيم بك والسيد عمرمكرم ومن معهما من المماليك والمصر بين الذين تركوا مصر الى الشام فانهم مافتئوا يرسلون الرسل الى مصر و يوزعون المنشورات سرا بين الناس يحضونهم فيها على الثورة ضد الفرنسيين و يشجعونهم بالقول والوعد بأن الباب العالى يعد

حملة كبيرة بالاتفاق مع الانجليز لطرد الفرنسيين من مصر وما على المصريين الا أن يقوموا بالثورة فى الداخل تسهيلا لمهمة الجيش المهاجم من الخارج، ومما أكد المصريين صدق هذه الوعود ما علموه من تدمير الأسطول الفرنسي عند أبى قير وحرج من كر الفرنسيين فى مصر على أثر هذه الموقعة.

## الثورة :

قال الجبرتى يصف الثورة: وو كثر اللغط وتجع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم وأصبحوا يوم الأحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب وحضر وو السيد بدر "وصبته حشرات الحسينية ولهم صياح عظيم وهول جسيم فذهبوا الى بيت القاضى وتجعوا وتبعهم نحو الألف أو الأكثر وهدموا مساطب الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة لتعوق هجوم العدو في وقت المعركة ووقف دورن كل متراس جمع عظيم من الناس ".

وكان الفرنسيون قد أخذوا على غرة فلم يحتاطوا للاً مر وقتل منهم وديبوى عاكم القاهرة وو سلكسكى Sullkowsky ، رئيس أركان حرب نابليون واثنان من العلماء كانوا يقومون بأبحاثهم عند جبل المقطم . ولما رأى نابليون خطورة الحال وأن مركز الثورة في الأزهر بعيد عن مناله بسبب ضيق الحارات الموصلة اليه ، وضع المدافع على احدى ربى المقطم وصوبها على الأزهر وولى سقط عليهم القنبر ورأوه ولم يكونوا في عمرهم عاينوه نادوا ياسلام من هذه الآلام ياخفي الألطاف نجنا مما نخاف! " وتتابع الرمى من القلعة حتى وقع الرعب في صدور الناس وفزعت جعاب أهل الحسينية الذين ظلوا يقاتلون للنهاية فقام العلماء وركبوا الى بونابرت يطلبون الأمان والعفو فلامهم بونابرت وأنبهم واتهمهم بمالأة الثوار على يطلبون الأمان والعفو فلامهم بونابرت وأنبهم واتهمهم بمالأة الثوار على الرغم من اشتراكهم معه في المسئولية والحركم . وأخيرا قبل رجاءهم ونادوا بالأمان في جميع أنحاء المدينة ، ولكن نابليون استعمل الشدة والصرامة بالأمان في جميع أنحاء المدينة ، ولكن نابليون استعمل الشدة والصرامة

المتناهية وارتكب اثما لا يزال أثره مقرونا باسمه الى اليوم فى مصر ذلك أن جنوده وخيوله دخلت الأزهر وانتهكوا حرمته وأساءوا استعاله ، و بذلك أضاف وقودا جديدا الى نار الثورة المتأججة فى نفوس الشعب وقضى على كل أمل فى تقريب العنصرين المصرى والفرنسي وتكوين قوة من الشعب يستند اليها بونابرت فى حكمه .

# نتائج الثورة :

وليست أهمية هـذه الثورة مقصورة على أنها قامت بخأة وبسرعة ومن غير تنظيم أو ترتيب سابق انما أهميتها فى أنها قلبت سياسة الفرنسيين رأسا على عقب وقضت على جل آمالهم فى مصر ، فبعد أن كان الفرنسيون يؤملون تكوين مستعمرة فرنسية فى مصر و يحاولون كسب مودة الشعب بكل الطرق أصبحوا بعد الثورة على حذر شديد من المصريين وقصروا جهودهم على حماية مركزهم الحربى فى مصر خشية اعتداء الترك أو الانجليز .

ومن مظاهر الشدة التي بدت بعد الثورة أن نابليون أطلق العنارف لأحدالأروام الذي عينه وكيلا لحاكم القاهرة واسمه و برطلمان بعنف شديد وأنزل ويعرفه العامة باسم و فرط الرمان " فعامل المصريين بعنف شديد وأنزل العقو بات الصارمة على المصريين الذين اتهموا بالتعدى على الفرنسيين وطاف و برطلمان " على الأقاليم يقضى على بقايا الثورة فيها و يجمع الغرامات من القرى وكان الفلاحون في بعض الأقاليم قد انتهزوا فرصة فيضان النيل وتعذر وصول القوات الفرنسية لنجدة بعض الحاميات فقاموا بمناوشات بسيطة لم تلبث أن قعت بشدة .

ومن مظاهر روح الكراهية وعدم الثقة التي ملائت جوانح الفرنسيين يعد الثورة أن بونابرت ألغى الديوان الوطنى الأول وتركه معطلا مدة شهرين ثم عين ديوانا جديدا ليس مقصورا على المشايخ بل كانت جميع الطوائف والحاليات القاطنة بمصر ممثلة فيه ، فكان بجانب المشايخ ممثلون للا قباط والسوريين والأروام والافرنج وكان مجموع هذا المجلس ستين عضوا اختير

منهم أربعـة عشر ليكـونوا المجلس المخصوص الذى يجتمع بانتظام لمعاونة الحكومة .

ومن الاحتياطات التى أخذها الفرنسيون بعد الثورة اهتمامهم بتحصين القاهرة وهدم بعض المبانى والمساجد التى كانت تعترض طريقهم وخلع أبواب الحارات، وكان الفرنسيون قد بدأوا بعضهذه الأعمال قبل الثورة فلما قامت الثورة ضاعفوا جهودهم فى اتمامها، ومن أعمال نابليون أيضا تكوين فرق عسكرية من متطوعى الأروام و بعض العناصر الشرقية المسيحية تنضم للحملة عند الحاجة، وأخذت المعامل تنتج ما تحتاج اليه الحملة من ذخيرة حربية وعدد وآلات وأدوات بقدر ماوصلت اليه مواهب و كنتيه دخيرة حربية الفرنسى المخترع.

كل هذه الأعمال ساعدت على توسيع هوة الحلاف بين الفرنسيين والمصريين وجعلت المصريين على الرغم من خضوعهم وتظاهرهم بالامتثال يضمرون الانتقام من الفرنسيين و يتحينون الفرص المناسبة للقيام بالثورة من جديد ماداموا يعلمون أن الأتراك والانجليزعلى الأبواب .

# موقف تركيا وأوربا ازاء الحملة :

ولقد كارب من نتائج واقعة ود أبى قير البحرية " وتدمير الأسطول الفرنسي أن سهل على انجلترا حمل تركيا على اعلان الحرب ضد فرنسا واعداد حملة لطرد الفرنسيين من مصر ، وكانت الحكومة الفرنسية قد أخذت حذرها من أول الأمم فقررت مبدئيا ارسال و تليرند " الى القسطنطينية عقب خروج الحملة ليؤكد للباب العالى حسن نيات فرنسا نحو السلطان وأن الغرض من ارسال الحملة ليس الا لتأديب الماليك وتخايص الباب العالى من حكهم في مصر ، ولكن تاليرند لم يسافر وعين غيره .

كما أن بونابرت من جهته لم يتوان فى تفهيم الباب العالى حسن نياته فاول أن يستميل اليه الباشا التركى كما ذكرنا ولما فشل كتب الىالصدر

الأعظم يطلب اليه أن يرسل من لدنه رسولا يتفاوض معه في مصر و يؤكد له فيه أن سيادة تركيا لم تزل باقية على البلاد وغاية مافي الأمر أن الفرنسيين حلوا محل المماليك في حكومة مصر (۱) . ولكن السلطان ارتاب في عمل فرنسا و بدأت الحكومة الانجليزية من جهة أخرى تحرك الباب العالى ضد فرنسا وتنصح لتركيا باعلان الحرب عليها فلما سمعت بواقعة وو أبي قير تشجعت وكانت الموقعة أبلغ حجة قدمها سفير انجلترا للباب العالى ليدفعه الى الحرب، فأعلنت تركيا الحرب على فرنسا في سبتمبر سنة ١٧٩٨ وتحالفت مع انجلترا والروسيا ضد فرنسا . ولما كانت السيادة البحرية للا سطول الانجليزي تمكن الحلفاء من أخذ جزيرة وو مالطه " و جزائر وو الأيونيان " معاونة الأسطول الروسي ، وأعد الباب العالى جيشين أحدهما في جزيرة مورودس " لتحمله السفن الانجليزية الى ساحل أبي قير والشاني يزحف على مصر من جهة حدودها الشرقية .

وكانت الحكومة الفرنسية تريد ارسال المدد لنابليون بأية طريقة ولكن حال دون ذلك تألب الدول عليها مرة ثانية متشجعة بغياب بو نابرت و بهزيمة أسطوله عند أبى قير وعداء السلطان له ، فنشبت نار الحرب فى أور با و بذلك تعرضت حكومة الادارة فى فرنسا خطر عظيم من جانب الدول المتحالفة ضد فرنسا ، وعلى ذلك يمكننا أن نقول أن تكوين المحالفة الثانية ضد فرنسا قد عرض الحملة الفرنسية لأشد الأخطار وذلك لسبين: (الأول) لأن تركيا قد دخلت الحرب ضدفرنسا ، (الثانى) لأن المحالفة الحديدة وتهديدها فرنسا جعل نابليون يفكر فى العودة الى أور با لانقاذ الحالة ، وليس من شك فى أن خروج نابليون من مصر كان من أكبر دواعى فشل الحملة .

<sup>(</sup>١) من بونا برت الى الصدر الأعظم (٢٢ أغسطس ١٧٩٨)

## نابلیون فی سوریا (من فبرایرالی مایو سنة ۱۷۹۹)

لما علمت حكومة الادارة بتدمير الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير كتبت الى بونابرت أن يتبع إحدى ثلاث :

- (١) إما أن تبقى بمصر وتأخذ الاحتياطات الكفيلة برد هجومالأتراك.
- (٢) أو تحاول الوصول الى الهند فاذا وصلت لايصعب عليك أن تجد أقواما مستعدين للانضام معك بقصد تقو يض النفوذ الانجليزى .
- (٣) أو تمضى فى طريقك الى القسطنطينية فتسبق العدو الذى يهددك هذه الاقتراحات من لدن حكومة الادارة تدلنا على أن نابليون لم يكرف فى مشروع الحملة الى سوريا ساعيا وراء مطمع شخصى أو أمنية كانت تدور فى مخيلته بل كان نازلا على ارادة حكومته .

### أغراض الحملة :

على أن هناك أغراضا مهمة دعت نابليون الى ارسال الحملة منها أنه كان يؤمل اذا ماتم له النصر أن تضطر تركيا الى الانسلاخ عن الحلفاء وعقد الصلح على انفراد مع فرنسا ، كذلك كان يريد أن يضع حدا لتموين السفن الانجليزية من سواحل البحر الأبيض الشرقية متى خضعت هذه السواحل لحكم فرنسا ، ولا يبعد أن يكون نابليون قد فكر وقتئذ فى تنفيذ مشروعه الشرقى العظيم الذى لو تم لأمكنه أن يصل الى باريس براعن طريق القسطنطينية وثيينا .

على أن نابليون لما علم باستعداد الأتراك فضل أن يتخذ خطة الهجوم كعادته ، لأنه رأى أنه اذا بق فى مصر أعطى الفرصة للأتراك فأرسلوا جيشين فى وقت واحد وعند ذلك يتعرض الفرنسيون لهجوم جيشين من جهتين مختلفتين فيضطر نابليون الى تقسيم قواته و يضعف أمله فى الانتصار، 

# قيام الحملة ونابليون أمام عكا :

لذلك قامت الحملة بقيادة نابليون وتبلغ ١٢٠٠٠ جندى قاصدة سوريا فى فبراير سنة ١٧٩٩ بعد أن قبض على ناصية الأمو ر بمصر وترك عددا قليلا من الجند في حاميات القاهرة والاسكندرية و رشيد ودمياط . ودخل الفرنسيون ود العسريش ، ثم ود غزة ، و ود يافا ، وهن سلمت حاميتها وعدها . . . ٤ جندى للضابط الفرنسي فأمنهم على حياتهم ، ولكن نابليون ضاق بهم ذرعا ، ولما لم يكن لديه جند لحراستهم أو زاد يكفيهم أو سفن تحملهم الى مصر خاف أنه اذا تركهم وشأنهم لا يلبثون أن يحمـــلوا السلاح ضده فى <sup>وو</sup> عكا <sup>،،</sup> فلم يجد مناصا من قتلهم جملة واحدة ، وتحمل أمام التاريخ إثم هذا العمل الفظيع . وعلى أثر ذلك فشا الطاعون بين جنوده ، ثم سار نحو وو عكما " فوقف أمامها وواجه صعو بات جديدة لم تصادفه في يافا ، ففضلا على أن عكا ميناء حصين فقد كان الرجل الذي يهيمن عليها جنديا شهما هو وه أحمد باشا الجزار " وكان أمام عكا سفينتان حربيتان مر. الأسطول الانجليزي بقيادة ووسدني سمث Sidney Smith " الذي قام بدورهام في تاريخ الحملة الفرنسية بمصر ومعه مهندس حربي من أشراف فرنسا الذين هاجروا بلادهم وانضموا الى الحلفاء ضدحكومة بلادهم واسمه ود فلبيو Phélippeaux " وكان زميلا لبونابرت في المدرسة الحربيّة ومن أشد منافسيه واليه يرجع الفضل في طول مقاومة عكما وقوة تحصينها .

#### أثر القوة البحرية :

وانك لترى أثر القوة البحرية ظاهرا فى حصار عكاظهورا تاما ، فقد ظل الحصن مفتوحا من جهـة البحر تصـل اليه المؤونة والذخيرة والرجال بسهولة وهذا مما جعل حصار نابليون للحصن قليل الجدوى .

وكان نابليون قد أرسل قوة المدفعية من مصر عن طريق البحر فلم تصل كاملة ووقع جزء منها فى أيدى الانجليز ، واضطر نابليون أن يحاصر الحصن وقسوة مدفعيته ظاهرة الضعف ، أما الشعب السورى وخاصة الدروز والطوائف المسيحية و بعض القبائل العربية فأحسنت استقبال بونابرت واتصلت معه سرا مرجئة اعلان انضامها اليه حتى تسقط عكا .

هاجمت القوات الفرنسية حصن عكا مرات متنالية ، ولكنها كانت تعود فى كل مرة بالفشل رغم جهود بونابرت العظيمة ، ثم أرادت تركيا أن تحصر القوة الفرنسية بين نارين وتضطرهم الى رفع الحصار عن عكا فأرسلت قوة من دمشق تبلغ ، ، ، ، ، ، ، ، ، قيادة والى دمشق فأرسل نا بليون قوة قليلة العدد بقيادة و كليبر " لملاقاتها ، ولما أوشك كليبرعلى الانهزام سار اليه نا بليون مسرعا وحاز النصر فى موقعة و تل طابور " جنو بى عكا فى ١٦ أبريل سنة ١٧٩٩

## رفع الحصار عن عكا وموقعة أبى قير البرية :

هذا الانتصار أحيا الروح الأدبية بين الجنود ، و بينها كان نابليون يستعد لحجوم حاسم على عكا جاء المدد اليها عن طريق البحر في ٧ مايو ، اذ نزل جزء من الجيش الذي كانت تعده تركيا في وو رودس ومع ذلك قام نابليون بآخر هجمة للرة الرابعة عشرة ، وفعلا اخترقت الجنود الفرنسية حصن عكا ولكنهم وجدوا بيوتها قلاعا وشوارعها محصنة بالخنادق والمتاريس و رأى نابليون انه إذا استمر في هجومه تعرضت قوته لخسارة جسيمة فاكتفى بتدمير وتخريب المدينة وقرر رفع الحصار والعودة بعد أن استمر حصارها أكثر من شهرين من مارس الى ١٤ مايو ١٧٩٩ وخسر من رجاله ما يقسرب من تجلائة آثناء شهرين من مارس الى ١٤ مايو ١٧٩٩ وخسر من رجاله ما يقسرب من رجوعها الى مصر عن طريق الصحراء مصاعب جمة بسبب تفشى الطاعون رجوعها الى مصر عن طريق الصحراء مصاعب جمة بسبب تفشى الطاعون وشدة الحرارة ، ومع ذلك دخل نابليون القاهرة في ١٤ يونيه دخول الظافر وشدة الحرارة ، ومع ذلك دخل نابليون القاهرة في ١٤ يونيه دخول الظافر المنتصر ، ولكن تظاهره بالانتصار لم يخف الحقيقة عن الماليك الذين

تشجعوا ووصلوا الى قرب الجيزة عند الأهرام مهددين القاهرة . و بينها كان نابليون يأخذ العدة لمقابلة المماليك ومراد بك اذ وصل اليــه خبر نزول العثمانيين عند أبي قير في ٢٤ يوليه . وقد كان احتمال نزول هذه الحملة من أهم الأسباب التي دعته الى رفع الحصارعن عكا والاسراع الى مصر لرد الهجوم المنتظر، وكان نابليون يظن أن الانجليز سيشتركون فعلًا في هذه الحملة فأخذ احتياطات حاسمة أهمها اصدار الأمل وولديزيه " باخلاء الصعيد بعد أن أخضعه وأقام في أقسامه حكومة عادلة وصدر الأمر الى الحاميات الأخرى بضرورة السيروالاجتماع عند الرحمانية لمنع تقــدم المهاجمين ، ثم سارهو شمالاً ، وكان الأتراك وعددهم ١٨ ألف جنــدى بقيادة مصطفى باشا قد احتلوا قلعمة أبي قير وقتلوا من فيهما من الفرنسيين فجاء الفرنسيون بسرعة ونشبت الموقعة واستمرت من ٢٥ يوليه الى ٢ أغسطس وقد تدخل الأسطول الانجليزي في المعركة ، فتقهقر الفرنسيون وتعقبهم العثمانيون تاركين قلاعهم واستحكاماتهم التي احتلها الفرنسيون وقطعوا على العثمانيين خـــط الرجعة فانكسر الجيش العثمانى ووقع مصطفى باشا أسيرا وقضى على معظم الجيش فى واقعة أبى قير البرية فى أغسطس سـنة ١٧٩٩ وصار اسم ود أبى قير " موضع فخر الفرنسيين بعد أن كان من أشأم الأسماء لديهم منذ تدمير الأسطول الفرنسي أول أغسطس سنة ١٧٩٨

### خروج نابليون :

و بعد أن حسن نابليون سمعة الفرنسيين ومركزهم في مصر باحرازه هذا النصر الباهر فكر في العودة الى فرنسا واتفق سرا مع أمير البحر " غانتوم Ganteaume " لتهيئة وسائل الافلات من رقابة الأسطول البريطاني وتدبير السفن اللازمة لنقله هو و بعض أصدقائه المقربين ، وفي ٢٢ أغسطس قام نابليون ومعه من الضباط " برتييه Berthier " و و لان Lannes " و سرور المنان آخران ، ومن العلماء و منج Monge و مرتوليه و المنان آخران ، ومن العلماء و منج Monge و في برتوليه و الما و ديزيه عادر العلماء و منبع قائداً أن يغادر المنان عنادر وصل فرنسا بعد شهرين .

# الفصل الرابع الحملة الفرنسية بعد نابليون

لم يسافر بونا برت من مصر خلسة الالسببين مهمين :

أولا — تأكده أن مشروع الحملة فى الشرق أخفق نهائيا وأنه لابد من العودة الى ميدان العمل فى أوربا وأن الفرنسيين الذين تركهم فى مصر يمكنهم الاحتفاظ بهذه البلاد دون أية ضرورة لوجوده بنفسه .

ثانيا — علم نابليون بواسطة بعض الصحف التي أوصلها اليه سدنى سمث و بواسطة الرسائل الخصوصية التي كانت تصله من أور با بين حين وآخر أن حكومة الادارة في فرنسا فد ضعفت وأن أعداء فرنسا قد تألبوا عليها وأن القواد الفرنسيين قد انهزموا في ايطاليا وفي ألمانيا، وأن فرنسا قد خسرت ما أنشأه نابليون وكسبه من الأملاك في شمال ايطاليا والأراضي المتخفضة عقب صلح وو كمبوفورميو".

كذلك علم نابليون أن الحالة الداخلية فى فرنسا صارت تتطلب وجوده وأن الفرصة التى لم تسنح له عام سنة ١٧٩٧ قد آذنت بالسنوح عام سنة ١٧٩٩ وأنه اذا وصل فرنسا فلا تلبث حكومة الادارة وأن تسقط أمام معارضته فيتسلم زمام الحكومة بيده .

على أن حكومة الادارة نفسها كانت ترغب فى حضور نابليون الى فرنسا وفعلا كتبت اليه بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٧٩٩ تصف له سوء الحالة فى أور با وفى فرنسا وتظهر فيه رغبتها فى عودة الجيش من مصر لحماية الوطن ، ومما يدل على شدة اهتمام الحكومة بأمر انقاذ الحملة واعادة الجيش الى فرنسا اذا أمكن أنها كافت أمير البحر و بروى Bruix " أن يخرج من ميناء و برست "ومعه ٢٥ سفينة و يشترك مع الاسطول الأسبانى و يخترق من ميناء و برست "ومعه ٢٥ سفينة و يشترك مع الاسطول الأسباني و يخترق من ميناء و برست "ومعه ٢٥ سفينة و يشترك مع الاسطول الأسبانى و يخترق من ميناء و بست الهناء و يشترك مع الاسطول الأسباني و يخترق و برست "ومعه ٢٥ سفينة و يشترك مع الاسطول الأسباني و يخترق الم

البحر الأبيض المتوسط و يصل الى الاسكندرية ليعود بنابليون وجنوده الى فرنسا ، وفعلا قام وفر بروى Bruix من برست ومعه الأسطول الاسبانى وسار شرقا حتى وصل الى تونس ثم اضطر الى العودة خوفا من مباغتة الأسطول الانجليزى لهم ولأرن الأسطول الاسبانى لم يوافق على خطة يكون من ورائها مهاجمة الأسطول الانجليزى . وعلى ذلك عادت الحملة الى برست فى أغسطس سنة ١٧٩٩ وتبدد كل أمل فى انقاذ الفرنسيين بمصر .

#### حالة الحملة الفرنسية بعد مغادرة نابليون :

غادر نابليورن البلاد وترك الحمسلة فى أسوأ حال يمكن تصورها رغم انتصاره فى موقعة أبى قير .

## مركزها الأدبي:

فن الوجهة الأدبية: انحطت الحالة المعنوية بين الجنود كثيراوخصوصا معد سفر نابليون، واعتقد أكثرهم أن البقاء بمصر أصبح أمرا لا يجدى، وساعد على تأصل هذه الفكرة فى أذهانهم عجز حكومة فرنسا عن ارسال المدد الى مصر حتى بعد وصول نابليون وتسلم مقاليد الأمور بيده لم تبد الحكومة اهتماما عظيما بشأن مصر (١) وتأكد معظم الضباط والجنود أدن فرنسا فى خطر أو أنها صارت أحق بجهودات أبنائها من مصر، وكانوا يعتقدون أن خروج الحملة من مضر سيكسب فرنسا جيشا يبلغ عدده ٢٥٠٠٠ وحليفا جديدا هو تركيا.

أضف الى هذا عدم ملاءمة جو البلاد الفرنسيين ، وقلة المـــال اللازم للحملة وكساد التجارة بسبب الحصرالبحرى واحتياج الحملة الىعدد وآلات وملابس وعمال فنيين لا سبيل للحصول عليها فى الشرق .

<sup>(</sup>۱) فى سنة ۱۸۰۱ حاول أمير البحر '' غلمنتوو '' بأمر بونا بارت عبور البحر الأبيض المتوسط لارسال المدد الى مصرفلم يفلح .

فلا غرابة حينئذ أن ينضم معظم جنود وضباط الحمسلة الى الرأى الذى يقول بضرورة جلاء الحمسلة عن مصر . وكان و كليبر " زعيم الحزب الذى يقول بهذا الرأى . أما الحزب المعارض للجلاء فكان يمثل رأى أقلية ضئيلة وزعيمه القائد و مينو " ومر رأى هذا الحزب أن الاحتفاظ بمصر سيعود على فرنسا بفوائد تجارية ومادية تستحق من أجلها وجود ٢٠ ألف جندى وأن فرنسا لا يضيرها غياب هذا العدد القليل مر أبنائها .

وليس من شك فى أن انقسام الرأى بين صفوف الحملة واحتدام الجدل بين أصحاب الرأبين قد أثرا فى حالة الجنود الأدبية أيمـــا تأثير .

#### مركزها الخارجى :

أما من الوجهة الخارجية فانه على أثرارتداد نابليون من أمام عكا تشجعت تركيا وكونت جيشا من أربعين ألف جندى بقيادة ضيا باشا الصدر الأعظم لمهاجمة مصر من الجهة الشرقية وكان فى الجيش ضباطمن الانجليز يعاونون الصدر فى مهمته ، وكان نابليون قد علم بأصر هذا الجيش قبل مغادرته البلاد فرأى أن يفتح باب المفاوضات مع الصدر الأعظم فأرسل أحد الأسرى الأتراك برسالة يلوم فيها تركيا على دخولها الحرب ضد فرنسا ويؤكد للصدر حسن نية فرنسا نحو الباب العالى وفيها يدعو تركيا الى الخروج من زمرة الحلفاء وعقد الصلح مع فرنسا ، فكأن نابليون لم يفتح باب المفاوضة مع الصدر لإخراج فرنسا من مصر بل لإخراج تركيا من صفوف الحلفاء ، وفي التعليات التي تركها نابليون لكليبر يشير بونابرت بأنه لا يجب التخلى عن مصر الاعند الضرورة القصوى ، وعلى كل حال بأنه لا يجب التملك بها حتى يعقد الصلح العام بين فرنسا والحلفاء .

والحلاصة أن الحملة عند معادرة نابليون للبلاد كانت معرضة لهجوم تركى شديد من جهة الحدود الشرقية رغم أن نابليون كان قد مهد طريق المفاوضة مع العدو .

#### مركزها الداخلي :

أما من الوجهة الداخلية فكان مركز الحملة لا يقل خطورة عن مركزها الخارجي وذلك لانتشار الماليك في أنحاء القطر وتهديدهم القاهرة بعد أرب أخلي و ديزيه "الصعيد قبيل موقعة أبي قير البرية ، أما الأهالي فكانوا على أهبة الاستعداد للقيام بالثورة ضد الفرنسيين وقد أثار حميتهم ما سمعوه عن الجيش التركي الكبير الزاحف على مصر من جهة الشرق ، وقد أبدى العلماء مجهودا يذكر في تهدئة الشعب امتثالا لأوامر السلطة الفرنسية ولكن الأهالي ارتابوا في إخلاص المشايخ وأضمروا لهم السوء .

#### كليبر وأعماله بمصر :

عرفت الجنود الفرنسية وكليبر" ببسالته فى موقعة وو تل طابور" أثناء حصار عكا ، وقد كسب عطف الجنود بسبب الجرح الذى أصابه عند نزول الجملة بالاسكندرية ، غير أن أهم الأسباب التي حببت كليبر الى الجنود والضباط الفرنسيين أنه كان زعيم حزب الأغلبية الذى يقول بضرورة جلاء الفرنسيين عن مصر ، هذا فضلا عن حسن منظره وطلعته العسكرية الجذامة .

استاء كليبر أيما استياء لما بلغه خبر مغادرة نابليون سرا للبلاد وكتب لحكومته تقريرا مطولا يصف فيه ما وصلت اليه حال الحملة بمصر ويبالغ في صبغ هذه الحالة بالصبغة السوداء حتى ملا التقرير بعبارات كلها يأس وقنوط وفى نهاية التقرير طلب من الحكومة أن تسمح له باجراء المفاوضات مع الأتراك بقصد الجلاء عن مصر.

#### مفاوضات الصلح:

وفعلا بدأ كليبر بمفاوضة الأتراك على احدى السفن أولا ثم عندالعريش، وكان مستشار الأتراك و السير سدنى سمث واليه يرجع الفضل في تمهيد طريق المفاوضات ووضع الاتفاق النهائي، وكان و ديزيه بيمثل الفرنسيين. وبعد محاولات لم تجد من جانب الفرنسيين كطلبهم خروج تركيا من صفوف الحلفاء اتفق الطرفان على أن تخرج الحملة بمهماتها على حساب تركيا، وأن الحملة اذا وصلت فرنسا صارت طليقة من كل قيد، وفي ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ تمت الموافقة على و اتفاق العريش و أعلنت المدنة لمدة ثلاثة شهور وبدأ الفرنسيون يسحبون حامياتهم و يخلون الأماكن النائية التي كانوا يحتلونها، وكانوا كلما أخلوا مركزا احتله العثمانيون الذين كانوا رابضين على الحدود الشرقية بقيادة الصدر يوسف ضيا باشا.

#### نقض اتفاق العريش:

أثناء ذلك حدث ما أوقف حركة الصلح، فبينما الفرنسيون يتأهبون لمغادرة البلاد و يجلون بحامياتهم عن بعض الأماكن كدمياط و بلبيس والصالحية و بينما الأتراك يتقدمون و يتوغلون داخل البلاد محتلين البلاد التي جلا عنها الفرنسيون اذا بخطاب وصل الى كليبر من القائد العام للقوات البريطانية في البحر الأبيض يقول فيه إن الحكومة البريطانية لاتوافق على شروط واتفاق العريش " وانها لاتسمح للفرنسيين بمغادرة مصر الا اذا سلموا سلاحهم كأسرى حرب وتركوا جميع معداتهم وذخائرهم للحلفاء .

أما سبب معارضة الحكومة الانجليزية لاتفاق العريش فهو سقوط التقرير الذي كان قد أرسله كليبر الى حكومته وفيه يصور مركز الحملة في مصر بلون أسود قاتم، فلما علمت الحكومة الانجليزية بحرج الحملة في مصر لم تقر و سدني سمث " على عمله بل ولم تعترف بحق تمثيله لها أو للباب العالى ، وكان الرأى الانجليزي قد انقسم الى قسمين: قسم يقول بالموافقة

على اخراج الفرنسيين من مصر واعادة أملاك الدولة الى السلطان و يمثل هذا الرأى و سدنى سمت ". والقسم الثانى يقول بعدم مساعدة الفرنسيين على الخروج من مصر لئلا يساعدوا جيوش فرنسا ضد الحلفاء وحتى يقضى عليهم فى إفريقية، و يمثل هذا الرأى و يدافع عنه بشدة أمير البحر و تنلسون". فلما وقع تقرير كليبر أو نسخة منه فى يد الحكومة صممت على مواصلة الكفاح فى مصر ، وما كان أغناها عن تحمل نفقات هذا الكفاح من مال ووقت وأنفس لو أنها أقرت شروط اتفاق العريش سنة ، ١٨٠

أما كليبر فانه أظهر في هـذه الآونة همة ومقدرة أعادت الى الأذهان ذكرى نابليون في مصر فانه نشر صورة الخطاب على الجنود واكتفى بالتعليق عليه بهذه الكلمة :

ورأيها الجنود لاجواب لنا على هذه الوقاحة إلا النصر فهيا الى الحرب! ". فكانت هذه الكلمات بمثابة تيار كهربائى سرى فى نفوس الجند فما كادت تقع عليها الأنظار حتى نادى الجميع ضباطا وجنودا بصوت وكلمة واحدة رنت فى الآفاق! وو الانتقام Vengeance! ".

#### موقعة عين شمس :

هذه الحماسة وتلك الروح الجديدة جعلت عشرة آلاف جندى يهزمون أربعة أضعاف عددهم من الأتراك بقيادة يوسف ضيا باشا الصدر الأعظم شر هزيمة في موقعة والمطرية أو عين شمس و في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ إذ فر يوسف باشا ومن معه جهة الصالحية تاركين خزائهم ومؤنهم وذخيرتهم.

#### ثورة القاهرة :

و بينها كان كليبر يطارد الوزير و يعيد النفوذ الفرنسي في الدلت كانت القاهرة تغلى غليان المرجل الثورة وخاصة في حي بولاق فقد انتهز المصريون فرصة خروج كليبر والجزء الأعظم مر جيشه لمق بلة العثمانيين فقاموا وحاصروا ما بقي من الفرنسيين داخل المدينة ، ثم ما لبث أن دخل المدينة

عدد من جنود الأتراك والمماليك يبلغ ٢٠٠٠ وعلى رأسهم حسن ناصف باشا القائد العثماني ومعه زعماء المصريين الذين فروا الى الشام عقب واقعة امبا به وهم ابراهيم بك ومحمد بك الألفي وعثمان كتخدا وحسن بك الجداوي ، فتحمس الناس من جميع الطوائف وتضافروا على انتهاز هذه الفرصة للقيام في وجه الفرنسيين فحاصروا قلاع الفرنسيين وأقيمت المتاريس وحفرت الخنادق وغلقت أبواب المدينة وتطوع الناس لحراسة هذه الأبواب ليل نهار وظهرت الحركة بأجلى مظهر في مدينة القاهرة وفي بولاق، فأنشئوا معملا للبارود في الحرنفش وكان والسيد المحروق كبير التجار و والسيد عمر مكم تنقيب الأشراف و باقي الأعيان والتجار وبياشرون الكلف والنفقات مكم تنقيب الأشراف و باقي الأعيان والتجار وبياشرون الكلف والنفقات ما يملكه ، وأعان بعضهم بعضا ودفعوا مافي وسعهم وطاقتهم من المعونة ما يملكه ، وأعان بعضهم بعضا ودفعوا مافي وسعهم وطاقتهم من المعونة ولم يكن الأقباط أقل وطنية من المسلمين وقت الشدة فقد جاء أكابرالقبط وجرجس الجوهري وفلتيوس وملطي فطابوا الأمان وقاموا بنصيبهم وقدموا المال اللازم ما عدا ويعقوب الذي كرنك في داره بالدرب الواسع (۱).

أما المشايخ الذين اتهموا بمهالأة الفرنسيين فنالهم أذى و إهانة بالغة من العامة . وقام الشعب فى بولاق على ساق واحدة بقيادة و الحاج مصطفى البشتيلي "الذى أثار حماسة العامة فهيئوا عصيهم وأسلحتهم و رمحوا وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس واستعدوا للحرب والجهاد وقوى فى رءوسهم العناد .

## قمع الثورة :

ولما انتهى كليبر من مطاردة فلول الأتراك وعلى رأسهم الوزير يوسف باشا دخل القاهرة وقطع الصادر والوارد وأحاطت جنوده بها وظل حصارها أكثر من شهر ووحتى غلت أسعار المبيعات وعزت المأكولات

<sup>(</sup>۱) وهو المعروف'' بالجنرال يعقوب''الذي غادر مصر مع الحملة الفرنسية ومات في طريقه الى فرنسا .

واستمر ضرب المدافع والنيران ليل نهار والناس لايهنألهم نوم ولا راحة ومقامهم دائمًا أبدا بالأزقة والأسواق. أما الصبية والنساء فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية ". وعلى الرغم من مجهودات المصريين وطول مقاومتهم أخمد الفرنسيون الثورة في بولاق فقضوا على رجالها وأحرقوا بيوتها عن آخرها في 10 أبريل سنة ١٨٠٠

وكان مراد بك قد اصطلح مع الفرنسيين على أثر انهزام الأتراك وأعطاه كليبر حكومة الصعيد تحت سيادة الفرنسيين فتوسط هو والبرديسي أحد أتباعه للصلح فأرسل الفرنسيون يطلبون المشايخ واتفقوا نهائيا على أن يغادر الأتراك ومن يشاء من الماليك والمصريين الى سوريا على حساب فرنسا وبحراسة الفرنسيين أثناء الطريق ، فاستشاطت العامة غضبا وهموا بقتل رؤساء العثمانيين وحاول والمحروق وصحمر مكرم أن يقودا العامة بمفردهما فلم يفلحا ، وانتهى الأمر بخروج العثمانيين وعساكرهم ومعهم من الماليك ابراهيم بك الألفي وأمراؤهما وأجنادهما ، ومن المصريين السيد عمر مكرم والمحروق وكثير من أهل مصر .

أما كليبر فلم يشتد فى الانتقام من المصريين ولم يعاقبهم على ثورتهم كما عاقبهم نابليون اذاكتفى بفرض غرامة حربية عظيمة مقدارها ٢٠٠٠،٠٠٠ فرنك و فرنك كما أنه فرض على الوجه البحرى غرامة قدرها ٢٠٠٠،٠٠٠ فرنك وهذا مبلغ عظيم اذا ذكرنا سوء الحالة الاقتصادية فى البلاد .

فلا عجب أذا لاقى النياس منتهى الضيق من جراء فرض هـذه الغرامة و حتى اضطروا إلى بيع متاعهم ومصاغهم فـلم يجدوا من يشترى وضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه ، ثم وقع الترجى فى قبول المصاغات والفضيات فأحضر الناس ماعندهم فكانوا يقومونه بأبخس الأثمـان ".

#### السكون بعد العاصفة:

ولما هدأت الحال شعر الناس والجنود باقتراب عهد سعيد جديد اذ انتظمت العلاقات بين مصر وفرنسا وصار البريد يصل الى مصر في كل

شهر ، وشرع كليبريقوم باصلاحات جمة ويعيد تنظيم الحملة من جديد بعد أن كان قد لحقها الفشل ودب فيها دبيب اليأس، وأهم هذه الاصلاحات: إنشاء المصانع المختلفة بهمة و كنتيه Conté "لإنتاج ما كان ينقص الحملة من مختلف الحاجات ، ثم إنه نظم و الحجمع العلمي " وكون لجانا أرسلها في مختلف الحهات لمزاولة البحث وكتابه التقارير العلمية ، ومن أعماله أيضا أنه زاد في صفوف الحملة باضافة فرق جديدة من الطوائف الشرقية المسيحية و بني الحصون والقلاع بالقاهرة والاسكندرية.

## قتل كايبر:

و بينها هو مكب على هذه الاصلاحات اذا بشخص سورى اسمه ووسليمان الحلبي " قد انقض على كليبر أثناء ما كان يتنزه فى حديقة منزله فطعنه بخنجره فى قلبه فخر صريعا فى ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠ وعمره ٤٧ سنة و بفقده فقدت الحملة أعظم رجل يستطيع إنقاذها .

#### مينو:

ر وخلفه أقدم الضباط فى الحملة وهو القائد و مينو Manou " وعمره اذ ذاك ستون سنة ، واشتهر مينو بحسن الادارة ودماثة أخلاقه وشدة تعلقه بن ابليون إ وقد يظهر لأول نظرة أن و مينو " بسبب سياسته ومعارضته دخول كليبر فى مفاوضات الصلح مع الترك و رفضه الدخول فى هدذه المفاوضات بعد موت كليبر أنه أصلح الضب طلرياسة . ولكن تعيينه فى الحقيقة لم يثر حماسة الجند بسبب تحوله الى الاسلام و زواجه من مسلمة . وايس من شك أنه كان أقل كفاءة من سلفيه وأنه لم يكن يصلح لقيادة الحملة لأنه بحكم نابليون لم يسبق له أن تولى قيادة الجيوش ضد العدو وما سبق أنه كسب موقعة قط . على أن مينو اضطلع بأعباء الحكم وسار فى ادارته بكل حزم فنظم المالية و وحد صفوف الجيش وقضى على المنافسات الحزبية وقوى الحصون ، واستمر كذلك الى مارس سنة ١٨٠١ لم ينغص عليه سوى

BIBLIOTHECA ALEXANDRIMA

شيء واحد، وهو عدم تبادل الثقة والتفاهم بينه و بين كبار الضباطف الحملة فانجهله بالأمور الحربية جعله يرتاب في آراء زملائه و يشك في اخلاصهم وحسن نيتهم نحوه، وهذا الشعور هوالذي سبب انهزام الحملة أمام الانجليز في النهاية .

والحقيقة أن الحالة كانت تتطلب تدخلا سريعا وحاسما من جانب نابليون لا سيما أنه كان على رأس حكومة القنصلية ، ولكن اهتمام نابليون بشأن الحملة أخذ يقل شيئا فشيئا كلما اتسعت دائرة مطامعه فى أو ربا ، وكل ما حاوله أنه أرسل وو غانتوم "سنة ١٨٠١ بحملة بحرية وهذا لم يجرؤ على اختراق البحر الأبيض فتركت الحملة وشأنها .

## موقف الحكومة الانجليزية :

وكانت الحكومة الانجايزية قد تأكد لها ضعف تركيا وعجزها أمام الفرنسيين على أثر موقعة أبى قير البرية وموقعة عين شمس فصممت على الدخول في الحرب بنفسها ، ووقفت ترقب الحالة وتتامس الفرصة ، فلما قتل كليبر ، ورأس الحملة مينو اغتنمت الفرصة وعولت على بذل أقصى جهدها لإخراج الفرنسيين من مصر ، فأرسلت (أولا) حملة انجليزية مكونة من ، ، ، ، ، ، بينهم عدد كبير من الجنود المرتزقة برياسة والسير رالف أبركرمبي جهة حدودها الشرقية بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضيا و يبلغ عددها جهة حدودها الشرقية بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضيا و يبلغ عددها الانجايزية وتسير في فرع رشيد برياسة حسين باشا القبطان ، (رابعا) وأخيرا قوة هندية ترسلها حكومة الهند وتصل الى مصر عن طريق القصير وقنا وعددها Sir David Baird » . .

وفى أوائل مارس سينة ١٨٠١ نزل الانجليز عند أبى قير ولم يكن لدى وفي أوائل مارس سينة ١٨٠١ نزل الانجليز عند أبى قير ولم يكن لدى وشريانت Friant والاسكندرية الفرنسي سيوى ٥٠٠٠ جندى لمواجهة العدو فلم يستطع ايقافه ونزل باقى الحملة الانجليزية وسرعان ماصار الطريق إلى القاهرة مهددا .

#### سوء تدبير مينو:

أما مينو فانه أظهر ضعفا متناهيا وسوء تدبير وعنادا لايتفق مع خطورة الحالة فانه أبي أن يستمع للخبيرين من الضباط وأصرعلى تقسيم قوات الحملة بدلامن جع مالديه من القوات لمواجهة الانجليز ومنعهم من النزول أو التقدم الى القاهرة . ولكن مينو كان يخشى هجوم الأتراك من الناحية الشرقية فترك الحاميات محتلة داخلية البلاد كاترك بالقاهرة قوة كبرى ، وفاته أن الأتراك لا يجرءون على الزحف بمفردهم وأنهم سيتقدمون مع الانجليز خطوة بخطوة . لا يجرءون على الزحف بمفردهم وأنهم سيتقدمون مع الانجليز خطوة بخطوة . وعلى ذلك سار مينو شما لا ومعه قوة تبلغ . ، ، ، ، ، ، ، وتقابل الطرفان في موقعة ووقانوب Canope " جنوبي أبي قير وانهزم الفرنسيون فارتدوا الى الاسكندرية و تحصن و مينو " داخلها ، أما الانجليز فحسر وا قائدهم الى الاسكندرية و تحصن و مينو " داخلها ، أما الانجليز فسر وا قائدهم

وعلى دلك سار مينو سمالا ومعه قوه سبع ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، وقع بن الطرفات في موقعة وو قانوب Canope " جنو بي أبي قير وانهزم الفرنسيون فارتدوا الى الاسكندرية وتحصن و مينو " داخلها ، أما الانجليز فحسر وا قائدهم أبركرمبي وتولى بدله و هتشنسون Hutchinson " وسار وا ببطء نحدو الجنوب قاصدين القاهرة وكان الماليك قد انضموا الى الحملة وزادوا في عدد فرسانها ، ولما وصلت الحملة و الرحمانية " اتصل الانجليز بالحملة العثمانية السائرة في النيل وسقطت الرحمانية في أيدى الانجليز بعدمتا وشات مع الفرنسيين و بذلك قطعوا طريق الاتصال بين الحملة الفرنسية في مصر وقائدها مينو في الاسكندرية ، و واصلت الحملة السير ببطء نحو الجنوب الى أن وصلت القاهرة في يونيه وكان الانجليز ينتظرون قيام معركة حامية مع الفرنسيين قبل القاهرة و لكن لشد مادهش الانجليز عندما علموا أن و بليار Belliard " قائد الحامية طلب الصلح في حين أن عدد الفرنسيين كان يقرب من ١٦٠٠٠ من هؤلاء ، ، ، ٨ يستطيعون حمل السلاح .

## تسليم القاهرة :

/ أما الشروط التي سلم بها الفرنسيون في ٢١ يونيه سنة ١٨٠١ فهي عين الشروط التي كان قد اتفق عليها بالعريش في ينايرسنة ١٨٠٠ وهي خروج الفرنسيين بعددهم وأسلحتهم على سفن العدو وترك الحرية لهم اذا عادوا

الى أوطانهم . وعلى أثر ذلك أخذ الفرنسيون يتأهبون لمغادرة البلاد ودخل العثمانيون وأمراء المماليك القاهرة وبقى الانجليز معسكرين ببر الجيزة . بر

وفى ذلك الوقت كانت الجملة الهندية التى خرجت من وق كلكا "في ديسمبر سنة ، ١٨٠ قد وصلت الى الجيزة فلم تشترك في حرب ما ولكنها سارت شمالا فساعدت في تضييق الحصار على وق مينو "الذي أصر على المقاومة للنهاية رغم تسليم و بليار " ، ولولا اختلافه مع الضباط والجنود وارتيابه في نيات البعض منهم لطال أمد مقاومته الى وقت إبرام الصلع العام اذ كان نا بليون قد أتم صلح و لونقيل " مع النمسا سنة ١٨٠١ و بدأت مفاوضات صلح و أمين " سنة ١٨٠١ ولو استطاع و مينو "المقاومة شهرين آخرين لتم الصلح ولفرنسا نصيب من الغنيمة ، ولكن ماء البحر و بحيرة مربوط كان يحيط بمينو ، وكان الانجلير يضيقون عليه الحصار يوما يغادرون البلاد حاملين معهم أبحاثهم وأوراقهم وأشياءهم ، وكان الانجليز قد اشترطوا أولا تسليم الأبحاث والأو راق اليهم فأبي العلماء وهددوا بقذفها في البحر اذا أصر الانجليز على هذا الشرط وعند ذلك عدل الانجليز عن طلبهم .

# الفصل الخامس نتائج الحملة الفرنسية

#### من الوجهة الحربية:

انتهت الحملة بعد أن بقيت بمصر ثلاث سنوات وثلاثة شهور ولم تكن لها نتيجة تذكر من الوجهة الحربية ، ولكن نتائجها السياسية والأدبية والاقتصادية كانت ذات شأن عظيم .

فن الوجهة الحربية لم تحقق الجملة الأغراض التي قامت من أجلها فلا الجملة استطاعت أن تتصل بالمستعمرات الانجليزية في الشرف فتعمل معها على تقويض دولة الانجليز الاستعارية ، ولا هي حاولت قطع الطريق بين انجلترا والشرق بانشاء قناة السويس والسيطرة عليها، ولا تمكنت من تكوين مستعمرة فرنسية في مصر توازن مالانجلترا من المستعمرات في الشرق ، وأهم أسباب الفشل من هذه الوجهة تفوق القوة البحرية الانجليزية تفوقا ظاهرا بعد تدمير الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية وقد ظهر أثر هذا التفوق أمام عكا وفي المحاوليين اللتين قامت بهما الحكومة الفرنسية لإنقاذ الجملة الأولى بقيادة وبروى Bruix سنة ١٨٠١ والثانية سنة ١٨٠١ بقيادة ونانتوم ، ومن نتائج هذا التفوق التي كان لها أسوأ تأثير في مصير الجملة تضييق الحصر البحري على السواحل المصرية مما أدى الى كساد التجارة وسوء الحالة الاقتصادية العامة في البلاد .

#### الوجهة السياسية:

أما من الوجهة السياسية الدولية فانه منذ 1 مايو سنة ١٧٩٨ وهو اليوم الذي خرجت فيه الحملة الفرنسية من ميناء طولون قاصدة مصر ولدت والمسألة المصرية "وأخذت صبغتها السياسية فورا لأنهاذا كان الاستحواذ

على الهند يعد مغنما اقتصاديا هاما فان الاستيلاء على مصر بعد أن استقر بأرضها نابليون بمثل تلك السهولة أصبح من المسائل السياسية الدولية الأولى التي ما فتئت تشغل بال الدول الى الآن ، ففرنسا وحدها هي الأولى التي اخترقت بصدق نظرها الحجب السميكة التي أخفت مركز مصر عن أنظار الدول في ذلك الوقت وهي التي عملت على أخذ العالم على غرة بالاستحواذ عليها ، وكانت مصر الى ذلك الوقت بعيدة عن أفكار الدول لا يعلمون عنها الا أنها ولاية عثمانية شرقية ، فلما نجع الفرنسيون في احتلالها و رأت الدول ما يمكن أن تجنيه فرنسا من الفوائد التجارية والسياسية تاقت نفس كل منها الى التدخل في مصر و إحراز بعض الغنائم منها .

وما كانت الدول لترتبك بشأن مصر بسبب خصب أرضها أو جودة هوائها أو سوقها التجارية بل هناك أشياء خاصة تتنازع من أجلها الدول وهي المواصلات المختلفة ، والموقع الحربي ، والنفوذ السياسي فيها ، لأن مركز مصر في شرق البحر الأبيض المتوسط بين القارات الثلاث مع قربها لأوربا وسيطرتها على طريق الشرق ، وسهولة تهديدها لفلسطين والشام من الوجهة الحربية جعل لها شأنا دوليا زاده أهمية فتح قناة السويس وكشف منابع النيل في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، هذا سبب اهتمام الدول وخاصة انجلترا بأمر مصر .

أما انجلترا ففطنت فى الحال الى أرن لمصر مركزا حيويا بالاضافة الى علاقاتها مع مستعمراتها فى الشرق ، وأنه اذا فاقها فى مصر عدو لها أمكنه أن يكيد لها كيدا عظيا ولذلك لم تأل جهدامنذ ذلك الوقت فى انتهاز كل فرصة للتدخل فى مصر ومحاربة من يتصدى لتقوية مركزه فيها دونها .

غيرأن هذا العداءلم يؤثر في مركز فرنسا الأدبى بمصر بعد أن غادرتها الحملة اذ أصبح للفرنسيين المركز الأول في نظر المصريين وأصبحواهم ممثلي المدنية الغربية والرقى ، واعتبر المصريون أنفسهم مدينين لفرنسا وتلاميذ لأبنائها فلما حان الوقت واحتاجت مصرالي رجال يصلحون شؤونها استعانت بضباط

فرنسيين في تنظيم جيوشها ، وبمهندسين فرنسيين في تنظيم ريها وطرقها ، و بأطباء فرنسيين وأساتذة ومشرعين فرنسيين .

وبدأ الفرنسيون يزيدون في عدد مرب بقى منهم بعد ذهاب الحملة فأسسوا جالية كبيرة صناعية وتجارية وأصبحت الصلة التي تربط فرنسا بمصر أشبه بالصلة التي تربط الأستاذ بتلميذه ، وهذا يفسر كثرة الأموال التي دفعها الفرنسيوري في القروض التي أصدرتها الحكومة وفي انشاء قناة السويس ، وظلت فرنسا مدة قرن تقريبا حافظة نفوذها الأدبى الى أن جاء الاتفاق الفرنسي الانجليزي سنة ٤٠٩١ فذهب بهذه الميزة .

#### ظهور المسألة العربية :

وكما أن الحملة الفرنسية على مصر كانت سببا فى ظهـور المسألة المصرية فى عالم السياسة الدولية كذلك كان وجود نابليون فى مصر مدعاة الى التفكير فى تكوين وحدة عربية لجميع العناصرالعربية الخاضعة لتركيا. وقد ققى هذه الفكرة فى ذهن نابليون ماشاهده من العداء والحلاف المستحم بين العنصرين العربي والتركى . ويدلنا على اهتمام نابليون بتنفيذ هذه الفكرة — فكرة تكوين دولة عربية مركزها مصر — عنايته باللغة العربية ونشره المنشورات المختلفة باللغة العربية وأثناء حملته على تلك باللغة العربية وأثناء حملته على تلك البلاد، ومع أن الحملة قد باءت بالفشل فان الفكرة ظلت قائمة وقد حاول تنفيذها و محمد على "واستخدمها الحلفاء فى الحرب العظمى ضد تركيا .

#### من الوجهة الداخلية:

أما من الوجهة الداخلية فقد كان المصريون قبل دخول الفرنسيين في مصر في سبات عميق، بمعزل عن العالم المتمدين ، لا يعرفون عن المدنية الأوربية شيئا فأ يقظتهم الهزة العنيفة من سبات كانوا فيه منذ العصور الوسطى وفتحت أعينهم لعصر جديد ومدنية جديدة تنطوى على معلومات وعدد وأفكار وأنظمة لاعهد لهم بها من قبل ، فآنس المصريون من هذا الضوء بريقا لامعا وتنسموا في الهواء عنصرا منعشا من ناحية أوربا فاندفعوا بالطبيعة نحوها وأصبحت أوربا من ذلك الوقت موضع اعجابهم وارها بهم في آن واحد .

كذلك قضت الجملة على سطوة الماليك فى البلاد وفلت شوكتهم وأظهرت ضعفهم وعجزهم أمام المصريين الذين رأوا لأول مرة فى تاريخهم الحديث إمكان اعتادهم على أنفسهم دون الماليك ، فقد كان من أول أعمال نابليون فى مصر اشتراك المصريين فى الحكم وتكوين المجالس الوطنية فى القاهرة وفى الأقاليم لمساعدة الحكام العسكريين من الفرنسيين وقد أدخل مبدأ الانتخاب بدلا من التعيين فى الوظائف الحامة . فترك للديوان الوطني حق اختيار رئيسه وسكرتيره . ولما خلت وظيفة قاضى القضاة التي كان يشغلها أحد العلماء الأتراك دعى المشايخ الى اختيار شيخ مصرى يقوم بالوظيفة بدلا من القاضى العثماني . وهكذا تمون المصريون فى أثناء وجود الفرنسيين على أن يقرموا بنصيبهم فى حكم البلادفكان لهذا التدر ب أثره فى الحوادث المستقبلة .

### من الوجهة العلمية :

أمامن الوجهة العلمية فان أهم وأبق أثر تركته الجملة في مصر هو ماخلفه العلماء من الأبحاث العلمية والعملية التي أضاءت الطريق أمام الباحثين ووضعت أساس تقدم البلاد العلمي والصناعي والاجتماعي . ومن حسن طالع البلاد أن جاء مع الحملة نوابغ النظريين ونوابغ العمليين فكان وممنج Monge أكبر رياضي جنب وليبير Lepére "أكبرالمهندسين ووكنتيه كون المخترعين . وقد ذكرنا أن نابليون بونا برت هو أول من كون المجمع وقسمه الى لحان مختلفة ، غير أن المجمع لم ينشط الا في عهدي كليبر ومينو ، ففي ١١ نو فمبر سنة ١٧٩٩ كون كليبر لجنة كبرى لتنظيم عمل المجمع ووزعت الأعمال على اللجان الآتية :

- (١) للتشريعوالديانة والعادات. | (٦) للتجارة والصناعة .
  - ۲) للإدارة .
     ۲) للزراعة .
  - (٣) لنظام الشرطة . (٨) للتاريخ الطبيعي .
  - (٤) للتاريخ والحكومة . (٩) للآثار القديمة .
  - (٥) للحالة العسكرية . (١٠) للنيل والفيضان .

فكان أعضاء اللجان يطوفون فى الأقاليم والقرى باحثين منقبين مستعلمين من الأهالى والحكام عن كل ماله علاقة بموضوع بحثهم ، ومن أهم هذه الأبحاث درس مشروع وصل البحر الأحمر بالأبيض :

ان أول عمل قام به المجمع هو كشف أثر القناة التي كانت توصل البحرين ؟ الأحمر بالنيل وفحص برزخ السويس بقصد انشاء قناة توصل البحرين ؟ وكانت اللجنة التي ذهبت لدرس المسألة برياسة المهندس وولي بيريوس مع اللجنة في ديسمبر سنة ١٧٩٨ . إما ووليبير" فانه كتب تقريرا فنيا وافيا في الموضوع أظهر فيه أهمية استخدام هذا الطريق وأفضليته على الطريق الأخرى الموصلة للشرق ، وقد استرشد ودلك على الرغم من الحطأ الحسابي الذي وقع فيه ووليبير" وكانت نتيجته أن وذلك على الرغم من الحطأ الحسابي الذي وقع فيه ووليبير" وكانت نتيجته أن يفيض الماء على أرض الدلتا اذا فتحت القناة .

ومن الأعمال المهمة أيضا وضع خريطة جغرافية صحيحة للقطر المصرى، وقد تم وضعها فى سنة ، ١٨٠ فى عهد مينواذكون لجنة من المهندسين لمسح أراضى القطر و جمع المعلومات اللازمة لوضع الخريطة التى قام بوضعها نهائيا و جاكوتين Jacotin ".

ثم يلى ذلك مر الأعمال: الأبحاث العلمية والطبية والفنية والمناخية والحيولوچية والمائية الخاصة بالنيل وفيضائه. وأهم هذه الأبحاث ما قاموا به فى دراسة الآثار القديمة فى وطيبة و وابيدوس أو والعرابة المدفونة ووعين شمس فقد وصفوا هذه الآثار وصفا دقيقا بقدر ما وصل اليه علمهم ونقلوا صورها بأيديهم ، وفى سنة ١٧٩٩ عثر الضابط الفرنسي وشيار Bouchard قرب رشيد على الحجر المعروف بذلك الاسم وعليه كابة باللغات الثلاث الهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية ، وظن العلماء حينذاك أنهم عثروا على مفتاح اللغة الهيروغليفية ، غير أن الحجر وقع بأيدى الانجليز فى أثناء حملتهم الأولى سنة ١٠٨١ فعادوا به الى لندن حيث حفظوه

فى المتحف البريطانى الى أن انبرى لتفسيره وحل طلاسمه العالم الأثرى الفرنسي ومشميليون Champollion "سنة ١٨٢٢ ومهد بذلك تكوين علم جديدأفاض النورعلى تاريخ مصرالقديم هو علم الآثار المصرية والاچپتولوچي

أما الصناعات والمعامل التي أقامها الفرنسيون بمصر لتغنيهم عن مصنوعات أورو با التي فقدوا أسباب الاتصال بها فكثيرة أهمها صناعة المنسوجات والورق والبارود وعمل آلات لسك النقود ولرفع المياه ودبغ الجلود وللجراحة . وللحملة يرجع الفضل في انشاء المستشفيات والمكاتب وطبع الجرائد وادخال المطبعة العربية التي قامت على أنقاضها مطبعة بولاق التي أوجدها مجد على ، ولهم فضل كبير في تأديب عرب الصحراء الذين كانوا يغيرون على القرى وفي تحصين القاهرة وساحل مصر الشهالى وغير ذلك من الاصلاحات التي، وان لم تكل اذ ذاك فانها ، كونت النواة التي تجمعت حولها اصلاحات على في المستقبل .

# الفصل السادس تنازع البقاء في مصر بعد الحملة

فرح المصريون وابتهجوا بخروج الفرنسيين ودخول الأتراك وحافائهم من المماليك ولكن ما كاد الأتراك يستقرون بالبلاد حتى ساد الاضطراب واستقبلت البلاد في المدة مرب يونيه سنة ١٨٠١ ويونيه سنة ١٨٠٥ عهدا وصلت فيه الفوضى الى درجة ليس لها مثيل فقد تعاقب عليها في هذه المدة سبعة حكام قتل منهم اثنان وطرد الباقون بعد أن سجنوا ، وفي هذه الفترة كاتب بعض المماليك حكومة فرنسا طالبين حمايتها واتفق آخرون على طلب حماية انجلترا ، وقد نزل في هذه المدة بمصر كثير من مختلف الجنود العثمانية : ارناؤود وانكشارية ودلاة تنازعوا فيا بينهم . وهناك عاملان ساعدا على ارتباك الحالة :

أولا — سوء الحالة الاقتصادية في البلاد وهذا أعظم ما كانت تشكو منه مصر في ذلك الوقت وذلك بسبب استمرار الحرب مدة ثلاث سنوات متتالية كانت فيها البلاد ميدانا للحرب أمام ثلاث قوات كبرى: الفرنسيين والعثمانيين والانجليز. ولا شك أن استمرار هذه الحروب وما ترتب عليها من قيام الثورات الداخاية واضطراب الأمن قد دعا الفلاح الى هجر منارعه والصانع والتاجر الى ترك ووقف عملهما فاشتدت ضائقة البلاد الاقتصادية وعمد الحكام الى طرق القسر والاعتساف للحصول على المال اللازم.

ثانيا — تعدّد السلطات التي خلفتها الجملة الفرنسية في مصر. فكانت القوة الانجليزية لاتزال باقية بقيادة وهمتشنسون في الاسكندرية و بقيادة والمستعمر المستعمر المستعمر أما مالقاهرة عند الجيزة. أما القوة العثمانية فكان يمثلها القبطان حسين باشا في الاسكندرية والصدر يوسف باشا ضيا في العاهرة. وهناك قوة المماليك التي كانت منتشرة في البلاد. وكانت كل قوة من هده

القوى تعمل ضد الأخرى وتنتهز الفرص للتفوق عليها فضلا عن أن الأتراك والهاليك كانوا منقسمين شيعا ونرقا وأصبحوا فى نزاع حزبى مستمر جرعلى البلاد مصائب جمة .

والآن نبحث في مركز القوات المختلفة بعد خروج الحملة :

#### العثمانيون :

بمقتضى المعاهدة التي تمت بين الانجليز والأتراك سنة ١٧٩٩ ضمنت انجلترا لتريجا سلامة أملاكها كما كانت قبل دخول الفرنسيين مصر. ومعنى ذلك أن لتركيا أن تتسلم حكومة البلاد قانونا بعد خروج الفرنسيين، والحقيقة أن الأتراك بذلوا جهدا عظما في سبيل طرد الفرنسيين من مصر، وقد شاهدنا أثرهــذه الجهود عند عكا وأبى قيروعين شمس . ومع أن الفشل كان نصيب الأتراك في هــذه الوقائع فانها على كل حال تدل على عظم الضحايا التي بذلتها تركيا في سبيل استرداد مصر . لذلك اعتقد الأتراك أن ألمصريين مدينون لهم بحريتهم و بخلاصهم من وو الكفرة " الفرنسيين وأنه يجب على المصريين في مقابل ذلك أن يتحملوا عن طيب خاطر مغارم الأتراك ومطالبهم من غير شكوى أو اعتراض . وكان الأتراك مصممين في هذه المرة أن يُحكموا البلاد بأنفسهم دون أن يمكنوا المماليك من استرجاع سلطانهم الأوّل . وذلك لأنهم اعتبروا أنفسهم فاتحين مصر من جديد فلهم أن يحكموا البلاد مباشرة من غيروساطة الهـاليك ، وعلى ذلك عاد الأتراك الى حكم البلاد بطرقهم الأولى غير مكترثين بشيء سوى الاستحواذ على المال بكل الطرق، ولما كانت موارد ثروة البلاد في تأخر مستمر لجأ جنود الأتراك الى النهب والسلب والسطو على البيوت والأفراد والمحال التجارية. ومما زاد الحالة حرجا انقسام الأتراك الى طوائف متعادية فكانت المعارك بين الجماعات والأفراد تنشب في كل وقت وفي كل شارع مما أدى الى إغلاق الحوانيت ومحال التجارة وتملك الفزع من النفوس .

#### الماليك:

أما المماليك فساعدوا الأتراك والانجليز في حملاتهم ضد الفرنسيين واليهم يرجع الفضل في مناوأة القوات الفرنسية في الصعيد ونشر الدعوة من سوريا ومصر ضد الفرنسيين ، لذلك كانوا هم أيضا يمنون أنفسهم بعد خروج الفرنسيين بأن ينالوا مركزهم القديم في البلاد لا سيما أنهم كانوا أعرف الهيئات بالبلاد و بطرق حكم الفلاحين وأكثرهم دربة على حكومة البلاد. وقد كان في استطاعتهم حقا أن يحسنوا مركزهم ويستعيدوا سلطانهم لو أنهم غيروا طرق حكمهم الأولى وفهموا ضرورة استالة الشعب اليهم بعد أن تدرب على الاشتراك في الحرف ووق قوته وحقوقه في أثناء حكم الفرنسيين .

ولكن المماليك ووكأسرة البوريون " فى فرنسا بعد عودتها الى الحكم لم تتعلم شيئا من محنها ولم تنس شيئا من ماضيها ، ففشل المماليك كما فشل الأتراك . وترجع أسباب فشلهم الى ما يأتى :

- (١) قضت الحملة الفرنسية على نفوذ المماليك فقللت من عددهم وأضعفت من جانبهم، ولما لم يكرف في استطاعتهم شراء الرقيق من الخارج لملء صفوفهم بسبب معارضة الباب العالى الذي كان يسيطر على أسواق الرقيق و بلاده اضطروا الى استخدام بعض الأعراب ومع ذلك فان عددهم لم يزد كثيرا على ٤٠٠٠ ومثلهم من البدو.
- (۲) أنقسم الماليك أحزابا فظهر بينهم حزب يمالئ الانجليز وزعيم هذا الحزب محمد بك الألفى ، وحزب آخريعارض الأول فى سياسته ويريد أن يتقرب الى الفرنسيين، وأنصار هذا الحزب من أتباع مراد بك الذى مات سنة ١٨٠١ وخلفه وو الطمبورجى بك "ثم وو البرديسي بك ".
- (٣) كره الأهالى لهم بسبب سطوهم على القرى ورغبتهم فى التمتع بخيرات البلاد دون غيرهم من العناصر .
- ( ٤ ) مناوأة الأتراك للماليك ورغبتهم في التخلص منهم إما بالدسيسة وإما بالحرب .

#### مؤامرة الأتراك ضد الماليك:

وفعلا أبدى الباب العالى فى أول الأمر رغبته فى أن يتمكن ممثلو سلطته من الايقاع بالمماليك ، وتنفيذا لهذه الرغبة دعا حسين باشا القبطان فى الاسكندرية و الطمبورجى بك "خلف مراد بك لزيارته على احدى سفن الأسطول بأبى قيرهو وأتباعه ، وأرسل يوسف ضيا باشا فى القاهرة الى ابراهيم بك وأتباعه دعوة أخرى لزيارته فى معسكره ، وقد قتل عدد منهم فى أبى قير فى عرض البحر ، ومن الذير قتلوا الطمبورجى بك زعيم فى أبى قير فى عرض البحر ، ومن الذير قتلوا الطمبورجى بك زعيم المراديين ، ولكن تدخل القائد الانجليزى و رمنى " وخلصهم مر فتك العثمانيين بهم .

بعد ذلك لم يأمن المماليك البقاء في القاهرة مع العثمانيين ، ووطنوا أنفسهم على محاربتهم حتى النهاية ، وخلف الطمبورجي ووعثمان بك البرديسي وهو من أقوى زعماء المماليك وأحسنهم سياسة فبدأوا يشكون الى نابليون سوء حالهم وكتبوا اليه يقولون إنه هو الذي أوصلهم الى حالة البؤس والضعف التي هم فيها ، ويرجون أن يساعدهم في اعادتهم الى سلطانهم الأول ويسمحون له مقابل تدخله بأى امتيازات يرضاها ، غير أن نابليون كان قد شغل عن مصر بمطامع أخرى فلم يأبه لصرخة المماليك ، وسرعان ما قامت الحرب بينهم و بين الأتراك .

## الكفاح بين الأتراك والماليك :

وكان و محمد باشا خسرو "أول وال عثمانى عين بعد خروج الحملة قد أرسل جيشا لمحاربة المماليك فانهزم الجيش عند بنى سويف وانتشر المماليك في الوجه البحرى وتحصنوا عند دمنهور واتصلوا بالانجايز الذير كانوا بالاسكندرية والذين ما فتئوا يعضدونهم وخاصة بعد اتفاق نابليون وتركيا ، فانتصر البرديسي انتصارا عظيا على الأتراك عند دمنهور في نوفمبر سنة ١٨٠٢

ولكن الإنجليز لم يستمروا طويلا بالبلاد اذ اضطروا الى مغادرتها عقب صلح <sup>90</sup>أمين عبن فرنسا وانجلترا وعلى ذلك سرعان ماضعف مركز المماليك وظلواكذلك الى أن انضم معهم محمد على فرجحت كفتهم على الأتراك ولكنه عاد فانقلب عليهم وما زال بهم حتى قضى عليهم .

#### موقف الانجليز :

بقيت القوات الانجليزية محتلة سواحل البلاد وموانيها الى أن تم صلح أمين سنة ١٨٠٢ بين انجلترا وفرنسا وبه نزل كل جانب عما احتله في أنناء الحرب ، وتحتم على أساطيل انجلترا وجنودها الخروج من مصر وتم ذلك فعلا في مارس سنة ١٨٠٣ ، غير أن السياسة الانجليزية بقيت تعمل في مصر. هذه السياسة كانت ترمى إلى الإحتفاظ بنفوذها السياسي في البلاد ومنع تفوق أية حكومة غير محالفة لانجلترا حتى لا يتأثر مركزها السياسي وتتعرض مصالحها التجارية والاستعارية للخطر وهذا كله بسبب أهمية مصر بالنسبة لمواصلات الامبراطورية الانجليزية في الشرق.

واعتمدت انجلترا فى أول الأمر على أن محالفتها مع تركيا تجعل نفوذها السياسى فى مصر متفوقا على نفوذ أية دولة أخرى . غير أن صداقة تركيا لانجلترا لم تدم طويلا بعد خروج الفرنسيين من مصر اذ سرعان ما تمكن نابليور ... من كسب تركيا لجانبه بفضل مساعى سفيره فى القسطنطينية وسباستيانى Sebastiani "وخرجت تركيا من المحالفة ضد فرنسا .

عند ذلك عولت انجلترا على استخدام الماليك فى مصر لمصلحتها ، وقد شاهدنا كيف أن الماليك كانوا منتصرين على الأتراك بفضل معاضدة الانجليز لهم ، وقبل أن يغادر الانجليز البلاد كونوا حزبا يعمل على تنفيذ السياسة الانجليزية فى مصر ولهذا الغرض أخذوا معهم عجد الألفى بك زعيم الحزب الى انجاترا حيث أكرموه وقدموا اليه الهدايا الفاحق ومنوه بالسعى لدى الباب العالى حتى يتسلم الماليك مقاليد الأمور بمصر واذا ما تم لهم ذلك تركوا حماية السواحل الشمالية للأسطول البريطاني .

غير أن الألفى بك لم يفلح فى سياسته بعد عودته وذلك لمعارضة زعماء الماليك الآخرين عثمان بك البرديسي وابراهيم بك اللذين اتفقا مع عهد على وتمكنا من قهره ، ولما طاش سهم الانجليز سعوا لدى الباب العالى بأن يصدر أمره بطرد مجد على من مصر ومعه جنوده الأرنؤود ، ولما أخفقت هذه الخطة كشفت انجلترا القناع وأرسلت حملة القائد وفريزر Fraser" سنة ١٨٠٧ لغزو مصر .

#### موقف فرنسا:

أما فرنسا فظلت مرتبطة بمصر أدبيا ولكنها سياسيا لم تهتم بشأن مصر لاشتغال نابليون بمطامعه وحروبه فى أورو با ،غير أن الحكومة الفرنسية أدركت منأول وهلة أنهناك عنصرا جديدا يعمل لمصاحة المصريين ضد الأتراك والماليك و يطمح الى تنفيذ وتتميم الخطة والعمل الصالح الذى بدأه بونابرت فى الشرق ، لذلك عملت على معاضدته منذ الساعة الأولى ، هذا العنصر الجديد الذى ظهر فى أفق مصر هو وقيد على ".

#### مجد على :

كل هذه القوات والفئات فشات ولم تستطع حكم البلاد لأنها لم تستمد قوتها من أهل البلاد ولم تدرك روح القومية الجديدة التي تجلت بين الشعب المصرى بسبب تدربه على العمل مع الفرنسيين الذين أشركوه في الحكم، ونجاح فرد واحد لم يكن شيئا مذكورا بجانب قوات المماليك والأتراك لأنه أدرك بحذقه وثاقب فكره مظاهر الوطنية المصرية الناشئة فعمل معها ولها، وكسب لنفسه ولذريته ملكا وطيد الأركان ، هذا الفرد هو وقع على الأكبر؟

#### طفولة مجد على :

ولد مجد على فى مدينة وتقوله " فى بلاد الرومللى أو مقدونيا وهى الآن تابعة لليونان، وذلك فى سنة ١١٨٦ هجرية أو سنة ١٧٦٩ ميلادية، وليس لدينا من المعلومات ما يؤيد صحة هذا التاريخ سوى تأكيد مجد على نفسه

إذ كان يجد غبطة وفخرا فى أنه ولد فى نفس السنة التى ولد فيها <sup>وو</sup>نابليون<sup>،</sup> و <sup>رو</sup> ولنجتن <sup>،،</sup>

وقد جرت عادة مؤرخى عظاء الرجال أن ينسيجوا حول أبطالهم ، وهم لا يزالون بعد أطفالا قصصا وحكايات وخيالات تنبئ عما هو محبوء لهم في المستقبل من عظم الجاه و رفعة الشأن . وقد ذكر الكاتبون والمؤرخون حرل طفولة مجد على حكايات مختلفة سنقص بعضها لا لأننا نعتقد صحتها ولكن لأننا نرى فيها دلالة على صفات مجد على التي ميزته في حياته :

وقد حكى مجد على عن نفسه مرارا أنه ولد لأبوين فقيرين وأنه الابن الوحيد الذى عاش لأبويه ، وأن أبويه لم يدخرا جهدا فى تربية وحيدهما ولكن زملاءه من الأطفال كانوا يرثون لهذا الابن الفقير ويقولون: وما ذا يا ترى يفعل هدذا الطفل لو مات أبواه ، إنه لم يملك شيئا ولا يستطيع الكسب بنفسه ". فكانت هذه الكلمات اذا وصلت الى آذان عد على ألهبت غيرته وأثارت همته وحماسته ، فكان لا يترك فرصة تمر من غيرأن يظهر فيها تفوقه على أقرانه مهما لاقى وعانى فى سبيل ذلك .

وحكى أنه خرج مرة مع رفقائه فى سياحة فى البحر الى إحدى الجزر القريبة، وبينها هم يسيرون اذ هبت العاصفة فأرغى البحر وأزبد وتضخمت أمواجه وعلت وهبطت فلم يستطع أقرانه المضى فى السياحة ونزلوا عند صخرقويب وبق عجد على بمفرده وهو يعمل فى القارب بيديه حتى أدماهما ولكنه فى النهاية وصل الى الجزيرة بمفرده ، وقد صارت هذه الجزيرة ملكا له فى المستقبل وهى جزيرة وطاشيوز ".

كان أبوه ابراهيم أغابن على من جنس تركى يقوم بوظيفة رئيس الحرس في قوله فلهامات وكان الابن طفلا كفله عمه طوسون، ثم لما مات طوسون بعد قليل كفله حاكم المدينة والشور بجي " لما أنسه في الطفل من الذكاء والصفات الممتازة ويقول البعض لقرابة بعيدة بين الأسرتين فتربي مجد على

مع ابن الشوريجي على أعمال الفروسية كركوب الخيل واستعال السيف .
ومن الذين أكرموا مثوى الولد اليتيم وعطفوا عليه أيام صبوته تاجر فرنسي
اسمه و المسيو ليون " من مرسيليا كان يتاجر في الدخان في قوله منذ
سنة ١٧٧١ ، فكان عجد على ينزدد عليه ويتعلم منه أساليب التجارة ، وقد
حفظ عجد على جميل المسيو ليون في مستقبل أيامه ولم ينس معروفه عليه على
الرغم مما وصل اليه من دولة وصولة ، فأخذ يسأل عنه وعن مقره حتى اهتدى
الى عنوانه سنة ١٨٧٠ وأرسل يدعوه الى مصر ، وقد تأهب ليون للسفر
فعلا ولكنه مات قبل أن ينفذ عزمه ولما علم محمد على خبر موته كتب
يعزى أخته وأرسل اليها هدية قيمة .

ومن الحكايات التي يذكرها المؤرخون والتي تظهر ما أو تيه مجمد على من الدهاء والحزم والجرأة أن أهل قرية وربوسطه "امتنعوا عن دفع المال المطلوب فتكدر الشور بجى واستعصى عليه حل المشكل لعدم ميله الى استعال طرق العنف ، فتقدم مجمد على وأخذ على نفسه مهمة اخضاع بروسطه ، وجمع المال المطلوب ، فأخذ معه عشرة رجال مسلحين وذهب الى وجمع المال المطلوب ، فأخذ معه عشرة رجال مسلحين وذهب الى أعيان القرية لتبليغهم أمرا يهمهم ، فأسرع الرجال بالحضور وحال دخولم أشار مجمد على الى رجاله بالقبض عليهم فتجمهر أهل القرية حول مجمد على أشار محمد على الحضور وحال دخولم فتجمه على الله وهددهم المالين اطلاق سراح الأعيان ، فوقف محمد على وسط رجاله وهددهم بذبح الأعيان اذا هم هموا بتخليصهم ، وعلى ذلك قاد الرجال معه الى قوله ، وفي الصباح جاء أهل القرية يدفعون الأموال المؤخرة ليخلصوا أعيانهم من الأسم .

لذلك ولما أظهره مجمد على من الهمة وصدق النظر والحكم في الأمور كافأه الحاكم برتبة و يوزباشي "وزوجه باحدى قريباته وكانت أرملة ذات ثروة فولد له منها خمسة منهم ثلاثة ذكو رهم وابراهيم" و وو طوسون" و و اسماعيل " ، الأول سماه باسم والده ، والثاني باسم عمه ، والثالث باسم مربيه الشور يمي ، ويظهر أن زواج مجمد على بالأرملة وولادة ابراهيم

فى نفس السنة التى تزوج فيها قد دعا الى القول بأن ابراهيم لم يكن ابنا حقيقيا لمحسمد على بل هو ابن متبنى ، وهذه الدعوى لا تستند الى أدلة ثابتة ، والحقيقة التى اتفق عليها أكثر الرواة والمؤرخين والتى ذكرها محمد على كثيرا هى ما أثبتناه ، ويؤيد هذا الرأى تقارب الشبه بين الوالد وابنه ووجود أبناء آخرين لمحمد على غير ابراهيم ، وبقاء العلاقات بين الاثنين على أحسن ما تكون العداقات بين ابن باروأب رحيم ، وأخيرا اعتراف الباب العالى رسميا بهذه النسبة .

وبسبب الثروة التي كانت لزوجته زاول مجمد على مهنة التجارة في السلعة التي اشتهرت البلاد بانتاجها وهي الدخان، وقد قضى مجمد على سنين طويلة في عيشة منزلية هادئة مجدا مثابرا في تجارته ، عاملا على تربية أبنائه و بناته، ولم يخطر بباله قط أنه سيأتي يوم يهجر فيه التجارة والوطن ويقوم في حملة حربية إلى بلد بعيد (١).

وقد جاء هذا اليوم في سنة ١٨٠١ حينما اتفقت انجلترا وتركيا على بغل أقصى مجهود ممكن لإخراج الفرنسيين من مصر فكان مجمد على ضمن القوة التي قامت مع القبطان حسين باشا وسارت في فرع رشيد بالاشتراك مع الحملة الانجليزية التي كان يرأسها و هتشنسن "، وقد كان مجمد على وابن الشور بجي على رأس القوة التي جاءت من و قوله " فلما عاد ابن الشور بجي لأسباب لا نعلمها صار مجمد على رئيسا للقوة برتبة و بمباشي "، ولما حاصرت الحملة الانجليزية حصن الرحمانية اشترك مجمد على في الموقعة وشاهد لأول مرة أساليب الحرب الحديثة، وقد أبدى مجمد على من الشجاعة ما جعل و القبطان باشا " يرقيه الى رتبة و قائد " وقد كافأه حسين باشا فوق ذلك بأن جعله في معية خسرو باشا حاكم مصر العتيد .

<sup>(</sup>۱) ومن الغريب أن محمد على لم يشر فى محادثاته الى تفاصيل هذا الطور من حياته معأن تدريبه فى التجارة كان له أعظم أثر عملى فى حياته السياسية اذ مكنته غريزة التاجرمن الانتفاع بموارد البلاد زراعيا وصناعيا وتجاريا و بذلك حصل على الثروة اللازمة لانشاء دولة على أقوى وأمتن القواعد .

#### خطة محد على المبدئية:

هذا تفسير سياسة عد على الأولى التى أوصلته الى مركز الحاكم في مصر وذلك أنه رأى تفاهة الأغراض التى يقاتل من أجلها الطرفان. فالوالى كان يريد اخضاع المماليك ليجعل مصر تحت سيطرة الباب العالى و يرسل منها كل سنة من المال أكثر ما يستطيع ارساله ليبق في منصبه. والمماليك من جهدة أخرى كانوا يويدون أن تكون مصر لأنفسهم ينعمون بخسياتها ويسومون أهلهاصنوف العذاب ، وفي كلتا الحالتين خراب مصرواضمحلالها وانحطاطها ، لذلك عول عد على على ألا يساعد في تقوية حزب دون اخروصهم على ألا يعمل الالما فيه نفعه الشيخصي ، وكان قد دبر في نفسه أن ينتفع بمركز مصر وخصب أرضها وما فطرعايه أهلها من الولاء والسكينة فيبني لمصر ولنفسه مركزا عاليا ومجدا مؤثلا. فلماذا اذن لايترك عجمعلى هذه فيبني لمصر ولنفسه مركزا عاليا ومجدا مؤثلا. فلماذا اذن لايترك عجمعلى هذه وغيلي الفئات تنطاحن حتى تسنح الفرصة . وفي أثناء ذلك يمكنه بدهائه وحزمه وعقله و بعد نظره أن يعمد العدة ليفسه ، هذا ماعول عليسه مجد على وهو الانتفاع بما يسنح من فرص والسعى لتنفيذ أغراضه لمصلحة مصر .

#### ثورة الجند على خسرو:

وكان وفخسرو" قد أمرا لجنود بالمسير الى الصعيد لمطاردة المماليك الذين رحلوا الى الصعيد وحاصروا والمنيا" وعاثوا فسادا ونهبوا وخربوا القرى والبلاد فأبى الجند السيرحتى يعطوا رواتبهم المتأخرة ، ولما لم يجابوا الى طلباتهم تجمهروا فصوب عليهم خسرو المدافع ،غير أن ووأحمد باشا طاهر" رئيس الحركة قاد الارنؤود وهزم خسرو ففر هذا الى دمياط وعين طاهر باشا واليا مؤقتا حتى يصدر أمر الاستانة بتوليته ، ولكن قامت قيامة الانكشارية وكانوا فى القاهرة مع قائدهم ووأحمد باشا " والى المدينة الذى كان يجتاز مصر وهو فى طريقه الى بلاد العرب ، فطلبوا رواتبهم أيضا وقامت الحرب بينهم وبين الأرنؤود فدخل اثنان من الانكشارية وقتلا وطاهرا" وتولى أحمد باشا الحكم وأرسل يستميل مجدعلى الذى أصبح بعد موت وطاهرا" قائد الأرنؤود وكان عددهم نحوا من ٤٠٠٠

#### اتفاق مجد على والماليك :

ولكن مجد على لم يجبه الى طلبه بل دعامن زعماء الماليك عثمان بك البرديسي وابراهيم بك فحضرا ، ودخل المماليك القاهرة بعد الاتفاق مع مجد على ، وتسلموا مقاليد الأعمال وطردوا الانكشارية وأحمد باشا الذى واصل السير الى مقر حكه فى بلاد العرب ، أصبح الأمر بأيدى المماليك فى الظاهر ولكن كل شيء كان يعمل باشارة مجد على ، فتقرب اليه الأعيان والمماليك والمشايخ وسار و البرديسي "وقبض على خسر و واعتقله فى القلعة ، وبدأ على والبرديسي يتحببان الى الناس ففتحوا نخازن الغلال وو زعوا الصدقات على الفقراء . كل هذا والوالى الجديد و على باشا الجزائرلى أو الطرابلسي "بالاسكندرية يخشى الحضو ر الى القاهرة ، و يكاتب المماليك ليتفق معهم وأخيرا سار الى القاهرة ومعه عدد عظيم من الجنود ففطن المماليك لغرضه وترصدوه فى الطريق وأجبروه على الرجوع الى سوريا ثم قتلوه فى الطريق . و بعد ذلك حضر الألفى الكبير من انجلترا فحشى البرديسي وعد على عاقبة اتفاقه مع الحكومة الانجليزية ؛ وكانت مصلحة المماليك تقضى عليهم اذ ذلك بالاتحاد ، ولكن البرديسي كان واثقا وثوقا تاما من عجد على فلم يهتم بذلك وعمل على تشتيت قوى الألفى الذى لم يسعه سوى الاختفاء .

## التخلص من المماليك :

بعد ذلك قامت ضجة الألبانيين أو الأرنؤود وطلبوا رواتبهم فأحالهم عد على على الماليك اذكان تاركا كل شيء في أيديهم ظاهرا ، ففرض البرديسي ضرائب جديدة وأرسل رسله لجمعها فذعر الناس وقاموا صاخبين وسخسط العلماء والمشايخ على تصرفات الماليك وثارت الجنود عليهم ، عند ذلك خاف عجد على أن يكيد له الماليك كما يكيد هو لهم فلم يجد مناصا من كشف الحجاب و إظهار نياته ، فأرسل في مارس سنة ٤ ، ١٨ جنود الحصار البرديسي في منزله وآخرين لحصار ابراهيم بك ، في تنفس الصبح إلا والماليك قد فروا من وجه عهد على و رحلوا مع زعمائهم من القاهرة و بذلك تخلص عهد على من مشاركة الماليك له ، ولم يبق بينه و بين غرضه النهائي الاخطوة واحدة وهي تسلم مقاليد الحكم في يده .

#### احتراس مجد على :

ولكن ذلك الباشا الحذر رأى أن الفرصة غيرسانحة ، فأملت عليه سياسته الدقيقة أن يتريث ، فعمد الى القلعة وفك أسر خسر و باشا و بعمله هذا برهن أمام الشعب المصرى أنه لم تكن له أغراض شخصية من فعلته وانه انما قام بعمله خدمة المصاحة المصرية ، وأظهر كذلك ولاءه للسلطان وعدم تآمره مع الماليك على الباب العالى ، و بذلك حسن عهد على مركزه في نظر الباب العالى ، و بذلك حسن عهد على مركزه في نظر الباب العالى وفي نظر الباب المصرى .

#### بين مجد على وخورشيد :

ولكن حيلة عجد على لم تنجح ، لأن أقرباء طاهر, باشا ثاروا على خسرو وأنزلوه فى قارب الى رشيد ومنها الى القسطنطينية . واستعمل مجد على الدهاء والصبر مرة ثانية فعين وو أحمد خو رشيد " حاكم الاسكندرية واليا . فوصل خو رشيد واشتبك مجد على فى وقائع ضد المماليك وأخذ يطاردهم في الصعيد ، وفي أثناء ذلك بلغه أن خورشيد استقدم جندا من الشام يعرفون و بالدلاة "ليعاونوه ضد الأرنؤود ففطن عجد على لغرض خو رشيد وعاد الى القاهرة ، وكان و الدلاة "قدا نتشر وافى البلاد وفى المدينة يعيثون فسادا، وأراد خورشيد ترحيل الألبانيين ومعهم عجد على ولكن هؤلاء أبوا وأخيرا وصل الأمر بتولية عجد على على ولاية و جده "فأبي عجد على أولا وامتنع عن الدخول في القلعة فنزل الوالى في بيت صديق لمحمد على وألبسه شارات الحكم ، وعاد مجد على الى منزله ناثرا الذهب في طريقه بين الناس الذين اجتمعوا لتحية .

#### أساس نهضة مصر الحديثة :

و بعد ذلك بثلاثة أيام كانت الجنود و الدلاة " قد أتت مخازى استفزت غضب العلماء والأهالى فقام المشايخ والعلماء والصناع في ه صفر سنة ١٢٦٠ (ما يو سنة ١٨٠٥) برياسة و السيد عمر مكرم " والشيخ عبد الله الشرقاوى وساروا في موكب عظيم الى منزل مجد على وطلبوا عزل خورشيد باشا ، فسألهم عبد على عمن يريدون توليته بدله ، فقالوا و لا نرضى الا بك و تكون واليا علينا بشروطنا" و تقدم السيد عمر والشيخ الشرقاوى وألبساه و الكرك والقفطان " وهما شارات الحكم ، ثم سار الجميع نحو القلعة فأبى خورشيد النزول وقال إنه معين مر قبل السلطان بخطه الشريف فلا ينزل عن كرسيه بأمس و الفلاحين " واستمر في القلعة يحاصره الأرنؤود تارة وأخرى المصريون الذين تقدموا لحدمة مجد على ، حتى حضر مرسوم السلطان بتولية عبد على حكم مصر في يوليه سنة ٥٠١٥ ، فأذعن خورشيد للا مر .

## مشاكل مجد على :

وصل عبد على الى غرضه الأساسى ولكنه وجد نفسه فى مركز لايقل خطورة عن مركز سابقيه فى الحكم فكان أمامه الماليك فى الصعيد يته ددونه ويبذلون كل شيء فى سبيل طرده مرب مصر ، فلم يكتفوا بالكتابة الى

خورشيد باشا يعلمونه باستعدادهم لتعضيده ضد مجد على ، بل سعوا سعيا متواصلا لدى ممثل انجلترا يطلبون مساعدة الحكومه الانجليزية وحض السلطان على استدعاء مجد على واعادتهم الى مراكزهم . كذلك كانت أمامه مشكلة دفع رواتب جنوده المتأخرة . فكان احتياج مجد على للسال عظيا لمقاتلة المماليك ولإعطاء الجنود رواتبهم ولتقديم الهدايا للباب العالى ، غير أنه اتبع في ذلك سياسة حكيمة وهي أنه أظهر لأصحابه من المشايخ والعلماء ضرورة جمع المسال منعا لتألب الجنود واستعدادا لهزيمة المماليك أعداء المصريين ، و بفضل هذا الاتفاق في الغرض حصل مجد على على الأموال اللازمة من غير أن يعرض نفسه لكره الشعب . على أن هذا لم يمنعه أحيانا من الالتجاء الى الطرق القهرية القديمة في جمع المسال .

#### محاولة نقل مجد على :

أما من جهة الماليك فقد استعملت الحكومة الانجايزية سياسة الضغط على حكومة القسطنطينية حتى أرسلت عفوا عن الماليك وأسطولا عظيا يحل وموسى باشا " واليا جديدا على مصر ومرسوما بنقل عجد على الى ولاية وسلا نيك ". فتظاهر عجد على بالقبول ولكنه استعان بنفس القوة التى نصبته حاكما ، فحرك المشايخ والعلماء وكتبوا التماسا للسلطان ولقبطان نصبته حاكما ، فحرك المشايخ والعلماء وكتبوا التماسا للسلطان ولقبطان الاسطول يطلبون فيه ابقاء مجد على ويبدون عجزهم عن ضمان المماليك اذاهم عادوا الى حكم البلاد . وظل الألفى يكاتب القبطان ويرسل اليه الهدايا والقبطان يشدد على عجد على وجنوده بالحروج من مصر . الى أن دعا القبطان أمراء المماليك اليه وانتظر فلم يحضر أحد من الزعماء لاختلافهم والشقاق اذ أبى البرديسي أن يشترك مع الألفى في الاستنجاد بانجلترا ، فنزل والشقاق اذ أبى البرديسي أن يشترك مع الألفى في الاستنجاد بانجلترا ، فنزل القبطان عن رأيه الأول وكتب يؤيد مجد على فأرسل مجد على الهدايا الى السلطان مع ابنه ابراهيم وكتب خطابا يتعهد فيه بكل ماطلبه الباب العالى من الهماليك فيدفع مه . . . كيس (في كل كيس خمسة جنيهات مجيدية)

كل سنة زيادة على قيامه بالحج ونفقاته . وتثبت مجد على فى ولاية مصر فى نوفمبر سنة ١٨٠٦ ، و بتثبيته انقضى حكم تركيا لمصر مباشرة وأصبح أمر مصر بيد مجد على .

#### استنجاد الماليك بانجلترا:

غير أرف الألفى لم يقلع عن سياسة المناوأة فأرسل يستنجد بالحكومة الانجليزية التي وعدته فى هذه المرة بارسال حملة انجليزية مكونة من ٢٠٠٠ جندى تعمل بالاشتراك مع المماليك . فظل الالفى يترقب وصولحا عند دمنهور ، وعد على يرسل ضده قوة بعد أخرى فكانت تنهزم فى كل مرة . وأخيرا مات البرديسي فى نوفمبر سنة ٢٠٨٠ ففرح عجد على كثيرا وما لبث أن تضاعف سروره بموت الألفى فى يناير سنة ١٨٠٧ ، وأيقن أن مصر قد أصبحت له فأخذ مجد على ينظر فى اصلاح الأحوال فى مصر وجمع من المال ما أمكنه جمعه من الأقباط والعلماء والتجار .

#### مظاهرة بحرية ضد تركيا :

ولم يكد على يشرع في الاصلاح حتى دهمه خطر جديد وهو بلا شك أول صدمة قوية واجهته في أوائل حكه . وذلك أنه لما أعيت انجلترا الحيل في تثبيت نفوذها في مصر بواسطة المماليك عمدت الى استعال القوة ، فأرسلت أولا حملة بحرية ضد تركيا في سنة ١٨٠٧ بقيادة أمير البيحر وقد كورث Duckworth "لترغم تركيا على التيخلي عن محالفتها لنابليون وعلى الانضام مع روسيا وانجلترا ضده ، فلما لم تذعن لذلك أعلنت عليها الوسيا الحرب ووقفت العارة الانجليزية بالدردنيل وأخذت الحكومة العثانية تستعد للدفاع بفضل تعضيد و سبستياني "سفير نابليون في القسطنطينية ، فأعلنت تركيا الحرب على انجلترا واقامت الاستحكامات ونصبت المدافع ودبت الحماسة في قلوب السكان فتطوع الشبان آلافا

فى خدمة الأسطول الجديد ، فلما رأى الانجليز ماعليه البوغازات من المناعة انقلبوا على أعقابهم وباءت الحملة بالفشل بعد أن أصابها بعض العطب أثناء هروبها فى مارس سنة ١٨٠٧

#### حملة انجلترا على مصر ١٨٠٧ :

ولم ترض انجلترا أن تظهر بمظهر الفشل فأرسلت حملة يبلغ عددها ٧٠٠٠ بقيادة وفي فريزر Fraser " أمام الاسكندرية في ١٥ مارس سنة ١٨٠٧ وهذه هي الحملة التي كان قد وعد بها الألفي من جانب الحكومة الانجليزية " ولى كان حيا لكان للحملة شأن غير شأنها ، ويجب أن نذكر هنا أن غرض هذه الحملة يختلف عن غرض الحملة الأولى التي أرسلتها سنة ١٨٠١ فهذه كان غرضها مساعدة الأتراك على طرد الفرنسيين ورد مصر الى الأتراك وأما حملة سنة ١٨٠٧ فكان غرضها الفتح والاستيلاء على البلاد بمعاونة المحاليك .

# انهزام الحملة عند رشيد:

وأراد الانجليز أن يتشبهوا بالفرنسيين فرسوا عند الاسكندرية وسلمت المدينة من غير مقاومة تذكر ، ثم احتلت الجملة رشيد بسهولة فظن الانجليز انهم في وو نزهة حربية " وكان الوقت صيفا فانتشروا في شوارع المدينة وحاراتها وألقوا أسلحتهم وتفيئوا الظلال نائمين ناعمين ، وأنهم لكذلك إذا يماكم المدينة وو على بك السلانكلي " قد أمر جنوده مر الأتراك والأعراب فأطلقت عليهم النيران من النوافذ ومن فوق الجدرار فبادت الفرقة جميعها وأرسلت الأسرى ورءوس القتلي للقاهرة تأييدا الحبر الانتصار

#### موقف محمد على :

وقــد وصل خبر الحملة الى محمد على وهو وو بأسيوط يحارب المــاليك ويطاردهم ، فخاف جانب الانجليز وتلكأ أولا ، ولكن ما لبث أن اتتخذ الأهبة للسٰفر وترك العلماء يقومون بعقد الصلح ويجيبون المماليك الىكل مطالبهم على شرط أنهم يحاربون العــدو المهــاجم ، وأخذ محمد على يعد العدة للفاومة ويبدى همته المعهودة فشرع ينظم قواته بمشورة صديقه وو دروڤتي Drovétti " قنصل فرنسا الذي ما فتئ من أول ظهور محمد على يرشـــده الى الطريق الحكيم والسياسة الرشيدة التي تمكنه من الظهور على أعدائه ، فدرب الجنود على طرق الحرب الحديثة، و بنى الاستحكامات . وفى أثناء ذلك كان وو فريزر " قد أرسل قوة كبيرة الى رشيد على رأسها القائد وو استوارت Stewart " لينتقم لما أصابه من الهزيمة الأولى فنجحت أولا ولكنها سرعان ما تقهقرت عنــد و الحمــاد ؟ وعادت الى الاسكندرية خوفا من أن يصيبها ما أصاب سابقتها ، ورأى وو فريزر " انه ليس من الحزم أن يعرض جيشه لهزيمة فجائية فقطع سد بحيرة مربوط وأحيطت الاسكندرية بالماء الملح كما حدث في حمسلة سنة ١٨٠١ ، وظل بالاسكندرية ينتظر ما يمكن أن يقوم مماليك الألفي الذين انتخبوا وو شاهين بك " رئيسا لهم .

#### الماليك لا يساعدون الانجليز:

وكان المنتظر أن يفاوض و فريزر " الماليك ويدعوهم الى الوفاء بعهودهم القديمة وهى القيام بالثورة فى الداخل ليقع مجمد على بين نارين ، ولو كان الألفى باقيا لتفاقم الخطب ولتعذر على و مجمد على " توجيه عنايته ضد العدو المهاجم من الحارج ، ولكن ماذا كان ينتظر من الماليك والانجليز منهزمون ؟ لقد آثر الماليك فى هذه المرة المصلحة القومية والملية على الفائدة الشخصية وأخلدوا الى السكينة بفصل اقناع العلماء لهم بأن

وع على بسر بشو الأ وا 

# عقد الصلح وجلاء الانجليز :

و بعد أن أمن محمد على جانب المماليك واستمالهم اليه زالت هواجسه ونحاوفه وخرج على رأس جيشه لمقابلة الانجليز، فعجل هؤلاء بفتح مفاوضات الصلح فتم ذلك بتبادل الأسرى ، ورفض محمد على قبول فدية عن أسرى الانجليز، فترك بذلك أثرا حسنا فى نفوسهم لا سيما وأنه كان قد أحسن معاملة الأسرى وعنى بالجرحى منهم فأحضر الأطباء والممرضين لمداواتهم والسهر على راحتهم فأكسبه كل ذلك رضاء الحكومة الانجليزية عنه ، ولم يكن ليعرف هذه الأساليب الحديثة لولا ارشاد و دروقتى "له ، وقد أقلعت العارة الانجليزية على عجل فى سبتمبر سنة ١٨٠٧ بسبب عقد صلح و تلست "بين روسيا ونابليون اذ أصبحت انجلترا بعد ذلك بمفردها أمام نابليون .

و بذلك تغلب مجمد على على أعظم خطر تهدده الى ذلك الوقت فى حياته الجديدة ، وزاد حبه فى قلوب المصريين فأصبح فى نظرهم بطل مصر وحامى ذمارها ، ووصل اسم مجمد على لأول مرة الى مسامع أور با وصار بذلك من عوامل السياسة فى العالم الخارجى ، أما الباب العالى فدارى حسده وأنعم على مجمد على بحكومة السواحل المصرية وقد كانت الى ذلك الوقت تحت حكم السلطان مباشرة وفى دائرة نفوذ القبطان باشا .

ولما انتهى مجمد على مر أمر الانجليز التفت الى تنظيم الأحوال ، فكان من أولى أعماله أنه سلم مقاليد المصالح المصرية لأشخاص أكفاء من ذوى قرباه أو مر بلدته وقوله " مثل محمد بك لاظ وحسن باشا الارنؤودى ، ومحمد بك الدفتردار ، ثم أرسل فجاءته أسرته وأولاده ،

وعينهم فى المناصب العالية واعتمد عليهم فنتجع نجاحاً عظياً ، واستمر محمد على للنهاية بيثق بأولاده وأحفاده ويوليهم عطفه واهتمامه فحاط بذلك ملكه بسياج من الأمانة وتبادل المحبة الى درجة غير معهودة ، ولم يصب ملكه بشيء من منافسات الأسر التي هي آفة دول الشرق ، ولما أصلحت الأمور بحسن تدبيره مالت اليه قلوب المصريين ، وقبلوا دفع الضرائب المنظمة لما رأوه من ثمرة الاصلاح وخاصة في وسائل الدفاع عن القطر، اذ أمر بتحصين السواحل عند دمياط ورشيد وأبي قير والاسكندرية والسويس ، وأصبحت الأمور لأول من في أيدى حكومة قوية مصلحة.

# الفصل السابع نهضة مجد على

#### تمهيد ومقارنة

# مميزات القرن التاسع عشر:

ولد القررب التاسع عشر والثورة الفرنسية لتمخض عن نابليون اينها الحقيقي الذي ما لبث أن سوى حسابها وتسلم زمامها وواصل السعي وهو أحد أفراد الشعب حتى تسنم مركزا ظهر به على الذين توارثوا تالد ملكهم عن ملوك متوجة تستمد عظمتها وأحكامها من لدن الله تعالى . هنا للغتُ الثورة الفرنسية المتجسمة في شخص نابليون سمت النجاح فنفذ نورها الى قلوب الشعوب في كل صقع ووصل أثرها الى أعماق النفوس من حيث تدرى ولا تدرى ، حتى اذا ما تألبت الرءوس المتوجة على نابليون وتمكنت في النهاية من أسره وكسر جنده وأنظمته الباجب الحقيقة وبقيت روح الثورة عاملة بين الأمم التي استضاءت بهديها على الرغم من مصادرة الملوك لهـا فى حلفهم المقدس وغيره ، وما كان فى مقدور حكومات أوربا أن تتسلط على نفوس الناس أو تطفئ نور العرفان أو تمحو حقائق التاريخ من صدور مستوعبيها . لذلك سرعان ما قامت الثورات في العالم المتمدين، وسرعان ماتشخص نابليون الامبراطور في غيره من الأفراد ، وزراء وجنود ما جربت في عروق آبائهم أو أجدادهم قطرة من دماء الملوك من قبل، ولكنهم وصلوا الى ما وصلوا اليــه من سلطان أو ملك بمحض جهادهم ونبوغهم . مثل هؤلاء وفر برنادوت " في السو يد و وفمورا" في ايطاليا وفوكابودستريا" في اليونان وو ولو يزنا بليون " في فرنسا وو ومجمد على " في مصر .

# محمد على ونابليون :

إن مجمد على إلا نابليون آخر ولدته الثورة أيضا ولكن في الشرق فلولا الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر ما وطئ مجمد على أرض مصر ، والحملة الفرنسية من بنات أفكار الثورة قامت بها الثورة في شخص نابليون فلما اضطر الى الرجوع الى فرنسا ولحقته الحملة الفرنسية بأكلها بعد أن فتحت عهدا جديدا لمصر ، ظهر عجد على على مسرح السياسة بمصر يريد تنفيذ سياسة نابليون في الشرق بكل حذافيرها ، ولقد نجح مجمد على حيث أخفق نابليون ، فقد ساد الشرق بطريقيه : طريق البحرالأحمر وطريق نهر الفرات ، و جمع العالم العربي تحت لوائه وكون دولة تمتد من جزيرة و كريت "غربا الى و حاصرت جنوده حصن و عكا " في البثت أن سقطت في يده وانتصر على جيوش السلطان في مواقع عدة ، كان لمبت أن سقطت في يده وانتصر على جيوش السلطان في مواقع عدة ، كان لمبت غلى غلى غلى غلى غربي أثرها قاب قوسين أو أدنى من عرش الخلافة .

نعم نال محمد على من لدن الدول ما نال نابليون نفسه فقد تحداها حتى الحافت عليه في آخر الأمر وأرغمته على الخضوع ، ولكن نظر محمد على الطروف المحيطة به بعين الحكمة والحذر فأبدل اخفاقه نصرا وثبت لنفسه بموافقة الدول عرشا لايزال يتوارثه نسله الى الآن ، أما نابليون فقد خسر باخفاقه في وواترلو "كل شيء ، وليست الموازنة بين نابليون ومحمد على ضربا من المبالغة أو المغالطة ، فأوجه الشبه بينهما كثيرة على الرغم من اختلاف أحوالها اختلافا بينا ، والمطلع على المستندات الرسمية السياسية التي دارت بين ممثلي الدول ومحمد على أثناء أزمة سنة ١٨٤٠ يرى أن كثيرا من ساسة ذلك العصر وهم ينصحون أو يهددون محمد على لم يترددوا في الاشارة الى العواقب الوخيمة التي قد تعود عليه كما عادت على نابليون من جراء نخالفته للدول ، أما السحر الشخصي الذي كان لاسم نابليون على مجلا على فقد كان عظيا حتى جعله يدرس تاريخ نابليون درسا وافيا من أوثق على فقد كان عظيا حتى جعله يدرس تاريخ نابليون درسا وافيا من أوثق الكتب الفرنسية ، وظل نابليون القدوة والمثل الأعلى الذي اختاره مجد على الكتب الفرنسية ، وظل نابليون القدوة والمثل الأعلى الذي اختاره مجد على الكتب الفرنسية ، وظل نابليون القدوة والمثل الأعلى الذي اختاره مجد على الكتب الفرنسية ، وظل نابليون القدوة والمثل الأعلى الذي اختاره مجد على الكتب الفرنسية ، وظل نابليون القدوة والمثل الأعلى الذي اختاره عجد على الكتب الفرنسية ، وظل نابليون القدوة والمثل الأعلى الذي اختاره عجد على الكتب الفرنسية ، وظل نابليون القدوة والمثل الأعلى الذي اختاره عجد على المتبرة على المتبرة المتبرؤ القدوة والمثل الأعلى الذي المتبرؤ ال

لنفسه طول حياته و بقى للنهاية ينتفع بخدمات رجال نابليور. والذين اضطهدتهم الحكومة الفرنسية عقب عودة الملكية فولوا وجوههم شطر مصر ومصلحها العظيم .

وكما أن نابليون بونابرت الإيطالي جاء فرنسا وهو جندي وما لبث أن أصبح ملكا مطلقا بارادة الشعب الفرنسي ، كذلك جاء مجمد على الألباني مصر وما هي الا جمس سنوات حتى أصبح صاحب الأمر بارادة الشعب المصرى ، فمحمد على مصرى مهما قيل انه ألباني أو تركى كما أن نابليون فرنسي مهما قيل انه وقورستي "أو ايطالي ، لم يدخل مجمد على مصر فاتخا ولم يملكها بحد السيف انما حقه مستمد من أهل مصر الذين نادوا به حاكما وأجبر الباب العالى على الموافقة ، ولقد كان يوم ه صفر سنة ١٢٦٠ (مايو سنة ١٨٠٠) بمصر من الأيام التاريخية المشهودة ففيه وضعت مصر بيدها الحجر الأساسي لحريتها اذ تمثلت طوائف مصر المختلفة من علماء ومشايخ وصناع وتجار وساروا في شوارع القاهرة الى منزل مجمد على بهيئة مظاهرة وطنية عظمى منادين بسقوط والعثمانلي " ومعلنين رغبتهم في تولية مجدعلى، وعلى ذلك يكون مجمد على كلمة الشعب المصرى الفاصلة في موضوع الحكم وعلى مصر .

مند ذلك التاريخ أصبح محمد على بطل مصر الفذ ومازال يعمل على إحياء وتقوية مصر زراعيا وحربيا وصناعيا وتجاريا حتى أصبحت في ربع قرن بفضل جهوده و الهرقلية "أول دولة في الشرق كله وثالث دولة بحرية في البحر الأبيض المتوسط بعد الجلترا وفرنسا، وأول ما ظهرت جهود محمد على وهمته الحربية كانت في حرب الوهابيين .

## حرب الوهابيين

#### ضعف الباب العالى:

لم يشأ الباب العالى أن يترك عهد على بمصر هادئ البال يعمل على تقو يتها واصلاحها على الرغم مما بذله في تخليص مصر من المفسدين والأعداء فحالما رحلت الحملة الانجليزية أتت المكتبات اليه بضرورة الاستعداد لمقاتلة الوهابيين ، وكانت داخلية بلاد الدولة في حالة من الفوضي شديدة والحكومة عاجزة عن صيانة البلاد من الخراب ، وسبب ذلك رغبة السلطان سليم الثالث في ادخال النظام الحديث في الجندية في سنة ١٨٠٨ فقام العلماء وساعدوا الانكشارية على الثورة ، فحربوا ودمروا واستبدوا بالأحكام بعد أن عزلوا السلطان سليم وولوا السلطان مصطفى الرابع ، ثم مالبث أن انتصر أعداء الانكشارية وعزلوا السلطان مصطفى الرابع ، ثم مالبث أن انتصر أعداء الانكشارية وعزلوا السلطان مصطفى ثم قتلوه بعد بضعة أشهر الفرص للقضاء عليهم ، ولكن هذه الحوادث تركت الجيش في حالة سيئة من الضعف ، فلما رأى السلطان أن قوة الوهابيين أخذت تستفحل وأن جنوده تنهزم في كل مرة كتب الى عهد على ليجهز حملة على الوهابيين عبوده تنهزم في كل مرة كتب الى عهد على ليجهز حملة على الوهابيين قبر (النبي صلى الله عليه وسلم) ودانت لهم العرب بأكلها .

#### منشأ الوهابيين :

ظهر فى أوائل القرن الثامن عشر رجل فى بلاد و نجد " اسمه محمد بن عبد الوهاب من علماء الحنابلة ولد سنة ١٦٩٦ م وتلقى العلم عن أبيه ثم انتقل الى "البصرة" لاتمام دروسه ، و زار مكة والمدينة ثم استقر فى بلده فى اقليم و العارض " من نجد ، وكان يظهر شذوذا فى كثير من المسائل الدينية ومخالفة السنة وأثمة الدين ، وخلاصة مذهبه التمسك بالقرآن الكريم

والتوسل الى الله رأسا دون وساطة نبى أو مخلوق ، وكان يعتقد أنالتوسل لله بالنبي شرك وأن زيارة قبر النبي وقبور الأنبياء جميعهم والأولياء شرك ومن دُعُوته التقشف وعدم التزين بالحرير والذهب وهدم المزارات وقياب الأولياء لأنها من مظاهر الوثنية ، ومنع الناس من التدخين والمسكرات ومنع البغاء والميسر . ولما ذاع أمره وأضطهده أهل بلده دعاه وو محمدٌ بن سعود " أمير والدرعية" الى المكث في بلاده فدخلها محمد بن عبد الوهاب في سنة ١٧٤٦ وقد وعده بن سعود بحمايته ممن يناوئه . فنشر دعوته وأخذ نفوذه السياسي يزداد بانضهام بن سعود اليــه فكاتب مشايخ القبائل ودعاهم الى مذهبه والا قاتلهم برجال و الدرعية ٣ جهادا في سبيل الحق ، فأذعن له كثير وحضروا اليه في الدرعية حتى زاد أنصاره زيادة يخشي منها ، ثم تزوج بن سعود بابنة محمــد بن عبد الوهاب فولدت و عبد العزيز " الذي خلف أباه سنة ١٧٦٥ وجمع بين سلطان جده محمد بن عبد الوهاب من الوجهة الدينية وسلطان والده من الوجهة السياسية ، وبذلك اندمجت الدعوة الدينية في السياسـة وكان عبد العزيز شجاءا فاسـتولى على مكة سنة ١٨٠١ ودانت له شبه جزيرة العرب ، وكانت الدولة اذ ذاك مشتغلة بمشاكلها الخارجية فى أورو با وفى مصر فلم تقو على رده وقتل فى ١٨٠٢، وخلفه ابنه وفسعود الثاني، وكان جنديا شهما هماما فهدد الدولة في العراق والشام وفتح والمدينة عسنة ١٨٠٤ واستولى على ما فيها من التحف، ونشر الوهابيــة بهمة وشدة فكتب الى السلطان سليم يأمره بعدم ارسال المحمل السنوى الى البقاع المقدسة بالزمر والطبول قائلًا ان ذلك ليس من الدين في شيء ، فأبطل ارسال المحمل منذ سنة ١٨٠٦ ، هذه كانت الحال لما وصل الى مجمد على في سنة ١٨٠٩ أمر تجهيز الحملة .

# استعداد محمد على :

ولما وصل الأمر بذل محمد على جهده فى تعبئة العسكروتجهيز المؤرب والذخائر، ولما كان على يقين من أن السفر بطريق البرالى بلاد العرب

صعب للغاية يهلك فيه كثير من الجند ودواب النقل صم على أن ينخذ طريق البحر الأحمر الى وو ينبع "و وو جده " . ولم يضعف هذا العزم حين لم يجد سفنا له لنقل الجند بل أصدر أوامره الى سائر جهات القطر المصرى بجمع الخشب وما يلزم لانشاء خمس عشرة سفينة كبيرة ، وطلب الى الاستانة ارسال الخشب كذلك ، ولما تم قطع أشجار النبق والتوت أحضرت الى ساحل وو بولاق "حيث أنشأ هناك وودار صناعة" مكونة من معامل مختلفة اجتمع فيها النجارون والنشارون والحدادون وغيرهم و بعد إعداد أجزاء السفينة كانت تحمل على الجمال الى السويس وهناك يضم الصناع أجزاءها و يهيئونها للنزول الى البحر ، وأنجز عمل أربع سفن كبيرة من النوع المعروف ووبالشونة" واحدى عشرة من النوع المعروف ووبالشونة" واحدى عشرة من النوع المعروف ووبالشونة" الجيش المراد نقله يبلغ ٠٠٠٠ من المدون عن طريق القصير و ١٠٠٠ من المدفعية يسيرون عن طريق السويس .

# تحفز الماليك:

وفى أثناء اشتغال مجمد على ورجاله فى تجهيز الجملة كان المماليك يمنون أنفسهم بقرب القضاء على سلطان مجمد على فى مصر ، وكان مجمد على قد صالح مماليك الألفى وأقطع زعيمهم وشهين بك " الجيزة والفيوم وأسكنه قصرا فخها بالجيزة ، فجاء المماليك من الصعيد وخيموا بالجيزة وانضم شاهين الألفى الى ابراهيم وحنث فى تعهده لمحمد على ، و بلغ عبد على وهو بالسويس خبر استعدادهم للحرب فوصل القاهرة بسرعة خوفا من تربص المماليك به فى الطريق ، ونزل اليهم هو وابنه طوسون و بعض جنوده ، فأخذ مجدعلى فى الطريق ، ونزل اليهم هو وابنه طوسون و بعض جنوده ، فأخذ مجدعلى طوسون يستميل اليه بعض أمراء المماليك فانحاز اليه كثيرون وما زال مجد على وابنه طوسون يستميلانهم حتى انحاز اليه أكثرهم وانهزم الباقون وتشتوا

#### الفتك بالماليك:

ولما عاد مجمد على الى مصر ومعه أمراء الماليك الذين تغلب عليهم بلينه ومهارته السياسية ، رأى أن المسألة بينه وبينهم أصبحت مسألة حياة أو موت وأنه يستحيل عليه أن يأمن جانب المهاليك ما داموا يعيشون فرق أرض مصر وتحت سمائها ، فصمم على أن يغدر بهم اراحة لنفسه ولمصر من شر هذه الطائفة الباغية فد برلم مكيدة القلعة الشهيرة في أول مارس سنة ١٨١١ ، وكان قد دعا الأمراء والأعيان بملابسهم الرسمية للاحتفال بتقليد ابنه موطوسون رياسة الحملة بفاءوا الى القلعة وقابلهم مجمد على بلطف وترحاب ممارون في الطريق الجمل الحنود والمشايخ والأعيان وبينيا أمراء المهاليك سائرون في الطريق الجمل الى وفو باب العزب أقفلت الأبواب وأطلقت النيران من كل صوب على صفوف المهاليك المحصورين بين الأسوار في ذلك الطريق الضيق ، فصدتهم النيران ، واستمر الضرب حتى فنوا أجمعهم إلا اثنين على ما يقال ، ثم سرى الحسبر الى الخارج ، فقتل عدد عظيم في القاهرة وفي الأقاليم بأمر الباشا .

# مكيدة الماليك في نظر التاريخ:

وكانت هذه الحادثة فى يوم الجمعة واستمر التقتيل الى يوم السبت فحرج محمد على وابنه طوسون وأوقفا النهب والسلب والقتل وأخذ محمد على أبناء الهاليك وأدخلهم فى خدمت وأجرى الأرزاق على نسائهم وزوجهن لضباط جيشه وأتباعه ، وقتل من الماليك فى هذه المكيدة نحو ألف منهم أربعائة من الأمراء والباقون من الأتباع ، وبذلك قضى محمد على فى يوم وليلة على طائفة طالما أراد الباب العالى القضاء عليها فأعياه الأمر. قضى محمد على عليهم ولكن لافى ميادين الحرب حيث يجتنى الشرف ويبرد القتل ، قضى عليهم خلسة وغدرا وهم فى ضيافته ، لا فرق بين مجرم منهم وبرىء ، فخلف فى تاريخه نقطة سوداء اذا بررت وجودها الضرورات

السياسية لا يمكن أن تمحو عارها أبدا ، ولكن يجب قبــل الحكم الذى لا سبيل للعواطف اليه ، أن نفهم الزمن والأحوال والبيئة التى يعيش فيها مجمد على ونذكر ســوابق الطائفة المجنى عليها فلا نحكم عليــه بمقتضى تقاليد الأمم الراقية .

لقد أعيا أمر الماليك محمد على الى درجة لم تدع له مجالا للتريث فاكانت الحروب تفنيهم ولا المعاهدات تربطهم ولا الوفاق يستميلهم ولا المعروف يأسرهم ، بل كلما هزمهم محمد على وشتت شملهم عادوا فرفعوا رءوسهم وتجعوا صفوفا ضده متحينين الفرصة للقضاء عليه . و ياليتهم مع ذلك كانوا متصلين بالبلاد صلة تعود عليها بفائدة حيوية بل كانت مصالح الماليك الحقيقية متنافرة مع مصلحة البلاد والأهالى وكأنهم في مصر كانوا حكومة أخرى تتعارض أغراضها في كل شيء .

رأى مجد على أن مصر لا يمكنها أن تخطو خطوة واحدة فى سبيل الرقى والاصلاح الا اذا أمنت كل خطر من جانب هذه الطائفة التى لم يكن لها أثر فى مصر الا الخراب والدمار والحروب والمجاعات ، ورأى أنه عما قريب سيرسل جنده وقواده الى بلاد العرب ضد الوها بيين وأنه سيصبح من غير جيش قوى يستند عليه ويرهب الماليك به فاذا تألب الماليك ضده ربما عجز عن قهرهم وضاعت جهوده سدى، ورأى أن الحكة السياسية تقضى أن تسوى الحكومة مشاكلها الداخلية قبل أن تقوم لمواجهة حرب أجنبية خوفا من أن ينال العدو منها فى الخارج ، وأن الفظائع الهائلة التى ارتكبت فى عهد حكم الارهاب بفرنسا فى وقت الثورة لم يكن لها مبرد الا تهديد العدو لحدود فرنسا من الخارج . لهذه الأسباب دبر مجمد على مكدته ضد قوم وولو بقوا فى مراكزهم لقضوا على عدد من الأشخاص بقدر ما سفك مجمد على من قطرات دمائهم على (١) .

<sup>(</sup>۱) راجع تقریر د کتو ربو ریج : أو راق برلمانیة مجلد نمرة ۲۱ سنة ۱۸٤۰

# خروج الحملة :

ولما خلص محمد على من شر الماليك أصدر أمره بتسيير الحملة سنة ١٨١٢ ضد الوهابيين بقيادة ابنه طوسون وكان قد فاوض و الشريف غالب "في و النبع "واتفق معه بشأن محاربة الوهابيين، فنزلت الحملة في و ينبع "وقابلها السكان بالفرح ، وكان طوسون في ذلك الوقت شابا يناهن الثامنة عشرة من عمره شجاعا مقداما فاعتمد على قوة جنوده وفوقانهم في العدد والأسلحة وسار توا الى و المدينة "فتقابل مع جموع الوهابيين عند بلدة و بدر "الشهيرة بانتصار النبي صلى الله عايه وسلم فانكسر الوهابيون أولا ، ولكنهم عادوا وحصنوا أما كنهم وأقاموا المتاريس وأظهروا شجاعة وشدة بأس عظيمين، فتقهقر طوسون الى و ينبع "بعد أن فقد عددا عظيما من جنوده ، وقد ساعد فتقهقر طوسون الى و ينبع "بعد أن فقد عددا عظيما من جنوده ، وقد ساعد كثير المكامن ، فكان من المتعذر معرفة طرق المسير فيه ، وأدى ذلك الى هلاك الكثيرين. زد على ذلك عدم صداقة العرب المصريين و ترفع طوسون عن استمالتهم مما جعلهم يفتكون بالجنود المصرية أينما رأوهم .

# انتصار طوسون أولا ثم انهزامه :

ولما علم محمد على بهزيمة المصريين أسرع فأرسل المدد فخرج طوسون النيا قاصدا والمدينة وكان قد استمال اليه القبائل القاطنة بينها و بين وينبع الله يلق معارضة ، وحاصر و المدينة ولم يستعمل المدافع احتراما للحجرة النبوية ، وأخيرا أحدث ثغرة فى السور وخلص و المدينة من الوهابيين ثم قصد الى و حده الفستولى عليها وتابع السير الى و مكة الفرت منها حامية الوهابيين و دخلها طوسور وطير خبر هذه الانتصارات الى القاهرة والقسطنطينية ففرح والده كثيرا ، ثم احتلت الجنود المصرية و الطائف المن غير مقاومة أيضا فاغتاظ و سعود من هذا التقدم وخاف عاقبة ذلك ، وكان قد تحصن فى الداخل فخرج هو و جميع جيوشه بعد أن نظمها ، وبدأ

يناوش الجنود المصرية حتى قابلهم فى واقعة ودتربة عشرقى الطائف فكسرهم واستولى على عدة نقط حصينة ، وكان طوسون فى المدينة فكتب لوالده بارسال المدد .

## حضور محمد على الى الميدان وانتصاره وعودته :

فحضر محمد على سنة ١٨١٣ بنفسه مع المدد عن طريق السويس ومعه عابدين بك أحد ضباطه وأول ما عمـله هو القبض على الشريف غالب لشكوك كانت تحوم حوله لأنه ترك المدينـــة ومكة تقع فى أيدى الوهابيين من أول الأمر و بقي هو في جده ، وكان مذبذبا بين المصريين والوهابيين يترقب ليرى أيهما يفوز بالنصر ليتبعه، فأرسلوه الى مصر عن طريق القصير ثم أرسل ابنــه طوسون ليستولى على وو تربة " وأرســل عابدين بك ليتتبع الوهابيين الذين يهـــاجمون القوافل ، ولكن معرفة العرب بمجاهل الأرض وسهلها ووعرها ودروبها جعلتهم يفلتون ، وأصبح عابدين فى حالة حرجة إذ كان العرب يكمنون له و لجنوده في الطريق فرجع الى والطائف "وكذلك لم يقو طوسون على أخذ و تربة " فتقهقر الى والطائف" وأخيرا حرج محمد على من ود المدينة " وقصد ود الطائف " ومعه قليل من الجند ، فلما علم الوهابيون بقدومه فروا من وجهه وأخذ مجمد على يدبرخطة يقضى بها على الوهابيين ، وكان زعيمهم ووسعود" قد مات سنة ١٨١٤ وخلفه ووعبدالته" وكان قائدًا ضعيفًا فهزم مجمد على الوهابيين عند <sup>وو</sup>تربة ''وكان لانتصاره هذا أثرعظيم إذ انضم اليه كثيرون فلم يبق أمامه إلا وو الدرعية " ولكنه علم في ذلك الوقت بهروب نابليون من جزيرة والبا واضطراب العالم على أثر ذلك واحتمال تعرض البـــلاد لغـزو جديد ، وجاءه خبر تمرد أحد ضباطه المدعو لطيف باشا فأسرع بالعودة الى مصر فوصلها عن طريق القصير ف١٨ يونيه سنة ١٨١٥ وهو اليوم الذي انهزم فيه نابليون في موقعة <sup>وو</sup>واترلو<sup>،،</sup> .

## عودة طوسون :

أما طوسون فانه احتل <sup>وو</sup>الدرعية "وأرسل عبد الله يطلب الصلح فعقد معه طوسون صلحا جعله وقفا على مصادقة مجمد على . ولكن عبد الله لم يذعن لكل الشروط التي جاءت فيه فهدده مجمد على بأنه ان لم يقبل أرسل اليه جيشا جرارا يخرب بلاده . ثم وصلت الى طوسون أخبار مبالغ فيها عن حرج مركز والده بمصر فغادر بلاد العرب لنجدة والده وترك مسألة الوهابيين معلقة .

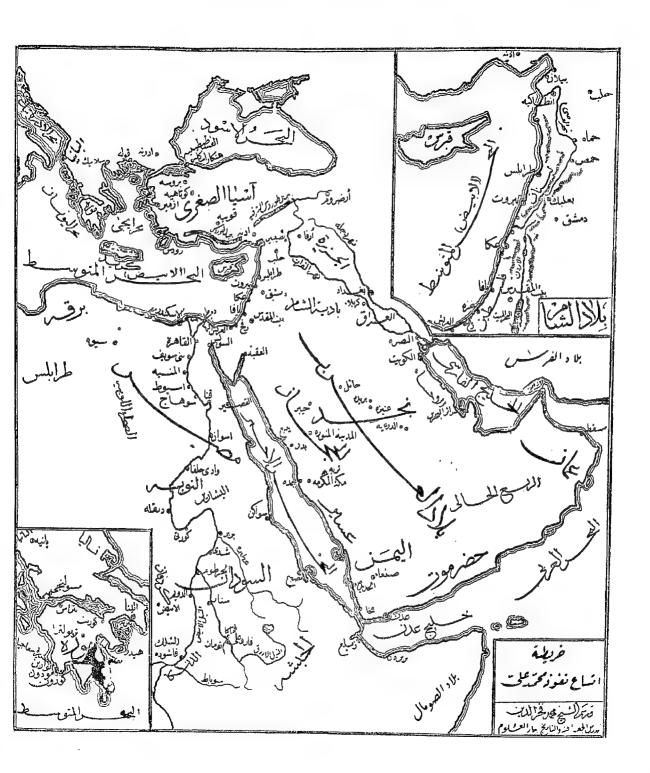
# مشاكل محمد على :

أما وولطيف باشا " فكان قد أرسله مجمد على ليبلغ الباب العالى خبر فتح مكة والمدينة ، فلما عاد الى مصر فكر فى اغتصاب ولاية مصر من مجمد على بمساعدة بعض رجال الباب العالى ، الذين اتفقوا معه فى الاستانة على هذه الخيانة فلما علم نائب مجمد على وو الكتخدا مجمد بك لاظ " بعزمه حاصره فى بيته ودعا مجلسا مخصوصا حكم عليه بالاعدام فى سنة ١٨١٣ أثناء غياب مجمد على . وعلى أثر عودة مجمد على قام الجند ضد محاولة ادخال النظام الجديد وهد ذا ما حدا بطوسون الى الحضور الى مصر حيث استقبل استقبالا فجا ولكنه مات بالطاعون بقصره قرب رشيد وهو فى مقتبل عمره (١٨١٦) وكان محبو با عند الجند والأهالى على السواء ، وكان يفضله أبوه على باقى اخوته حتى على ابراهيم أكبر أولاده لأنه كان يرى فى طوسون صورة مصغرة من نفسه فحزن عليه حزنا شديدا .

# حملة ابراهيم ضد الوهابيين :

أما الوهابيون ففرحوا بموت طوسون وظنوا أن مشروع الحملة قد فشل ، ولكن محمد على عين ابنه ابراهيم لقيادة حملة جديدة ، فسافر ابراهيم عن طريق القصير في سبتمبر سنة ١٨١٦ ووصل ينبع قاصدا المدينة المنورة ولما علم عبد الله بن سعود بقدوم ابراهيم جمع أربعين ألف مقاتل. ولكن أسلحتهم كانت مر الطراز القديم وجل اعتادهم على السيوف والرماح





. . .

!

1\_\_

 والبنادق ذوات الفتائل فلم يقووا على الوقوف أمام نيران المصريين المتأججة المتواصلة ، فانهزمت طلائع جيش عبد الله وتحصن وفي عنيزه "أما ابراهيم فاصر والرس" وتغلب عليها وعلى و عنيزه " وأخيرا حاصر و الدرعية " في أبريل سنة ١٨١٨ حتى سلمت في سبتمبر التالى ، ثم عمل على تدميرها ، وأرسل عبد الله أسيرا الى القاهرة في نوفمبر سنة ١٨١٨ ونزل عند اسماعيل ابن مجمد على .

ولما قابله الباشا فى قصره بشبرا وقف له وأجلسه بجواره و بادره قائلا وما هذه المطاولة " ؟ فقال وو ان الحرب سجال" قال وو كيف وجدت ولدى ابراهيم ؟ " قال وو ما قصر ، و بذل الهمة وقد فعلنا نحن فعلته حتى كان ما قدره الله " قال وو سأشفع فيك عند الخليفة ان شاء الله " قال وو ما قدر سوف يكون " ، ثم أرسل الى القسطنطينية فأعدم فيها ، وعاد ابراهيم بعد أن أخضع العرب عن طربق القصير فى سنة ١٨١٩ فازدانت له البلاد سبعة أيام باياليها .

# نتائج حرب الوهابيين:

لاشك فى أن هذه الحروب التى قام بها محمد على بناء على أمر السلطان استنفدت كثيرا من ثروة مصر فى وقت لم تقو فيه على دفع مرتبات الجنود في بالك بالانفاق على حرب دامت ست سنوات! فليس بعجيب اذن أن يلجأ محمد على الى استعال الشدة المتناهية فى جمع الأموال وليس أدل على شدته من فعلته مع وو المعلم غالى "رئيس حسابات الحكومة فقد امتحن وكيل الباشا حساباته فوجد عجزا يبلغ ٠٠٠٠ كيس فأمره بدفعها حالا ، ووشى به جماعة من منافسيه الأقباط وقالوا بل ان العجز ٢٠٠٠٠ كيس فتشدد وو كتخدا "فى عقابه وأخيرا أخلى سبيله بشفاعة طبيب محمد على بعد دفع ١٤٠٠٠ كيس .

مثل هـذه الأعمال لم يكن يلجأ اليها محمد على لولا شـدة حاجته الى المعدات الحربية والبحرية التي كانت تتطلبها حرب دامت ست سنوات

فى بلاد بعيدة وعرة غيرمأمونة الجانب لا تنبت الا القتاد والشوك ، فى حين لم يلق مجمد على من السلطان ولا من وزرائه ولا من أى ناحية أخرى سوى مصر معونة مالية قط .

هذا يتساءل الانسان لماذا زج محمد على بنفسه فى مشروع مثل هذا غرمه أكثر من غنمه ؟ الجواب على ذلك سهل لمن يعرف حدة نظر محمد على السياسى ، فانه قد اتخذ من هذه المسألة مبررا له فى تكوين قوة برية وعسكرية ما كان ليوفق لانشائها لولا قيامه بحملته على الوهابيين .

ومن حسن طالعه أن كانت الحملة الوهابية برية وبحرية فكما تطلبت جيشا كذلك تطلبت أسطولا ، ولا ننسى أن الحملة قد قضت على عدد عظيم من الجنود الألبانيين الذين وقفوا حجر عثرة أمام محمد على فى سبيل اصلاح الجيش على النسق الفرنسي ، فقد تمكن بعد انتهاء الحملة مر الشروع فى الاصلاح ، أما نتيجة الحملة فلا شك فى أن انتصار محمد على قد جعل العالم الاسلامي يلهج بذكره وحمده لأنه هو الذي أمن حجاج بيت الله وخدم الاسلام والملة خدمة قصرت عن انجازها همم السلاطين والولاة .

لذلك بدأ الناس في الشرق يعرفون لمحمد على قدره و يخصونه بالمهابة والاحترام والثقة ، وخاصة بعد أن أصبح ابنه حاكما على بلاد العرب والمتصرف في مكة والمدينة ، أما السلطان فلم يسعه بالطبع الا الاعتراف لمحمد على وولده ابراهيم بجميل الصنع فأرسل الهدايا ومنح ابراهيم لقب الوزارة ، ولكن السلطان كان على الرغم من ذلك يحسد محمد على على انتصاره في ميدان أخفق هو فيه .

## تكوين الجيش المصرى :

وما دام التاريخ يحفظ بين سطوره أسماء أبطال الحروب ويخصهم بالإجلال والاعظام وما دامت الجيوش دليل قوة الأمم وعنوان بأسها وأداة رفعتها فسوف نرى الناس في كل آن ومكان يجدون أبطال الحروب ووكرمسيس" ووالاسكندر " وووقيصر " وو نابليون " و وحمد على " . وإذا كانت الجيوش النظامية في المحالك قد ساعدت الملوك والأمم على الرقى فانها في مصر قد كان لها الفضل في ادخال كل معالم المدنية في البلاد .

ولقد رأى مجمد على منذ أن كان يقاتل الفرنسيين في "الرحمانية" فضل النظم الحربية الحديثة وعرف قيمتها عند مساعدة "دروقتى" له أثناء حملة "و فريزر" على مصر سنة ١٨٠٧ فصمم مجمد على على أن يستغنى عن جنوده الأرزؤود و يسعى في ادخال و النظام الجديد" متى سنحت فرصة لذلك :

## المحاولة الأولى :

وأول ما فكر جديا في ذلك كان في يونيه سنة ١٨١٥ اذ قضى مدة في اقناع قواد جنوده بأفضلية الطرق الأوربية ، ولكن لما لم يأت ذلك بمثرة نفذ مشروعه على غير رغبة الجند، و بدأ بتمرين احدى الفرق وكان على رأسها ولده اسماعيل فتحزب الجند والقواد واتفقوا على الغدر بمحمد على ، ولكن نمى اليه خبر الدسيسة بواسطة عابدين بك فاحتاط لنفسه ، ولما طاش سهم المتآمرين انقضوا على المدينة وانتشروا للسلب والنهب كعادتهم ، ولكن محمد على فطن لأغراضهم الحقيقية فأوصل الأسلحة لتجار ووخان الخليلي و ود الفحامين " فقاوموا الجنود ولم تمس هذه الأحياء التي يكثر فيها وجود الأجانب بسوء ، أما الغورية والسكرية الخ فنهبت متاجرها . ولما رأى محمد على هذه المقاومة استمال الجند اليه فوزع عليهم الرواتب والأقوات وترك مشروع تدريبهم على النظام الأوربي منتظرا فرصة أخرى ، وسلك محمد على مسلكا جديدا ينطوى على العدل والحكة ، ذلك أنه

فى صبيحة اليوم التالى للنهب دعا و السيد محمد المحروق " رئيس تجار العاصمة وأمره بإعداد قوائم باسماء التجار وتقدير خسائرهم فو زع محمد على عليهم عوض هذه الخسائر و بلغت بضعة آلاف من الجنيهات صرفت بعد أداء اليمين الشرعية فأطمأن الناس واستبشروا بهذا العصر الجديد .

# لماذا لم يعتمد على الألبانيين ? :

وأما معارضة الجنود الألبانية للاصلاح فلم يجد مجمد على صعوبة عظيمة في التغلب عليها لأنه بعد أن استمالهم أبعدهم عن القاهرة وأرسلهم الى ميادين الحرب في بلاد العرب وفي سنار ، وبذلك تخلص من جزء عظيم منهم ، ولو كان مجمد على اتكل على الألبانيين لعرقلوا اصلاحاته واستنفدوا مال خزانت كما استنفدوا أموال الولاة السابقين ولحرمه السلطان تجنيد جنوده من مقدونيا كما حرم على المماليك شراء الرقيق من و جورجيا تواور با فكان من حسن طالع مجمد على أن الألبانيين قاوموا النظام الجديد ولم يقبلوه لأنهم لو قبلوه لكونوا نواة الجيش الجديد لمحمد على ولقللوا آماله في النجاح .

#### المحاولة الثانية :

ولما عاد ابراهيم من حروب الوهابيين منتصرا فكر مجمد على في انشاء النظام العسكرى الجديد، وصادف عزمه هذا حضو روو الكولونيل سيف "المعروف وفيسليان باشا" الى القاهرة فعهد اليه مجد على في مهمة تكوين الجيش الجديد وكان وفر سيف "قد ترقى من جندى صغير في خدمة الجيش الفرنسي مدة الامبراطورية الأولى الى أن أصبح في سنة ١٨١٥ ووياو را" الفرنسي مدة الامبراطورية الأولى الى أن أصبح في سنة ١٨١٥ ووياو را" أوأمينا للشير ووزاى ولا "ولى النهزم نابليون في واترلو" اشتغل وسيف" بالتجارة ،ثم قدم الى مجد على بخطاب توصية جميل فاختبره مجدعلى فوجدمنه أخلص وأكفأ خادم له في جيشه الجديد واليه يرجع الفضل الأكبر في رفع ذكر مصر في عهد على .





Legalgsilericer

سليان باشا الفرنساوى

### جهود الكولونل سيف:

ولما بدأ وصيف تفالقاهرة بتدريب بعض أولاد الماليك الذين كانوا في خدمة مجد على ومعهم ابراهيم ليكون مثلا حسنا للطاعة والاستفادة بدأت تظهر علامات التذمر وأخذ العلماء يغرون الشبان بعدم الانصياع لتعاليم الفرنجة ، فرأى مجد على أن خير طريقة لتلافى الفتنة وتنفيذ أغراضه هى أن يرسل وسيف ومعه أر بعائة أو أكثر من أولاد الماليك الى أسوان فيدربهم هناك بعيدين عن الدسائس والقال والقيل ، وكان معظم هؤلاء الماليك من الشبان النابهين اختارهم مجد على ليكونوا بعد أن يتخرجوا نواة الجيش الجديد، فاشتغل وسيف بتعليمهم ثلاث سنوات بانا في نفوسهم روح الأخلاق العسكرية الشريفة ضار بالهم الأمثال دائما بسيرة نابليون وسرقواده .

وقدصادف وسيف صعوبة في أول الأمر في تعويدهم الصمت والرزانة في أثناء الحركات ، فنقم منه بعضهم وصمموا على قتله ونمى اليه الخبر، في فيه الصباح والتهرهم قائلا: ان الشرف العسكرى يأبى أن يعمد الجندى الى طرق النذالة والجنن واذا أراد أحدكم الانتقام فأمامه المبارزة والقتال. وصوّب عليه بعضهم بنادقهم في حادثة أخرى فأخطأوه فأعمل فيهم السؤط لأنهم لم يصيبوا المرمى وأمرهم بتعمير البنادق وتصريبها نحوه ووقف أمامهم ثابت الجأش فبهتوا عارا وخجلا ورموا بنادقهم وتقدموا اليه صارخين باكين يطلبون العفو فعفا عنهم باسما ، و بعدها لم يقع منهم ما يخل بالنظام أنا عتنق الديانة الاسلامية ظاهرا حسب ما أشار به مجد على اذ الحقيقة أنه أن اعتنق الديانة الاسلامية ظاهرا حسب ما أشار به مجد على اذ الحقيقة أنه عساكره ولم تمض سنوات ثلاث حتى ضارعت جنوده أحسن الجنود الأوربية نظاما وشجاعة واقداما كذلك تمكن وسيف" من الرق السريع حتى وصل الى أرق مراتب الحيش .

## استخدام السودانيين في الجيش :

ولما وجدالضباط الاكفاء فكر عهد على في جمع الجنود ، ولم يشأ أن يكون بيئهم أتراك ولا ألبانيون لئلا يحرضوهم على الفتنة ، فعمد الى السودانيين وكان قد أرسل حملته الى السودان ، وجمع منهم ثلاثين ألفا وأتى بهسم الى وحمى عدى " قرب منفلوط و وكل أمرهم الى الضباط الذين تخرجوا في أسوان فبدءوا بتدريبهم في سنة ١٨٢٣ وما انتهت سنة ١٨٢٤ حتى كانوا قد تدربوا على التمرينات العسكرية اللازمة ، فاستعان بهم عهد على وأرسل منهم فرقا الى بلاد العرب وأحرى الى السودان وأرسل الباقي الى حرب منهم فرقا الى بلاد العرب وأحرى الى السودان وأرسل الباقي الى حرب

## استخدام المصريين:

ولكن النتيجة لم تكن سارة أبدا ، لأن أبناء السودان لم يألفوا المعيشة الشاقة بعيدين عن أوطانهم ولم تقو أجسامهم الهزيلة على احتمال البرودة فمرض منهم عدد عظيم ومات معظمهم فى سنين قلائل ، وأخيرا بدت له فكرة تكوين جيش من جنود مصرية ، وظهر فى أول الأمر أن هذه المحاولة مملوءة خطرا ، وأبان له بعض أتباعه والمقربين منه أن الزراعة فى البلاد لابد أن تتأثر من عواقب التجنيد ، وأن التجنيد بين قوم لم يألفوا الجندية منذ زمن بعيد سيكون أمرا مكروها جدا الكراهية لا يمكن أن يأتى بأقل ثمرة .

وأى نفع كان يرجى من قوم كانت مهمة من يحكمهم منذ الأزمان الغابرة أن يلصقهم بالأرض وفلاحتها ثم يرهقهم بالضرائب فيحرثون و يزرعون ليقوواعلى دفع هذه الضرائب ؟ وهكذا كانت قواهم دائمامنهوكة في الزراعة التي هي منبع ثروة الأهالي وسبب مذلتهم في آن واحد. غير أن عدعلى لم يأبه لهذه الاعتراضات ونفذ مشروعه ، فقامت بعض حركات عدائية في الأقاليم ضده وأخذ الفلاح النشيط يوقع الأذى بنظره وجسمه ويهاجر

الى بلاد العرب و بلاد الشام تهر با من نظام الجندية ، غير أن المصريين مالبثوا أن رحبوا بالنظام الجديد بعد ماوجدوه فيه مر تأنق في ملبس الجندي وسعة عيشة ومكافأة المجتهد منهم ومنزلة الجندي بين غيره من الناس ثم لما زادت أعمال الجيش أدخل مجمد على في خدمته غير سليان بك من الضباط الفرنسيين فعاونوا على فتح مدارس حربية على النظام الفرنسي ففتحت مدرسة والمشاة " بدمياط ومدرسة والموسيق" بالقلعة ومدرسة والفرسان بالجيزة ومدرسة والمدفعية " في طره : فتعلم الطلبة فيها اللغات والرياضة والرسم والهندسة والحركات العسكرية جتى ضارعوا أحسن جنود أور با بشهادة أكابر الضباط الأجانب ، وكان اصلاح الجيش سبب الاهتمام بأمن التعلم والصناعة والصحة في البلاد ، وسنعود الى ذلك في محله .

# أثر تكوين الجيش في المصريين:

أما مصر فحنت من وراء الجيش فوائد أدبية ووطنية لاتقدر، فالجيش كان عنوان وحدتها اذ القبطى والمسلم فيه سواء ، وأوجد فى البلاد روحا نظامية قوية كانت مفقودة منذ قرون ، وقد أمن البلاد من مصائب الفئات الظالمة الفوضوية التي كانت تعيث فى الأرض فسادا ، ولا ننسى الروح الوطنية التي تولدت على أثر تكوين الجيش اذ أخذ المصريون يتنافسون فى مضهار النبوغ ودبت فى قلوبهم روح الثقة والفخر: الثقةبقوة أبنائهم وجنودهم والفخر بكفاءتهم وانتصاراتهم ، ومن ذا الذى يمكنه أن يخلص فى الزود عرب بلاده وفى محاربة عدوها و يحرص الحرص كله على حريتها واستقلالها أكثر من أبناء البلاد أنفسهم الذين أظهروا من خلائق الصبر واحتمال المشاق ماجعلهم من أحسن الجنود .

يالها من فكرة علوية أتت بوافر الخير على مصر، فان انتظام الفلاح فى سلك الجندية بعد أن عاش قرونا طويلة مستعبدا فى كسر بيته أخرجه من حالة الذل والجبن والمسكنة التى كان فيها وعلمه دروسا جديدة فى النظام وأداء الواجب ، علمه الشرف الحقيق والتنافس فى سبيله ، علمه أن يضحى بنفسه فى ميادين القتال من أجل مصر وملكها واستقلالها .

وكان محمد على يقضى معظم وقته ملازما للجيش الجديد ويشترك فى رحلاته وتدريبه وتمرينه ولقد قص محمد على مرة على معتمد انجلترا ماشاهده من بوادر الرقى الأدبى فى جيشه الجديد فقال: ووجرح ذراع أحد الجنود جرحا بالغا أثناء التعليم العسكرى بسبب اهمال الجندى الواقف خلفه فلما طلب اليه الضابط أن يخرج من الصف ليضمد جرحه أبى وقال الآن وقد أصبحت جنديا فأنا اليوم غيرى بالأمس ، وما دامت تجرى فى عروقى نقطة دم واحدة سأبق فى مكانى حتى انتهى من واجب اليوم ".

هدنه الروح الجديدة تفسر الانتصارات البهرة التي صادفها الجيش المصرى الجدديد في ميادين القتال سواء أكان في أوربا أم أفريقية أم في آسيا ، واستمر محمد على يعنى بالجيش عناية خاصة، اذ أصبح في نظره مسألة حيوية في الدرجة الأولى من الأهمية ، لأنه علم أن اعتماده على حسن نيات الباب العالى نحوه أمر محفوف بالخطر وانه مهما قدم للباب العالى من الخدمات فلن يرحمه السلطان اذا ضعفت قوته أو قلت شوكته يوما ما .

#### حملة السودان

#### أسباب الحملة:

ماذا يعمل محمد على وقد عاد اليه جنوده الألبانيون منتصرين من بلاد العرب؟ أيسمح لهم بالاقامة بالقاهرة فيعيدوا عهدالثورات والنهب والسلب ويشغلونه عن اصلاحاته وربما وقفوا أمام مشروع النظام الجديد موقفهم في سنة ١٨١٥؟ لاشك في أن حسن السياسة كان يملى عليه أن يوسل هؤلاء الأرناؤود الى ميدان جديد فيستريح من مشاغباتهم ويقلل من عددهم ففكر في تجهيز حملة السودان ليطارد بقايا الماليك الذيرف استوطنوا إقليم ودنقله "ونصبوا أنفسهم فيه حكاما ، وكان الناس يتحدثون في ذلك الوقت

ومجمد على يعتقد أيضا أن فى السودان مناجم غنية بالذهب والمعادن النفيسة، فظن الألبانيون أن هناك غنما عظيما يجب ألا يفلت من أيديهم فرحبوا فكرة بحمد على .

هذا، وأن حاجة محمد على الى استيراد جنود جديدة بحيشه الجديد جعلته يطمع فى فتح الأصقاع المجاورة لمصركى يتمكن من ادماج شبان تلك البلاد فى جيشه ، وأراد محمد على من هذه الحملة أيضا أن يبسط سلطانه وأسواقه على سواحل البحر الأحر الغربية بعد أن انتشر نفوذه وتجارته فى شبه جزيرة العرب الى خليج العجم ، ولا تنسى اهتمام محمد على وعنايته بأمر النيل وروافده التى يتوقف عليها رى البلاد وحياة أرضها الزراعية وأهلها فقد كان من أغراض الحملة حل اللغز الذى حير الناس منذ و هيردوت " وهو عاولة استكشاف منابع النيل والسير فيه الى أقصى نقطة ممكنة ، ولذلك أرسل محمد على مع الحملة تشبها بنا بليون علماء فرنسيين ليمدوا ابنه اسماعيل قائد الحملة بالمعلومات الجغرافية والخاصة بالتعدين .

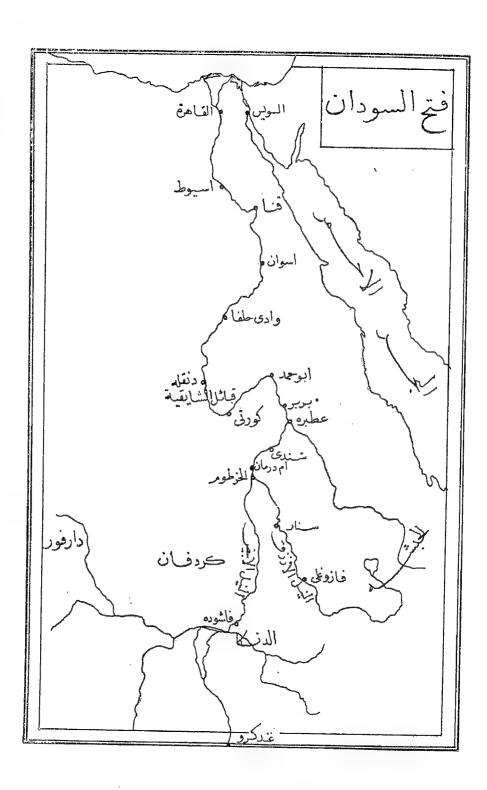
## مهمة اسماعيل:

وبدأ مجد على في اعداد الحملة في يونيه سنة ١٨٢٠ فجمع ٢٠٠٠ من المشاة و ٢٥٠٠ من الفرسان ومدفعية مركبة من ١٨ مدفعا ، وعين على رأس الحملة اسماعيل ثالث أنجاله وكانت هذه أول مهمة حربية ذات شأن عهد فيها الى اسماعيل ، الا أن واجبه لم يكن عن الصعوبة كواجب أخيه وطوسون ٢٠ من قبل لأن قبائل السودان كانت همجية لاتعرف استعال الأسلحة النارية على العكس من العرب الذين كانوا على اتصال ببلاد الهند والعجم فكانت أسلحةم على ذلك أرقى كثيرامن أسلحة السودانيين ، كذلك كانت حال حكومة وسينار ١٤ المعروفة وو بالدولة الزرقاء ١١ التي لحقها الضعف منذ أواخر القرن الثامن عشر ، ولم يبق من الدولة العظيمة سوى عدد من الوزراء الذين ظلوا يتنازعون الحكم الى أن جاءت حملة اسماعيل فقدموا له المملكة غنيمة سهلة ، أما الكردفان فكانت تحت حماية سلطان دارفور بالاسم فقط .

## سير الحملة :

ولما كانت قبائل السودان من المسلمين السنيين لاشيعة ولا وهابيين أصحب مجد على الحملة عددا من العلماء ليبرروا أغراض الحملة في نظرالمسلمين وليراقبوا أعمال الجيش حتى لا يخرج الجنود عن الحدود المشروعة في الدين واضطر محمد على الى اصدار فتوى تحلل له فتح هذه البلاد الاسلامية حتى لا يحصل غضاضة أو تذمر بيز جنوده المسلمين ، وسارت الحملة عن طريق النيل، وأما الفرسان فساروا بمحاذاة النيل ووصلت الحملة الى ودنقله وذعر الماليك وفروا الى أقاصى السودان ، ولم تجتمع لهم قوة بعد ذلك ، غم سارت الحملة جنو با ولقيت من القبائل المعروفة وبالشيقية أو الشائفية مقاومة عظيمة اذ اجتمع منهم ثلاثون ألفا على الحيول والهجن وتأججت في رءوسهم نار الحرب فاستماتوا في الدفاع عن أوطانهم ولكنهم انهزموا انهزاما حاسما في وكورتي "ثم سقطت وشندى " و ود بربر " و بعد ذلك انهزاما حاسما في وكورتي " ثم سقطت وشندى " و ود بربر " و بعد ذلك سارت الحملة الى و سنار " فضعت بدون كبير مقاومة .

وفي سبتمبر سنة ١٨٢١ حضر ابراهيم باشا على رأس حملة كحملة أخيه اسماعيل ، وحضر أيضا مجمد بك الدفتر دار صهر الباشا على رأس حملة لفتح الكردفان ، فسار ابراهيم في النيل الأبيهض الى تلول وو دنكا "عند مصب نهر سي باط ، أما اسماعيل فسار شرقا في النيل الأزرق الى حدود الحبشة ومعه العالم الطبيعي وو كيار Caillard "الفرنسي ليفتش عن مناجم للذهب فلم ينجح الا قليلا ، وأخيرا عاد اسماعيل الى وو سنار " وكان ابراهيم قد مرض ورجع بعد أن وصلت جنوده الى وو دنكا " ثم كتب اسماعيل يطلب الرجوع الى مصر بعد أن بي سنتين في السودان ، ولكنه قبل أن يصل اليه أمر الرجوع أحرقه الملك ونمر" صاحب وشندي" وكان اسماعيل يصل اليه أمر الرجوع أحرقه الملك ونمر" صاحب وشندي" وكان اسماعيل قد أهانه فدبر نمر الانتقام وليمة دعا اليها اسماعيل ومن معه من الضسباط والجنود فلما حضر اسماعيل دقت الطبول وأجريت الألعاب و في نهاية الوليمة أمر نمر بنحاء اتباعه بقش واحطاب كانوا قد أعدوها ووضعوها حول المنزل ثم اضرموا فيها النارفاحترق المنزل بمن فيه ومنهم اسماعيل فحلف "حول المنزل ثم اضرموا فيها النارفاحترق المنزل بمن فيه ومنهم اسماعيل فحلف "



onverted by Tiff Combine - (no stamps are ap	plied by registered version)		
			;
			:
	ø		<u>:</u> -
			1
			r

صهره وو الدفتردار " الذي فتسح الكردفان أن لابد من قتل ٢٠٠٠٠ فدية لاسماعيل و بالفعل نفذ يمينه وأكثر في القتل ، وفي سسنة ١٨٢٤ رجع الدفتر دار وعين وو رستم بك " حاكما على السودان .

# تقدير نتائج الحملة :

ويمكننا أن نقول أن حملة السودان لم تحقق مطامع الباشا الا قليلا لأن الذهب لم يوجد ، ولأن تجارة القوافل كانت قليلة وتستلزم عناية لا تثمر الا بعد سنين ، ولأن الجنود السود لم تنفعه في شي بل اضطر الى أن يستبدل بهم المصريين ، ولكن يقابل ذلك أن أصبح البحر الأحمر بحيرة مصرية وضمن مجد على لمصر مراقبة موارد ماء النيل وفتح مجالا واسعا للمصريين للاتجار والاستثمار ، وأسس مجمد على وو الحرطوم " في سنة ١٨٢٢ واتخذها وو الدفتر دار بك " قاعدة للحكم فوسعها و بني فيها وو دارا للصناعة " و بني البيوت وأنشأ السفن النيلية بكثرة وأصبحت وو الحرطوم " محطة لتجارة السه دان .

## أشهر الولاة:

ومن أشهر الولاة الذين عينهم محمد على فى السودان وو خورشيد باشا " ( ١٨٢٦ ) الذى قام فيه باصلاحات جمة ومد الفتوحات جنو با واستولى على وو فاشوده " وخلفه وو أحمد باشا " المعووف وو بأبى ودان " (١٨٣٧) الذى نظم الادارة وقسم البلاد الى مقاطعات ومديريات وعين حدودها وأدخل كثيرا من الأشجار والحيوانات المصرية فى السودان ، وما فتى محمد على يرسل البعثات العلميسة للبحث عن المعادن من آن الى آخر وفى اخرالأمر سافر هو بنفسه وهو فى سن السبعين عام ١٨٣٨ متكبدا مشاقا عظيمة ، فأصلح الادارة و وصل الى حدود الحبشة وأعارف الغاء تجارة الرقيق لا اعتقادا منه بضرورة ذلك بل ارضاء للدول الأوربية ولكسب

مودة انجلترا ، ولشدة اهتهامه بالاستكشاقات الجغرافية أرسل أحد ضباطه. و البكاشي البحرى سليم افندى "في ثلاث رحلات مختلفة بين١٨٣٨ — ١٨٤١ وغاية ماوصل اليه حدود نهر سو باط عند خط عرض درجة ١/٤ ٤ شمالا ، وكان و سليم قبودان " يكتب التقارير الوافية عن رحلاته و يرفقها بجداول خاصة بالارصادات الجوية فكانت هدذه التقارير أول المستندات التي ظهرت فيما يختص بداخل أفريقية (١) .

<sup>(</sup>١) ومن العلماء الفرنسيين المذين رافقوا سليم افندى في رحلته الأخيرة '' دارنوا '' ·

# الفصل الثامن المداخلية

# العناية بالأرض:

إن أول واجب يتحتم القيام به على أية حكومة متنورة نصبت نفسها لحكم مصر هو حفظ الأراضي المزروعة والتي يمكن زرعها من عبث الصحراء المحيطة بالبلاد ، ولا يتأتى ذلك الا باستتباب الأمن وتنشيط الفلاحة المستديمة و بتوافر طرق الرى وتوزيع الماء بالطرق التي تكفل سلامة المحصول .

وانا لنرى أن الماء والرمل عنصران أولها مرادف للحياة وثانيهماللهلاك يتنازعان دائما السيادة فى وادى النيل، فمتى قبضت على زمام الأمور حكومة ضعيفة ألفيت الرمل قد انتصر على الماء وفاقه ، وما هى إلا سنوات قليلة حتى يجف الزرع ويقل الحرث والنسل وتكثر المجاعات وتعم الأوبئة والأمراض ، وما عهد مصر أيام حكم المماليك ببعيد ، قال نابليون وو: لو بق المماليك في مصر عشرين سنة أخرى لفقدت مصر ثلت أراضيها الزراعية ".

# خطة محمد على الزراعية :

أما محمد على ففطن الى أهمية الزراعة فى مصر وعلى ذلك منحها كل عنايته والتفاته وأحدث انقلابا هاما فى نظام تملك الأرض والزراعة الذى وصفناه فى عهد الماليك فنقل اليه أولا حقوق والملتزمين "ثم الني والالتزام" نهائيا معتمدا على أن الأرض المحاكم ، ولكنه منحهم من المال راتبا سنويا مساويا تقريبا لقيمة دخلهم السنوى وكان قد أخذ منهم قبل ذلك

بيانا عن ايراداتهم فقللوا قيمتها بقدر الامكان . أما أراضي و الوسية "التي ظهرت أحقية تملك أصحابها لها فنركها ، وعلى العموم ضم محمد على أراضي و الوسية "الوجه البحرى لأصحابها. أما أراضي الأوقاف فانه احترمهامن حيث المبدأ فقط ، وأما عمليا فانه عزل العلماء والمشايخ الذين كانوا نظارا عليها وعين نفسه ناظرا على تلك الأراضي وأخذ على نفسه تنفيذ الشعائر الدينية التي تتطلبها هذه الأوقاف وعين المشايخ رواتب سنوية ، أما العقار الموقوف والحدائق فلم يتعرض لها .

ولما حل مجمد على مكان الملتزم وزع الأطيان على الفلاحين فأعطى كل فلاح من ثلاثة الى خمسة أفدنة ، وترك لمشايخ القرى قسما يبلغ ٤. / من مجموع أراضى القرية دون أن يفرض عليهم ضريبة ما ، وذلك لقيامهم بضيافة عمال الحكومة ، وعرف هذا الجزء وبمسموح المشايخ " ، وكان الفلاح يزرع الأرض بصفته مستأجرا ويسقط حقه فى فلاحتها اذا عجز عن دفع الجراج ، ورتب لهم مجمد على أجورا مر بن جنس المحصول بمقدار السدس عادة ، وأمدهم بالآلات والمواشى والماء للرى ، وكان المأمور يحدد المساحات الحاصة بزرع المحصولات المختلفة واذا نضج المحصول قيمة الضريبة قدرته الحكومة بالثن الذى تحدده ثم تأخذ من المحصول قيمة الضريبة وتترك له الباقى أو تشتريه عادة لنفسها ، وكانت الحكومة تودع ما تجمعه من المحصول فى مخازن أو و شون "عمومية أعدتها فى جميع أنحاء البلاد وتنتظر الفرص المناسبة للبيع .

## فوائد الخطة :

ويظهر أن هـذا النظام كان الوحيد الذي يمكن أن يؤدى الى ثروة اقتصادية في البلد يعتمد عليها الباشا في اصلاحاته العظيمة . لأنه بذلك تمكن من تحسين طرق الزراعة ومراقبة الفلاح وتزويده بالنصائح اللازمة وامداده بالآلات ، وأمكن ادخال المحصولات الجديدة كالنيلة والدخان

والقطن والحرير والأفيون (١)، ولو ترك الفلاح وحده مع ما هو معروف عنه من المحافظة على القديم والكسل والاعتماد على القضاء والقدر لحسرت الزراعة شيئا كثيرا ، كذلك لو كان تركه يبيع محصوله لأخفق في السوق ولاشتراه الأجنبي بثمن بخس . أما مجمد على فأمكنه أن يبيع هذه المحصولات في الأسواق الأوربية فأحرز ربحا وافرا لولاه ما وصل مجمد على ولا وصلت مصر الى ما وصلت اليه من الرقى في عهده .

#### عيوب الخطة:

غير أنه يحب ألا ننسى ما جره هذا النظام من المصائب على الفلاح ، فقد كانت الحكومة تقدر المحصول تقديرا قهريا وتشتريه من الفلاح بتمن بخس ثم تبيعه له أحيانا اذا احتاج لشىء منه بثمن مرتفع ، بل ربما تعذر عليه الحصول على قوته فى حين أن مخازن الحكومة غاصة بأنواع المحصولات. وقد يكون بعضها فسد من استمرار خزنه وتعرضه للجو ، هذا فضلا عما في هذه الحطة من تقييد لحرية الفلاح فى العمل وتعويده الاعتماد على الغير وحرمانه من الانتفاع بثمرة جهوده .

هذه السياسة التي اتبعها مجمد على فى الزراعة جرب معها نظام الاحتكار فكما أنه صار المزارع الوحيد أصبح التاجر الوحيد ثم الصانع الوحيد أيضا وتشمل الاحتكارات جميع المحصولات التي كانت تشتريها الحكومة خاصة

<sup>(</sup>۱) أدخل محمد على ما لا يقل عن ٣٨٠٠٠ آلة لرفع المياه وانقذ من تعسدى الصحراء . . . . ، افدان فى الوجه القبلى أضافها الى الأراضى المزروعة ، هذا عدا ما أقامه مر القناطر وحفره من الترع والمصارف وأدخله من الأشجار وخاصة شجرة التوت لتربية دودة القز واهم ابراهيم باشا بانشاء الجنائن ونشر زراعة الأزهار والفواكه .

لنفسها مر. الفلاح . ولا يشمل هـذا كل ما ينتجه الفلاح بل هناك محصولات تركت له الحكومة حرية بيعها . وأهم المحصولات التي احتكرها مجمد على القطن والأرز والصمغ والنيلة والأفيون والسكر والحرير.

#### الضرائب:

وكان المورد الثالث لثروة مجمد على غير الأرض والاحتكار من الضرائب، وأولها ضريبة الأرض أو ووالخراج " أو وو الميرى " وكان الملتزمون كما عرفنا يجمعون هذه الضريبة ويقسمونها ثلاثة أقسام: قسم للسلطان ويسمى وو بالميرى " وقسم للكاشف ويعرف وو بالكشوفية " وقسم الملتزمون يتعسفون في جمع هذه الضريبة ويعرف و بالفائض " ، وكان الملتزمون يتعسفون في جمع هذه الضريبة وغيرها من الضرائب الاضافية ، أما في عهد مجمد على فكانت جميع الأراضي ما عدا و الأبعديات " والأراضي الموقوفة على الخيرات ، تدفع المال للحكومة ، ويختلف قدره على حسب جودة الأرض من ٢٠ قرشا الى ٤٠ قرشا الى ٤٠ قرشا الى ٤٠ قرشا الى ٤٠ قرشا من ٢٠ قرشا دفع الباق عليها جارتها وهكذا .

وكثيرا ما منح مجمد على كبار موظفيه فى الجيش والادارة اقطاعات من الأرض أصبحت لهم ملكا خاصا ، وهى التى أطلق عليها در الأبعديات "لبعدها عن الأراضى الزراعية المسكونة ، ولاحتياجها للعناية والاصلاح قبل زراعتها تركت بدون أن تجبى منها ضريبة .

أما الضريبة المعروفة <sup>وو</sup> بفردة الروس " فكانت مفروضة على كل فرد مسلم أو قبطى بلغ سنه الثانية عشرة ، وتختلف بحسب ثروة الرجل فكانت تتراوح بين . . . قرش و ١٥ قرشا فى السنة ، وكانت الحكومة تجبى غير هذه عوائد المكوس وعوائد على الذبح وعلى السفن الخ(١١).

\*\*\*

#### التجارة :

ولما زادت محصولات البلاد عنى محمد على بالتجارة ، وقد وجد في مركز مصر الجغرافي الفذ ما شجعه على العمل ، وكانت الحالة التجارية في مصر وفي مواني البحر الأبيض المتوسط على العموم في كساد وهبوط عظيمين بسبب انتقال الحركة التجارية الى مواني ساحل المحيط الاطلانطيق التي تتصل بأمريكا و بالشرق الأقصى ، وأصبحت الحال كذلك منذ أن ساح وو فاسكوده جاما "حول رأس الرجاء الصالح فتحولت التجارة من مصر ومن حوض البحر الأبيض ونضبت منابع التروة التي كانت تفيض على مصر من الشرق .

```
(١) ملخص ميزانية تقريبية اسنة ١٨٣٣ :
```

مجموع الايرادات: ٥٠ ٧ر٧٧٨ر٢٦ فرنك

منها ۲۸٫۱۲۰۸۰ « من ضریبة الخراج

٠٠٠,٥٠٠,٥٠٠ ﴿ مِنْ احْتَكَارَاتُ الْحِبُوبِ الْحُ

۰۰، ۲۰۰۰ « الجمارك

مجموع المصروفات : ۲۰۰۰رو۰۰ «

منها ۲۰۰۰،۰۰۰ « القسطنطينية

۰۰۰و۰۰۰و۱ « للجيش

۰۰۰ره « لموظفی الحکومة

( راجع كتاب نظرة عامة فى مصر لكلوت بك الجزء الثانى صفحة ٢٠٨ )

#### طريق التجارة البرى:

فلما تمت لمحمد على السيادة البحرية في البحر الأحمر فكر جديا في اعادة طريق التجارة البرى بين الهند والشرق الأقصى و بين أور با ، فطهر البحر من لصوصه وقذف الرعب في قلوب عرب الصحراء الشرقية فأصبحوا لا يجرءون أن يمسوا أحدا أو شيئا بسوء . ثم أنشأ المواصلات بين مصر والسويس على ظهور الجمال، وشيد المنازل على طول الطريق لراحة السياح، ثم رأى ضرورة اتصال الاسكندرية بالنيل فحفر سنة ١٨١٩ أول قناة ذات شأن وهي وقناة المحمودية التي تصل اسكندرية بفرع رشيد، واستخدم في حفرها الألوف من الفلاحين بطريق السخرة، وبذلك صار في الامكان تسيير السفن في القاهرة الى الأسكندرية مباشرة ، وأمر بأخذ المكوس مرة واحدة فقط لا مرات متعددة كما كان يحصل في البلاد التي تحت الادارة العثمانية ، وسهل الحركة بانشاء محطات للبريد بواسطة المجن والخيول السريعة ، وسهل الحركة بانشاء محطات للبريد بواسطة المجن والخيول السريعة ، وتبادل الرسائل البرقية بواسطة الإشارات من فوق أبراج مرتفعة أقامها على أبعاد معينة بين القاهرة والاسكندرية .

ثم لم يمض إلا قليل حتى اخترعت البواخر فأحدثت انقلابا في عالم التجارة ، وظهرت رغبة انجلترا في أن تسهل مواصلاتها بأملاكها الشاسعة في الهند وتتبع في ذلك طريقا سريعا آمنا يقرب المسافة ، فلفت أنظار و الشركة الهندية الانجليزية " طريق مصر البرى فعمدت اليه أولا لنقل حقائب البريد والمسافرين بفضل مساعى الضابط و توماس واجهورن Thomas الذي أرسلته الشركة لدرس المشروع فرأى من محمد على أعظ مشجع له . وسارت أول باخرة للبريد من و بمباى " الى و السويس " أيجابرا ألى الاسكندرية الى من سيليا بحرا ومنها الى الاسكندرية الى من سيليا بحرا ومنها الى انجابرا ، ولم يكن قطع هذا الطريق يستغرق أكثر من شهر .

وأخذت أهمية هذا الطريق تزداد على الرغم من التفكير في انشاء طريق آخر يمر بالبصرة والفرات وحلب ، غيرأن طريق السويس هو الذي تغلب



verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



بوغوص بك يوسف و زير الخارجية والتجارة لمحمد على

فى النهاية وأخذت أهميته تزداد تدريجا إذ ما لبثت التجارة أن تحولت الى هذا الطريق فاضطر محمد على الى انشاء مصاحة مستقلة خاصة بالطريق البرى وعقد اتفاقا تجاريا مع انجلتر تعهد فيه بنقل البريد الانجليزى مقابل مبلغ خاص تدفعه الخزانة الانجليزية ، فزادت ثروة مصر كثيرا مماكان يصرف داخلها من مصروفات نقل ومعيشة ومكوس و رواتب موظفين . وظلت الفكرة ترقى حتى ختمت بفتح قناة السويس سنة ١٨٦٩

وهذا المشروع بإضافته الى فتوحات محمد على وللتحصولات التى كان يتجرفيها قد فتح أمامه أبواب التجارة فربح أرباحا وافرة وأصبح له فى معظم الموانى الشهيرة وكلاء ينظرون فى مصالحه التجارية والسياسية ، وكان ناظر التجارة والخارجية لحكومته رجلا أرمنيا يدعى و بوغوص بك يوسف الذى أخلص فى خدمة محمد على إخلاصا عظيا فكان يثق فيه الباشا و يعهد اليه بدقائق مشروعاته السياسية والتحارية .

# لوازم التجارة وتكوين الأسطول الجديد :

إلا أن التجارة لا تقوم إلا على شيئين أساسيين ، أسطول لجملها وحمايتها وأسواق لتصريفها فيها ، تلك سنة الأمم التجارية من قديم الزمان لا مندوحة عن اتباعها لأنها نتيجة طبيعية لمقدمات ثابتة . سار مجمد على وفق هدذا القياس المنطق وعمل على الوصول الى هذين الغرضين فبدأ ببناء الأسطول أولا عند و بولاق "كما ذكرنا عند الكلام على حملة الوهابيين ، شم لما اتسعت دائرة العمل أصلح النقص الطبيعي في ميناء الاسكندرية ، فأصبحت محطة تجارة مصر ومهد أسطولها العظيم ، ولقد جاء تكوين الأسطول المصرى متأخرا وعلى أثر انتهاء حرب و المورة " التي قضت على أسطوله وجله مكون من خليط من السفن التي صنعت في الخارج واشتراها الباشا من و مرسيليه " و و و ليفو رنو " و و تريسته " و و جنوه " فلما عادت الحمل ية من و الموره " سنة ١٨٢٧ فكر مجمد على في تكوين أسطول مصرى من جديد فتم له ذلك بفضل جهود مهندس فرنسي كان صاحب

معالمل للسفن في وو تولون ؟ اسمه وو سيريزي Cerisy ؟ فهو الذي عهـــد الية الباشا في انشاء و دار صناعة " بحرية بالأسكندرية تبلغ مساحتها . ﴾ فدانا بواجهة على البحر يبلغ طولها نصف ميل، وبها حوض يسع أكبر الشفن . وكان محمد على شديد الرغبة في أن يكون له أسطول يغنيه عن شراء ما يلزمه من السفن من الخارج وأن يتم له ذلك بسرعة فوضع ووسيريزى" مشروعه وشيد دار الصناعة البحرية حتى ضارعت الاسكندرية ووتولون وأدهشت كل من رآها من السياح ثم بدأ ووسيريزي على بتمرين البحارة والصناع على الأعمال المختلفة الخاصة بالسفن وانشائها وتسييرها وجاهد في سببل ذلك جهاد الأبطال متغلبا على الصعاب والدسائس التي قامت ضده وأخيرا عاد الى فرنسا ١٨٣٤ وقام <sup>رو</sup> بسون Besson " بانجاز السفن اللازمة للاً سيطول الحربي ، وفي ٣ ينايرسينة ١٨٣١ نزلت بالبيحر أول سفينة من الأسطول الجديد ، وكان كلما تعلم المصريون عملا من الأعمال استغنى عن العمال الأو ربيين حتى لم يبق منهم إلا عدد قليل ،ثم جاء وموجل Mougel " المهندس الفرنسي الشهير فأنجز أعمالا جديدة وأسس مدرسة للسلاحة لتخريج الضباط البحريين . وأن ظهور الأسطول الجسديد ودار الصناعة البحرية في مدة أربع سنوات لدليل جديد على ما يمكن أن تنجزه النفس الطامحة الى العلى اذا كان الشعور مصحوبًا بالإرادة والعمل ،قال الدكتور وو بورنج " في تقريره أنه رأى الأسطول المصرى ورجاله وهو لا يختلف عن أي أسطول أو ربي آخر إلا في الملبس الرسمي (١) .

<sup>(</sup>۱) كان الأسطول يتركب من ٣٠ قطعة حربية ، منها ١١ سفينة كبرى على كل منها ١٠ مدفع أو أكثر و٧ قطع على كل منها ٢٠ مدفعا و٣ بواخر. وعدد رجال الأسلطول ١٨,٠٠٠ منهم ٨٠٠٠ ضابط .

#### حاجات الجيوش والأساطيل:

غير أن للجيوش والأساطيل مطالب وحاجات لابد من القيام بها إذا كان الغرض من تأليف الجيش وطنيا اقتصاديا . رأى محمد على حاجة الجيش الى مدارس مختلفة لتخريج مختلف الضباط والى مستشفيات للرضى والى معامل لتوريد ما يلزم من أسلحة ومؤن وذخيرة . والى مصانع لامداد الجيش بما يحتاج اليه من أسلحة وملابس وأحذية وأغطية وأدوات مختلفة، ووجد فى كل ذلك فرصة قد تعود بالنفع المادى والأدبى اذا تولى هو تقديم ذلك كله فعلت همته الشماء الى مستوى آماله العظيمة . و رأى الباشا بشاقب نظره أن الاعتماد على الأجانب لا يمكن أن يؤدى الى قوة حقيقية فاستعان بهم ريثما يتعلم الوطنيون العمل ثم استغنى عن الأجانب تدريجا .

## العناية بالتعليم :

وقد أراد أن يكون للوطنيين كل مزايا الأجانب فأرسل البعوث العلمية والصناعية الى أور با لتلقى فروع العلم والعمل المختلفة ، وأرسلت البعشة الأولى في سنة ١٨٣٦ و باغ عدد أعضائها على وصارع ١١فيسنة ١٨٣٣ ، ولما رجعت البعوث أعانت مجمد على كثيرا في تأسيس مشروعاته العظيمة ، وانبرى أفرادها لخدمة مجمد على في مصالحه المختلفة ولو أنه لم يتقيد كثيرا باختصاصاتهم وترتيبات المسيو و جومار عرئيس البعثات في فرنسا وأحد علماء حملة نابليون ، بل عين منهم كما اقتضته حاجته . واهتم بكل درجات التعليم أولى وثانوى وخاص، وأسس مدارس على النظام الحديث لكل هذه الأنواع لأول مرة في البلاد، وكان يساق اليها الطلبة كما يساقون الى الجيش قسرا على الرغم من ترغيب الباشا لهم بايوائه التلامية واطعامهم وما كان يقدمه لهم من الكسي والرواتب الشهرية غير أن أساس اهتمامه بالتعليم لم يكن الرغبة الحالصة في تعميمه بين الأهالي ، بل كانت المدارس في نظره بغزءا مرب نظام الجندية ، وكان الطلبة يعاملون معاملة الجنود ، وادارة المدارس تبع الحربية . فاهتم مجمد على بالمدارس ما بقيت حاجته للجيش فلها المدارس تبع الحربية . فاهتم مجمد على بالمدارس ما بقيت حاجته للجيش فلها المدارس تبع الحربية . فاهتم مجمد على بالمدارس ما بقيت حاجته للجيش فلها المدارس تبع الحربية . فاهتم مجمد على بالمدارس ما بقيت حاجته للجيش فلها

قل عدد الجيش بمقتضي وفرمان سنة ١٨٤١ قل اهتمامه بالمدارس كذلك ، وعلى كل حال أوجد اهتمامه بالتعليم حركة علمية جديدة ونهضت اللغةالعربية بعد أن كادت تقتلها العامية فعربت الكتب في مختلف العلوم وألق الأساتذة المصريون محاضراتهم بالعربية وأخرجت المطبعة الأميرية ببولاق عددا عظيما من المؤلفات العربية وأصدر الباشا صحيفة والوقائع الرسمية باللغتين العربية والفرنسية ابتداء من سنة ١٨٢٨ وكانت أنجح مدارس الباشا المدارس الخاصة بأسلحة الجيش ومدرسة الطب ومستشفاها وقد أنشئت أولا وو بأبي زعبل سنة ١٨٢٧ ثم أنقلت الى محلها الحالى ، وصرف وكلوت بك كلوت بك محمدا عظيما في الاهتمام بحالة البلاد الصحية وادخال الاصلاحات وتعليم علم الطب مما خلد له أحسن الذكر في تاريخ الصحة والطب بمصر . ومن أشهر المهتمين بأمر التعليم في مصر ووأدهم بك الذي عين رئيسا لمجلس المعارف العالى ومعه نخبة من عظاء رجال العلم في ذلك العصر (۱) .

#### الاصلاحات الحكومية :

أما اصلاحاته فى نظام الحكومة فانه بعد أن مسح الأراضى فى سنة ١٨١٣ قسم مديريات مصر الى سبعة أقسام على كل قسم منها مدير، أر بعة بالوجه البحرى وثلاثة بالوجه القبلى ، وقسم المديريات الى مراكز وكل مركز الى أقسام وكل قسم الى قرى . وعلى رأس كل مركز مأمور . ولكل قسم ناظر ، وعلى رأس كل قرية شيخ يساعده و الصراف " و و الحولى " . وكانت وظيفة المأمور مراقبة الزراعة وجمع الأموال والمحصولات وأنفار القرعة ، أما المدير فعليه تنفيذ أوامر الباشا ومراقبة الرى وأعماله . وكان يختار المديرين من الأتراك فى مصر وأما المأمورون فيعينهم من المصريين .

<sup>(</sup>۱) ومر المدارس التي أسمها محمد على : المهند سخانة يبولاق سنة ١٨٣٤، والألسن بالأزبكية سنة ١٨٣٦، والصنائع سنة ١٨٣٩، والتجهيزية بأبي زعبل سنة ١٨٣٦، والمبتديان بالسيدة زينب سنة ١٨٣٩، وأما مدارس الجيش وهي : المشاة، والفرسان، والطبحية : فأسست حول سنة ١٨٣١،

أما القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد والسويس فكان يحكم كلا منها حاكم أو محافظ وضابط.

وكان يساعد محمد على فى القيام بادارة البلاد و مجلس خاص " يعرف بالديوان العالى أو و الحديوى "ومن اختصاصه النظر فيما يقدم من الدعاوى والعرائض ، وكان المجلس يجتمع بانتظام فتعرض عليه أمور الحكومة كافة فيفتحصها و يعرضها على الباشا .

وكون مجمد على ومجالس خاصة "لكل ادارة في الحكومة ، فكان هناك مجالس للحربية والبحرية والزراعة والتجارة والأمور الافرنكية والمدارس والصحة . وفوق كل هذه المجالس ومجلس شورى الدولة " يجتمع فيه كل رؤساء الادارات المختلفة والمختصون والأعيان للنظر في شؤون الدولة الهامة . ولقد عرف مجمد على من أول الأمر أن خير طريقة لتحسين الادارة هي توزيع الأعمال على وزارات مختلفة ، فاختار لكل وزارة رجلا كفئا يعينه المجلس الحاص ، وعلى الرغم من أن هدذا النظام لم يصل في عهده الى حد الكال فلا يغيب عنا أنه الى مجمد على يرجع الفضل في توزيع أعمال الحكومة والعمل بحسن نية و بعزيمة صادقة على التقدم والارتقاء في الادارة ، هذا والعمل بحسن نية و بعزيمة صادقة على التقدم والارتقاء في الادارة ، هذا وظلت كلمته هي القانون والحكومة ، و بقي الحال كذلك في عهد خلفائه وظلت كلمته هي القانون والحكومة ، و بقي الحال كذلك في عهد خلفائه

## مشروع الاستقلال الاقتصادى :

على أن كل تلك الأعمال المدهشة والاصلاحات الهائلة التي قام بها مجمد على لتتضاءل أمام مشروع خطير اقترحه عايه قنصل السويد الذي ذكر لمحمد على أن أعظم مظهر للاستقلال الحقيق هو الاستقلال الاقتصادي، فكما أن مصر غنية بمحصولاتها الزراعية، كذلك يجب أن تنتج معاملها كل ما يحتاج اليه محمد على لجيشه وأسطوله العظيمين وما تحتاج اليه أسواقه وأملاكه من

المصنوعات، بدل أن نظل مصر دائما محتاجة الى مصنوعات أور با. ولا يخفى أن المذهب الاقتصادى المعمول به فى تلك الأزمنة وهو المبدأ المعروف بحماية التجارة والصناعة يقضى بالتقليل من الواردات والاستغناء عن البضائع الأجنبية بقدر الامكان .

وأول مالفت نظره الى المصنوعات وجود المواد الغفل (الحام) بكثرة ، وأولها القطن وكان قد أدخل زراعته فى الحقول بناء على اشارة المسيو ووجيمل Jumel "النساج الفرنسي الذي حضر الى مصر وأجرى عدة تجارب فى زراعة القطن من أحسن أنواعه الأمريكية فى سنة ١٨٢١، وكانت مصر كذلك تنتج التيل من الكتان والحرير وصبغة النيلة وأصباغا أخرى تصلح لتجهيز النسيج ، كما أنه عنى بتربيلة الأغنام وجلب الأصناف من الحارج لتحسين نوع الصوف الذى تنتجه البلاد ، لذلك صم محمد على على انشاء المعامل المختلفة معتمدا على أن العمل فى مصر ميسور بأجور رخيصة ، غير مكترث بندرة المعادن فى البلاد و بعدم ملاءمة الجو المحمل بالغبار الكثير الحفاف ، ولم يوقف محمد على عن مشروعه متى صم عليه عدم استعداد الحفاف ، ولم يوقف محمد على عن مشروعه متى صم عليه عدم استعداد الأهالي للقيام بالأعمال الصناعية الحديثة ولا عظم المبالغ والنفقات التي يتطلبها ، ولقد لجأ الى استيراد ما يلزمه من الفحم المجرى والحديد والصناع يتطلبها ، ولقد لجأ الى استيراد ما يلزمه من الفحم المجرى والحديد والصناع بوسوت المطارق وأزيز الأنوال (۱).

<sup>(</sup>۱) كان بمصر ۱ و ۱ و و ۷ باللغزل ، و ۱ تولا ، و ۲ معامل من عز الين ونساجين وخواطين وحدادين وسباكين ونجادين . وأخرجت المعامل البفتة والشيت والشاش والأجواخ والطرابيش والبنادق والأسلحة المختلفة ، وقطع العدد الصغيرة ، وكانت مغازل القطن تخرج ما يقرب من مليونى قطعة سنويا وأهم هذه المعامل فى بولاق والخرنفش وقليوب والمحلة الكبرى الخ. وكانت هناك معامل للبنادق ومسابك للصلب ومعاصر للريت ، وكانت هذه المصنوعات توزع في أسواق مصر والخارج ،

### نقد المشروع:

ولقد أغنت هذه المصنوعات مجد على عن مصنوعات أوربا ، ولكن كان مقضيا عليها فىالنتيجة بالفشل وخاصة بعد أن زال سبب تكوينها وهو الحيش اذ نقص عدده الى ١٨٠٠٠ منذ سنة ١٨٤١ . وإننا اذا وازنا مقدار ما كانت تتكلفه مصانعه من النفقات بالفائدة التي كان يجنيها عدعلي رأينا أن مغارمها كانت أكثر من مغانمها وأن ثمن السلعة في النهاية كان أرخص لو اشترى من الخارج مباشرة ، وكان مجد على على تمــام العلم بهذا العجز في ايرادات مصانعه ولكنه استمر للنهاية يستخدمها ويعتني بها رغبة منه في تعويد القوم الصناعة وتسيير الآلات الحديثة والظهور بمظهر المستقل وتشبها بنظام فرنسا وانجلترا فىذلك الوقت وهو نظام حماية التجارة والصناعة. ولما كان عد على هو المالك الوحيد لهذه المشروعات كانت الخسارة واقعــة على خزانة الحكومة ، ولو أنها كانت لشركات أهلية لسببت تأثيرا سيئا عظما . وقدفشل مشروعه الصناعي نهائيا لضخامته وغرابته فيمصر ولأنالمشروع كان لايمكن أن يغني عن بضائع أوربا فالوقود والآلات اللازمة للصناعة نفسها كانت كلها ترد من أو ربا . ومن أسباب الفشــل أيضــا احتياج الزراعة في مصر لكل الأيدى العاملة ، ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نقول ـ أنقيام بعض الصناعات في مصر كعمل السكر والصابون والزجاج و بعض المنسوجات لازم وممكن ومفيد تمـــام الفائدة .

# مشروع القناطر الخيرية :

بق علينا عمل نهائى ختم به مجد على اصلاحاته وهو تشييد و القناطر الخيرية "وهى أعظم عمل نافع أنشئ فى مصر لضبط مياه النيل باقامة سد عظيم ذى عيون قرب تفرع الدلتا . ولقد فطن مجد على لما يمكن أن يأتى به مثل هذا المشروع من جزيل الفائدة إذ ترتفع المياه فى الترع على أثر حجز المهاء فى أحد الفرعين فتروى الأراضى بسهولة ، وكان اهتمام مجد على بالوجه

البيحرى عظيا جدا لامكان زراعة القطن فأراضيه ، و بعددرس المشروع أصدر في سنة ١٨٣٥ أمره إلى المسيو " لينان ١٨٣٥ كامن الأفدنة في أوقات لتنفيذ هـذه الفـكرة التي إن نجحت روت آلافا من الأفدنة في أوقات و التحاريق ". غير أن مشروعا كهذا كان يتطلب وقتا طويلا لانجازه لأن مالية الحكومة كانت لاتسمح بالانفاق على هذا المشروع دفعة واحدة ولأن تثبيت القواعد في قاع الماء أمر يتطلب وقتا وعناية ، ولكن تسرع عهد على و رغبته في انجاز العمل كي يتم في عهده لم يمكنا " لينان " من تثبيت أساس البناء بالمتانة اللازمة فاضعر الى اصلاحه ثانيا ثم جاء المسيو موجل " و واصل العمل في القناطر ولكنها لم تتم في عهد عبد على الذي توفي سنة ١٨٤٩ وظلت الى أواخر أيام سعيد ، ومع ذلك فان ضخامة المشروع وفائدته الكبرى لها لا يبق مجالا للبالغة ، وكفي أن مشروع القناطر هو الذي ولد فكرة خزان أسوان والخزانات الأخرى التي بنيت على النيل .

# تقدير عام لأعمال مجد على:

بذلك أدخل عدعلى طرق التمدين الحديث في مصر بفضل اهتمامه بالجيش وماحقاته وحاجاته ، ولا غرابة في أن يدخل التمدين في بلد على يد الجيش ففي البلاد الشبيهة بالمتمدينة لا يمكن أن يدخل الرقى والاصلاح على أيدى المجموع ولا يتسنى لغير الحاكم المتنور ذي الهمة العلياء أن يرغم شعبه بالقوة على قبول الاصلاح، ولما كانت القوة أول ما يتطلبه الحاكم المستبد لتأييد سلطانه نرى أن الجيوش والأساطيل كثيرا ما مهدت السبيل لاصلاحات عامة قد لا تتفق مع مصالح الجيش ذاته.

وفى مصركان تكوين جيش نظامى داعياً لايجاد روح نظامية سرت فى كل طبقات المجتمع فتمتع الأهلون بنعم الأمن على الحياة وعلى الأملاك وأن ما قام به عجد على من جعل الحكومة مركزية قد أوجد وحدة قومية حكومية بدل البقايا المتنافرة التي كانت من قبل . وكانت نتيجة ادخال النظام في أعمال الحكومة وجباية أموالها واهتمامها بالزراعة والتجارة والصناعة أن زادت ايرادات الحكومة زيادة ظاهرة أنفقها مجد على في رفعة شأن مصر وشؤونه الحاصة كبناء القصور وتأثيثها بأفحر الأثاث . وقد كان لحمد على هيبة واحترام عظيمين في قلوب شعبه ، ومع أنه كان حاكما مستبدا كان كريما رؤوفا يقبل النصائح والاقتراحات التي يبديها له غيره ، وقد لتي من الفرنسيين في كل مشر وعاته كل تعضيد ومساعدة واخلاص وان أسماء وسيف " و و سريزى " و و كلوت بك " و و لينان " و و موجل " العموم أن تسامح عبد على و ترحيبه الأجانب وشغفه الزائد بتعرف كل ما يجد المامه كان له أثر عظيم في تكوين شهرته التي طبقت الآفاق لأنه مامن رجل عرفه وعامله الا واقتنع بعبقريت و ونبوغه وعطف على أمانيه السياسية ، و وصل الحال الى أن بعض معتمدى الدول وممثليهم كانوا مع حكومة عبد على مرتبطين بصلات ودية مادية جعلتهم يتغاضون عن مصالح حكوماتهم على مرتبطين بصلات ودية مادية جعلتهم يتغاضون عن مصالح حكوماتهم الخاصة ولا يجرءون على الدفاع عنها أمام مصلحة عبد على .

وكان مجد على على علم دقيق بأحوال السياسة فى أوربا عارفا تاريخ كل سياسى شهير فيها ، وكان المترجمون يطالعون له كل مايكتب عن السياسة ورجالها من أوثق المصادر على الرغم مر. أنه لم يتعلم القراءة والكتابة الا متأخرا ومن العوامل التي كان لها أحسن وأسعد أثر فى حياة مجد على إخلاص أبنائه وأسرته له واحترامهم إياه وتضحيتهم بكلشىء فىسبيل طاعة رئيسهمم الأكبر وهنائه ، وهناك عامل آخر لولاه ما استطاع مجد على أن يجمع فى شخصه كل هذه القوة التي ذاع صيتها والتي مكنته من احتلال أكبر أقاليم السلطان ثروة وأعظمها أهمية له ، ذلك أن الباب العالى كان على درجة عظيمة من الضعف والتفكك الداخلى بالرغم من جهود السلطان مجمود النانى فى الاصلاح .

#### المجال واسع للناقد :

لقد أسهبنا في الكلام على أعمال محمد على وما أوجده في مصر من خير وإصلاح ، غير أن هناك أيضا مجالا واسعا للناقد الذي يريد التنقيب عن الجزء المظلم من صفحة محمد على ، فيجد في استبداد المديرين البعيدين عن رقابة الباشا، وفي فقر وانهاك قوى الأهالي بسبب الاحتكارات والتجنيد ، وفي مقتل الماليك ، وفي تبديد الأموال من غير فائدة على المصانع الجديدة ، وفي قيام تجارة الرقيق في السودان ، تجد في كل ذلك مجالا للانتقاد لا نهاية له، ولكن من الظلم أن نحكم على محمد على بحسب مقاييس الغرب ونسير أعماله بخبارهم ، فنظام الاحتكار ونظام التجنيد كانا وهذا الغرب ونسير أعماله بخبارهم ، فنظام الاحتكار ونظام التجنيد كانا وهذا من أجل ذلك اضطر محمد على الرغم من ثقل وقعهما على الشعب، ولم يكن من أجل ذلك اضطر محمد على للمال والجيش وفضل أن تتحمل مصر آلام هذين النظامين على أن تسود فيها الفوضى ، ومع ذلك فان نظام الاحتكار لم يلغ من أو ربا الاحديثا ، وما من حكومة إلا وانتقدت سياستها بشأن أعدائها السياسيين أو بشأن جمع جنودها أو تو زيع أراضيها وثروتها .

أما تجارة الرقيق فهدذا نظام ألفه الناس فى الشرق منذ قرون ولم يكن من السهل إلغاؤه إلا تدريجا ، ولقد أرسل مجمد على خطا با الى حاكم السودان فى أول ديسمبر سنة ١٨٣٧ قال فيه: وليكن معلوما لك أن نظام الرقيق يحط من قدرى من نظر العالم المتمدين وخاصة فى نظر الحكومة الانجليزية التى بين حكومتى وبينها علاقات ودية ، وانى لا أريد أن أكسب من تجارة لا تشرفنى ، وإذا كان الغاؤها يتطلب بعض تضحيات فأنا مستعد لتحملها ".

وفى الختام نرى أننا اذا راعينا الظروف الخاصة التى ظهر فيها محمد على وعرفنا عظم الواجب الذى أخذ على عاتقه القيام به وسـط تلك الفوضى والحهل والظلام والدسائس السائدة بمصر و بتركيا ، وجب علينا أن نعد

نجاحه في حكم مصر وما خلده من آثار و إصلاحات وما لعبه في العالم السياسي الأوربي دليلا على نبوغ محمد على ، ولا أدل على عطفه على مصر تلك البلاد الني تبناها وأصبحت في نظره كل شيء يستحق الوجود من أجله من تلك العبارة التي فاه بها للدكتور وو بو ربج " المندوب الانجليزي :

ور إن بلادكم لم تصل الى ما وصلت اليه من الرق الحالى إلا بجهود أجيال كثيرة مضت وأن الطفرة محال فى رقى الأم وتقدمها ، ولكن يمكننى أن أقول اننى قد قمت ببعض الشيء لمصر وأصبحت الآن تمتاز عن ممالك كثيرة لا فى الشرق فحسب بل فى الغرب أيضا ، نعم يعوزنى شيء كثير لا زلت أجهله ، كذلك يعوز شعبى شيء كثير ولذلك ترانى الآن مرسلا الى بلادكم و أدهم بك " ومعه خمسة عشر شابا ليتعلموا ما تعلمه بلادكم فعليهم أن ينظروا الى الأشياء بأنفسهم وعليهم أن يمرنوا على العمل بلادكم فعليهم وأن يخبروا مصنوعاتكم جيسدا ليعلموا وليكشفوا أسباب سبقكم و رقيكم وإذا ما مضوا زمنا كافيا بين أهل بلادكم عادوا الى بلادهم وعلموا الشعب " (١) .

<sup>(</sup>١) تقرير الدكتور بورنج ، أوراق براكنية : الجرو ٢١ من سنة ١٨٤٠

# الفصل التاسع ظهور المسألة الشرقية واستقلال اليونان

### معنى المسألة الشرقية :

يريدون و بالمسألة الشرقية الحالة السياسية الدولية التي قد تنتج على أثر انهزام تركيا انهزاما يؤدى الى انحلال أوصال الدولة وسقوط عرش الخلافة بالقسطنطينية ، ففي هذه الحالة ماذا يكون موقف دول أو ربا ازاء الدولة الغالبة ؟ أتلزم الحيدة وتترك الغالب يستأثر بالغنيمة كلها أم تتحالف عليه وتزكى بذلك نار حرب أو ربية عامة ؟ ثم ماذا يكون مصير الشعوب الخاضعة للدولة أيعترف باستقلالها أو تدخل دائرة الحماية الروسية ؟ وخصوصا ماذا يكون مصير البوغازات والقسطنطينية نفسها ؟ كل هذه أسئلة يتكون من مجوعها ما يعرف بالمسألة الشرقية . وعرفت بذلك أسئلة يتكون من على مفتاح الشرق و في طريق الشرق ومن السولى عليها كأنه قبض على مفتاح الشرق . وظاهر أن المسألة الشرقية لم تولد ولم يظهر لها أثر حين كانت تركيا متغلبة ظافرة في حروبها بل الأحرى اذ ذاك أن توجد و مسألة غربية "حيث كانت تركيا تهدد وجود المجر والنسا.

ولكن منــذ أواخر القرن السابع عشر بدا ضعف تركيا الحربى وتوالت انهزاماتها أمام النمسا والروسيا ففقدت بذلك المبرد الوحيد الذى كان يدعوها لاحتلال أملاكها وهو فوقانها الحربى .

#### حالة الدولة العثمانية :

ذلك لأن الدولة العثمانية قامت بالسيف ولا تزال الصفة الحربية عنوانها الى اليوم، فبالسيف فتحت فتوحاتها و بفضل ما استولت عليه من الأملاك

أصبحت الدولة فى صفوف دول أو ربا العظمى ، غير أنه من سوء حظ الدولة أن فتوحاتها كانت غريبة عنها فى صفات كثيرة فلم يربطها بأملا كها إلا روابط ضئيلة ، فلا دين يجمع بينهما ولا لغة ولا جنسية ولا تقاليد ، فأصبحت فتوحاتها على ذلك سريعة الانثلام مهددة فى كل وقت بالثو رات الداخلية .

فلما انحطت الدولة العثمانية من مركزها الحربي وهي الدولة الحربية قبل كل شيء ضاع نفوذها الأدبي ولم تقو على مطالبة رعاياها بالاخلاد الى السكون والطاعة ، ولما لم يكن في مقدور السلطان تأييد سلطانه في أملاكه أو منج هذه الأملاك في جسم الدولة بأية طريقة اكتفى الباب العالى من أملاكه بدخل سنوى يجعه ممن تنتهى اليه المساومة من بين الباشوات ، وببعض أفراد ينتظمون في سلك الجيش أو في البحرية ، ولم يعد يفكر في شيء من الاصلاحات أو الأنظمة اللازمة لحفظ أملاكه. على هذا تركت الولايات العثمانية في حالة شبه استقلالية يحكها في الغالب ولاة طغاة .

على أنه لغاية القرن الثامن عشركانت الدولة العثمانية لا تزال ظاهرة أمام العالم الأجنبي بمظهر القوى الثابت وذلك بفضل أنظمتها التي كانت تحجبها عن أنظار أور باحتى لم تعرف عن داخليتها إلا قليلا ، نعم كان البناء قائما في نهاية القرن الثامن عشر ولكن البنيان كان من صخور نخرة واهية توشك أن تنهار اذا ما هبت عليها العاصفة ، وسرعان ما هبت العاصفة من الغرب، فان زوابع الثورة الفرنسية وحروب نابليون التي لفحت أور با فأيقظت أهلها من سبات عميق قد صدمت كذلك سياج الدولة العثمانية المفككة العرى فتغلبت الأفكار القومية والاستقلالية على شعور رعايا السلطان المسيحيين في أور با .

ومما زاد فى خبال الدولة ما كانت عليه الحكومة المركزية من الضعف وما كان يتأجج فى داخلها من نيران الثورات ومن المذابح والمظالم وخاصة بعد ثورة الانكشارية ضد السلطان سليم الثالث سنة ١٨٠٦ فى القسطنطينية

ولم تكن الثورات مقصورة على عاصمة الخلافة بل كانت عامة فى جميع أنحاء الدولة ، فقام الوهابيون فى بلاد العرب وأخذوا يمدون سلطانهم حتى استولوا على مكة والمدينة، وقام عثمان باشا المعروف وربسبان أوغلو" والى وروبين فأخضع اقليم بلغاريا وانتصر على جنود السلطان واضطره الى تعيينه واليا على هذا الاقليم فى سنة ١٨٠٧ . وقام سكان والجبل الاسود "ضد الباب العالى وانتهى الأمر بأن أعلن السلطان عدم تدخله فى شؤون الجبل، وقام على باشا حاكم ويانيه "الذى أخضع البلاد المجاورة فى شقون الجبل، وقام على باشا حاكم وابيروس ". وقام وقم حورج "فى سنة ١٨٠٤ فى بلاد الصرب وعقد جمعية وطنية أعلنت استقلال الصرب الداخلى فحارب الصربيون جنود الانكشارية وانتصروا عليهم وأخرجوهم من باخراد فى سنة ١٨٠٦ وأصبح وقوه جو رج "الحاكم المطلق .

#### خطة نابليون في الشرق وخطة روسيا :

كل هذه الحوادث جعلت الخطب يتفاقم فى بلاد تركيا ، وجعلت نابليون بيأس من مواصلة سياسته الأولى التى بدأها سفيره القائد وسبستيانى والتى كانت تقضى بتقوية تركيا حتى تكون حليفة قوية لفرنسا يعتمد عليها ويستخدمها ضد الروسيا وانجلترا ، وكانت الروسيا لا تفتأ تذكر وصية ومطرس وخطة وكترينة الثانية وتقيين الفرص لتحقيق أمانيها فى احتلال القسطنطينية وسواحل البحر الأسود ، ولم تكن الفرصة أكثر ملاءمة منها فى سنة ١٨٠٧ ، وكان نابليون فى ذلك الوقت منتصرا فى واقعة وشويدلند على روسيا وبروسيا فتقابل القيصر والامبراطور نابليون فى وثن تاست واتفقا بشأن المسألة الشرقية اتفاقا سريا بمقتضاه تشترك فرنسا مع الروسيا فى تجزئة الدولة العثمانية كما أن الروسيا تشترك مع فرنسا فى اعلان الحصر البحرى على انجلترا ، وبدأت فعلا مفاوضات التجزئة ولكر نابليون أصر على أن تبق القسطنطينية و بلاد الرومللي الشرق ولكر نابليون أصر على أن تبق القسطنطينية و بلاد الرومللي الشرق تابعتين للدولة العثمانية ، وأصر القيصر على أخذ القسطنطينية فلم تأت المفاوضات بنتيجة ، هذا الى أن انجلترا كانت بالمرصاد فى البحر .

وبينها كان نابليون يعد العدة ضد انجلترا والدولة جاءت الأخبار بانكسار جيوشه في أسبانيا وقيام الشعوب ضده في شبه جزيرة الأندلس ثم في النمسا والمانيا ، وفي هذه الأثناء قامت الحرب بين روسيا وتركيا سنة ١٨٠٩ واستمرت ثلاث سنوات انتصرت في أثنائها الروسيا كالمعتاد ، ولكن لما رأت الروسيا بوادر النزاع بينها وبين نابليون بدأت مفاوضات الصلح مع تركيا ، وعلى الرغم مر تدخل نابليون في المسألة والحاحه في ايقاف مفاوضات الصلح لم يصغ الباب العالى انصحه متذكرا ماعمله نابليون في وو تلست ومتجاهلا سير السياسة العامة في أوربا لأنه لو لم يعقد الصلح في وو تلست ومتجاهلا سير السياسة العامة في أوربا لأنه لو لم يعقد الصلح حلمة نابليون الشهيرة في الروسيا ، ولكن القيصر فطن لهذا فلم يتشدد وعجل بعقد معاهدة وو بخارست " في ما يو سنة ١٨١٢ فنزل القيصر عن حماية البغدان والأفلاق وأصبح نهر « البروت » هو الحد الفاصل بين الروسيا والدولة العثمانية .

# مؤتمر ڤيينا والمسألة الشرقية :

ولما انعقد مؤتمر الدول في وو قيينا "سنة ١٨١٥ لم يتعرض ساسة أوربا المسألة الشرقية رغم أنها من المسائل التي كان يتوقف عليها ضمان السلم العام في أور با الذي من أجله انعقد المؤتمر، وخشي وو الاسكندر "الذي كان صاحب النفوذ الأول في المؤتمر أن تعرض المسألة أمام مؤتمر ڤيينا فتفقد الروسيا حرية العمل بمفردها في حل المسألة التي كانت تعتبرها كأنها مسألة داخلية خاصة بالروسيا دون غيرها من الدول فعمل على اقصاء المسألة عن بحث المؤتمر.

#### الاسكندر الأول وسياسة روسيا:

وكار قيصر الروسيا اسكندر الأول رجلا شاذا اعتقد منذ كارثة وكار أنه مرسل من لدن الله للقضاء على قوة نابليون ، وجعل منذ

ذلك الوقت يسيطر على اتجاهات السياسة الأوربية العامة، وكان الاسكندر لايستقر على قرار بشأن سياسته فبينها تراه يحبذ الأفكار الدستورية ويعمل على تأييدها في بولنده وفرنسا، تراه آونة أخرى يعضد مشروعات وو مترنخ ؟ وينصر السياسة الرجعية في كل مكان ، وكانت سياسة الإسكندر حيال الدولة كسياسة قياصرة الروس منذ بطرس الأكبر وهي التعجيل باضعاف الدولة العثمانية والعمل على اضمحلالها ، وإذا كان لم يتيسر للاسكندر تحقيق أغراضه في سنة ١٨١٢ بعد انتصاره الباهر فذلك لأن نابليون كان يعد حملته الشهيرة ضد الروسيا ، فلما سقطت دولة نابليون واستتب السلام في غرب أوربا عاد الاسكندر الى مواصلة مشروع القيصرة ووكترينة الثانيــة " وكانت أسباب النزاع بين روسيا وتركيا متوافرة بفضل الحقوق التي كسبتها روسيا على رعايا السلطان المسيحيين فقد فسرت معاهدة و كوق قنردحه سنة ١٧٧٤ بأن لها حق حماية الرعايا المسيحيين دينيا وسياسيا أينها كانوا ، مع أن نص المعاهدة لا يقضي الا بأن يكون للروسيا حق حماية كنيستها بآلقسطنطينية وغيرها التي من جنسها ، ولم تكن الروسيا تعد نفسها حامية للسيحيين فحسب بل كانت تعتبر أن الواجب يقضي عليها بتخليص هؤلاء الأقوام من حكم العثمانيين .

ولقد هال الباب العالى أن يرى قيصر الروسيا يقدم وثيقة ووالمحالفة المقدسة وفيها ظهرت الدول المسيحية كأنها أسرة واحدة يجب أن تعمل على حسب تعاليم الكتاب المقدس ، فظهر لتركيا عزلتها عن باق ممالك أوربا فخافت أن يكون المقصود من مثل تلك الوثيقة اثارة حرب صليبية مر جديد ، فكتبت تستفهم من حكومتي لندره و ثيينا فأجا بتاها بأن تستفهم من القيصر فطمأنها ، ولكن الحقيقة لم تخف عن أنظار الباب العالى الذي رأى الحطر يتهدده لاحتفاظ القيصر بجيش عظيم يبلغ ، ، ، ، ، ، ، جندى ، مع أن الدول كانت قد أنقصت جيوشها الى النصف منذ سنة ١٨١٦ ، ودل القيصر على نياته ضد الباب العالى بتعضيده لاثورة في الصرب وبايوائه ووقره جورج على نياته ضد الباب العالى بتعضيده للثورة في الصرب وبايوائه ووقره جورج في سنة ١٨١٣ بعد استعادة السلطان لنفوذه و بمساعدته والميلوش ابرونو فتش "

الزعيم الصربى الثانى الذى نال من الباب العالى حق الاستقلال الداخلى للصرب سنة ١٨١٧ بعد أن قتل وو قره جورج " منافسه .

كذلك أدخل القيصر في خدمتمه كثيرا من اليونانين أمثال وكابودسترياس والأخوين و ابسلنتي وساعد اليونانيين على تأليف جمعيمة سرية تدعى و بالهتيريافليكي أى و جمعية الاخوان التي أخذت تعد العدة للثورة ضد العثمانيين على مثال جمعية و الكربونارى في ايطاليا بالنشر والتحريض كل هذا كان يعمله القيصر علانية ، غيرأن انجلترا والنمسا كانتا على حذر وحاربتا سياسة روسيا بقدر ما في وسعهما ، لأن النمسا كان لايسعها أن ترى الروسيا تبسط حمايتها على الشعوب الساكنة على سواحل الدانوب قريبا من أملاكها فلم تساعد أهالى البلقان على الثورة ضد الاتراك . وأما بريطانيا فكان من رأى ساستها أن حفظ كيان الدولة العثمانيسة أمن ضرورى لدوام السلم في أور با ولمعارضة الروسيا في سبيل تقدمها نحو الشرق والبحر الأبيض المتوسط ، وسيظهر هذا الخلاف جليا عند نشوب ثورة البونانيين .

### ثورة اليونانيين

#### حالة اليونانيين العامة:

كان اليونانيون أكثر الأجناس الخاضعة للسلطان عددا وأقربهم اليه منزلة وكان الباب العالى يخصهم بوظائف ومن ايا سامية وكان فلاحو اليونانيين أسعد حظا من زملائهم في أوربا اذلم يكن نظام رقيق الأراضي معروفا فيها في حين أن آثاره كانت باقية في روسيا وبروسيا وبولنده ، وكان السلطان يعين ولاة من العثمانيين يدعون الى مشاورتهم في شؤون الادارة أعيان اليونانيين والأتراك ، وكان يترك توزيع الضرائب وجبايتها في أيدى

سكان كل قرية فكانوا ينتخبون عددا من بينهم لتقرير الضرائب وتوزيعها على السكان وكل ما كان يهم الباب العالى هو وصول المال للخزانة والحصول على العدد اللازم من بحارة الجزر اليونانية لالحاقهم بالاسطول العثمانى .

## امتيازهم الديني :

أمامن الوجهة الدينية فكانت سياسة السلطان دائما في كل فتوحاته ترك كل ملة وشأنها ، ولما كان المذهب المسيحي السائد في تركية أوربا هو الأرثوذ كسي وفتي الكنيسة اليونانية ، خص الباب العالى اليونانيين بادارة الشؤون الدينية في جميع أنحاء الدولة فكان يعين منهم وو بطريقا "عاما مقره القسطنطينية ، وكانت هذه الوظيفة من أسمى الوظائف في الباب العالى اذ كان للبطريك اليوناني نفوذ على كافة الكائس المسيحية في الدولة العثمانية ماعدا بلاد الصرب وكان له حق تعيين الأساقفة ولحؤلاء حق عقد عام خام خاصة لمحاكمة المسيحيين ، وقد أوصلهم حذقهم في السياسة الى أعلى الوظائف في الدولة العلية فكان لهم أربع وظائف وقفا عليهم وهي وظيفة وكاتب سر الأسطول " وو مترجم الباب العالى " وو حاكم الإفلاق "

### حالتهم التجارية:

أما حالتهم التجارية فقد بلغت شأوا بعيدا منه معاهدة و قيزدجة سنة ١٧٧٤ التي بمقتضاها فتح البحرالأسود للتجارة الروسية ، وانتفع اليونانيون بمزايا هذه المعاهدة فأخذوا يصنعون السفن التجارية العظيمة و يسلحونها بدعوى الدفاع ضد غزوات لصوص البحر ، فأخذوا يتاجرون مع المالك البعيدة تحت الراية الروسية أو تحت الراية الانجليزية ، وقد زادت تجارة اليونانيين وسفنهم أثناء حروب نا بايون والحصر البحرى ، فأصبح اليونانيون ذوى تجارة واسعة في شرق البحر الأبيض المتوسط ، ومن دلائل اتساع حركة التجارة اليونانية ظهور ميناء و أودسا على البحر الأسود في سنة ١٧٩٢ وهجرة اليونانيين اليها بكثرة حتى أصبحت ملجأ لجماعة من أثريائهم .

## حالتهم الأدبية:

كذلك ارتقت حالة اليونانيين الأدبية فبدأوا يتعلمون في البلاد الأجنبية ويتلقون دروسا جديدة نبهت عقولهم وجعلتهم يضمرون التخلص من نير الأتراك . وظهر من بينهم المصلح الشهير و كوريس (١٧٨٤ – ١٨٣٢) الذي اليه يرجع الفضل في وضع اللغة اليونانية الحديثة ، فانه رأى أنه لا يكل الشعور القومي بدون رابطة اللغة ورأى أن اللغة اليونانية في ذلك الوقت خليط عقيم عن اللغات الأجنبية المجاورة مع أن اللغة اليونانية القديمة كانت من أفضل اللغات فأخذ و كوريس ينق اللغة من الغريب السوق ويستبدل به اليوناني العريق ، وهكذا أخذ يصلح اللغة ويزيد عليها ويدمج القديم في الجديد وأخرج مؤلفات جديدة وأحيا الآداب القديمة فأعاد ذكري مجد اليونانيين القدماء وجعل لهم لغة ذائعة معروفة .

من ذلك يتبين أن اليونانيين قبل الثورة لم يكونوا مستعبدين بل كانوا في الحقيقة شبه مستقلين ، وأنهم وصلوا الى درجة عظيمة من الثروة والرق وخاصة في مركز نهضتهم وهو قسم وو الفنار " في القسطنطينية حيث كانت دار البطريق التي نشأ حولها طائفة وو الفناريين " المعروفين ويليهم في الرقي يونانيو البغدان والأفلاق وأودسا .

#### تكوين جمعية الاخوان:

غير أن هذا الرق كان باعثا على تحريك الهمم ضد سيادة الأجنبي وخاصة بعد ماعلموه من نجاح الثورة الفرنسية وظهور نابليون الذي أصبح مثالا يقتدى به في الثورات التي قامت عقب سقرطه مطالبة بالاستقلال، كذلك شجع اليونانيين على القيام بالثورة ماعلموه من قيام على باشاحاكم و يانيه "وغيره في أنحاء الدولة ، ولكن المسئول مباشرة عن تنظيم حركة الثورة ضد الأتراك هو جمعية و المختبريا "أو جمعية الاخوان وهي جمعية سرية أسست في و أودسا " و و ثيينا " في سنة ١٨١٤ لما علم اليونانيون بأن مؤتمس

وه فيينا " سيهمل البحث فى المسألة الشرقية ، وأخذت دائرة الجمعية تتسع تدريجا حتى انضم الى صفوفها فى غضون ست سنوات كل يونانى ذى مكانة .

## قيام الثورة وأغراضها :

وكانت هدن الجمعية تتاجر باسم قيصر الروسيا ووزيره اليوناني و كابودسترياس "فلما اجتمع أعضاء الجمعية لتبادل الآراء في أمم اعلان اللورة في ولايات البغدان والافلاق لقربها من الروسيا وأعلنوا أنهم يريدون الستقلال أمارات البلقان وطرد العثانيين خارج أور با وتجديد الدولة البوزنطية ، كانت الآمال معقودة على أن يكون القيصر عضدا للحركة ، فلما أرادوا انتخاب رئيس لقيادة الحركة خابروا و كابودسترياس " وزير القيصر في الأمور الخارجية فأبي علما منه برغبة القيصر عرب ذلك فوقع التخابهم على و اسكندر ابسلنتي " وكان ضابطا في الجيش الروسي في خدمة القيصر أيضا ، فأعلن الثورة في و ياش "في له مارس سنة ١٨٢١ وزادي في الأهالي المسيحيين بالقيام ضد الأتراك وأصدر التماسا للقيصر يطلب التعضيد ، ولكن آمال و ابسانتي "كان مقضيا عليها من المبدأ ، لأرب شعوب البلقان كانت حانقة على اليونائيين وخاصة في رومانيا حيث كانت الديانة و كاثوليكية " وعلى ذلك لم يكن من مصلحة الرومانيين والبلغاريين مثلا أن يساعدوا في تكوين امبراطورية اغريقية جديدة ، الذلك لم تصادف دعوة و الهيتريين " قبولا من الفلاحين في رومانيا كانوا ينتظرون .

### فشل الثورة في البلقان:

أما القيصر اسكندر الأول فقد جاءه خبر قيام وابسلنتي وهو في مؤتمر ولا ليباخ " يتناقش مع الدول بشأن اخضاع الثائرين في وو نابلي " واعادة صاحب الحق الشرعي فيها الى ملكه ، وكان اسكندر في تلك الآونة قد غير أفكاره السياسية الحرة وتلقي السياسة الرجعية عن أستاذها ومترنخ "

وصار له أعظم معين في سياسته ، في كان ينتظر أن يكون اسكندر عدوا للثورات في غرب أور با وعضدا لها في شرقها وقريبا من أملاكه ، لذلك لما بلغه خبر قيام و ابسانتي " بش للخبر أولا ولكن مازال به و متريخ " حتى كتب يستهجن عمل و ابسلنتي " ويبرئ نفسه منه ، كذلك أصدر و البطريق " اليوناني بالقسطنطينية قرار الحرمان ضد و ابسلنتي " ، وفي الوقت نفسه أرسل السلطان جيشا لقمع الثورة فعبر نهر الدانوب وهزم الثوار ففر و ابسلنتي " الى داخل حدود المجر حيث اعتقل ومات .

# قيام المورة

### تبادل الفظائع من الجانبين:

هذا ماحصل من اليونانيين في شمال البلقان ، ولكن الثورة لم تقتصر على ذلك بل امتدت الى الجنوب أيضا أى في شبه جزيرة " المورة " مهد اليونانيين الأصليين فقاموا في ١٨٣٧ ، وكان القصد من هذه الحركة الخروج من نير العثمانيين واعلان استقلال اليونان فقط، ولما شق اليونانيون عصا الطاعة أتوا بفظائع مروعة ضد العثمانيين وخاصة من كان منهم في داخلية البلاد، فلما وصل خبر هذه المذابح الى مسامع الأتراك ثارت نفوسهم وانتقموا لأنفسهم شر انتقام فأعدم السلطان مجمود الثانى البطريق اليوناني في صبيحة عيد الفصح وأعدم غيره من الأساقفة اليونانيين ، وظل الجانبان في صبيحة عيد الفصح وأعدم غيره من الأساقفة اليونانيين ، وظل الجانبان الثوار على وتربيولتزا" مقر الحمة المحداب على رءوس الأبرياء ، ثم استولى الثوار على وتربيولتزا" مقر الحمة ١٨٦٢ ومثلوا بالأتراك شر تمثيل فقابلهم الأثراك بالفتك بسكان جزيرة وشيوس ".

### عجز السلطان عن قمع الثورة:

ثم أعد الباب العالى جيشا بقيادة <sup>وو</sup> خورشـيد باشا " الذى كان حاكما على مصر فى سنة ١٨٠٤ و بعد أن أخضع على باشا والى <sup>وو</sup>يانيه" سار جنو با

### طلب المساعدة من محمد على:

ولما لم يكن لدى السلطان جنود لقمع الثورة ولى وجهه شطر مجد على باشارة سفير النمسا التي كانت تريد القضاء على الأفكار الثورية وعدم اعطاء الروسيا فرصة للتدخل ، وأرسل السلطان لمحمد على أمرا بذلك في ١٦ يناير سنة ١٨٢٢ وعينه حاكما على ووكريد "ثم على وو الموره" فأذعن مجد على للأمر ورحب بفرصة يظهر فيها للعالم قوته البرية والبحرية و يبرهن مرة ثانية أنه أقدر من السلطان في ميادين القتال، فأرسل قوة الى وكريد وكريد أولا ثم جهز حملة مكونة من ١٧٠٠٠ جندى سافرت على ٩٩ سفينة منها ٣٣ قطعة حربية ونقلية و ٣٦ تجارية استؤ جرت لنقل العدد والذخائر، وقد جعل الرياسة لابنه ابراهيم باشا ورياسة الأسطول لصهره محرم بك.

## خطة الحملة المصرية:

وذهب الأسطول أولا الى جزيرة ° رودس '' فانضم الى الأسلطول العثمانى وشجعه على الخروج والمخاطرة ، واقتحم الارخبيل على الرغم مرب



تعقب سفن اليونانيين لهم وكان الأسطول أقوى أسلحتهم ولكن ابراهيم اضطر بعد أن رأى ضعف الأسطول العثمانى وتخاذله عند كل موقعة الى الالتجاء الى جزيرة ووكريد ويق بها مدة أصلح فيها أحواله وانتهز فوصة منازعات اليونانيين بسبب يأسهم من تعضيد أور با لهم بعد أن منوا أنفسهم بذلك زمنا طويلا م فحرج ابراهيم في فبراير سنة ١٨٢٥ منتهزا فرصة بعد سفن اليونانيين عن مياه كريد ونزل بميناء ومودن ".

وكان نزول الجنود الصرية على أرض <sup>وو</sup> المورة <sup>77</sup> فاتحة عهد جديد اذ كان مستحيلا على اليونانيين مقاومة جيوش ابراهيم المدربة على النظام الحديث فأحذت انتصارات الأتراك والمصريين تتوالى سنة ١٨٢٥ و١٨٢٦ واخضع ابراهیم و کورون " ثم و نوارین " و و تربیولترا" و حاصر و نو بایا " مركز قيادة الثورة ، ولكنه ارتد عنها ولم يبق من وو المورة " غيرها كذلك كان رشــيد باشا يحاصر وو مسولنجي " فلما أعياه فتحها طلب الى ابراهيم باشا المساعدة : فتقدم ابراهيم بعد استئذان أبيه وكان اليونانيون مستميتين في الدفاع عن هذه الميناء ولم يتمكن ابراهيم من فتحها الا بعــد حصار دام من أول الأمر خمسة عشر شهرا وسقطت في أبريل ١٨٢٦ بعد أن هلك ثلاثة أرباع سكان المدينــة وثلث القوة المصرية . و بعد ور مسولنجي " سقطت <sup>وو</sup> أثينا " ( يونيــه ١٨٢٧ ) و بذلك خضعت اليونان ولم يبق لهم الا بعض جزر الارخبيل و <sup>وو</sup> نو بليا " عاصمتهم فانحطت حالتهم الأدبيــــة وتنازعوا أمرهم بينهم ولم ينقذهم من الفناء الاشيئان : تدخل أوربا وضعف تركيا الداخلي ، وكان السلطان قد قضي على جنود الانكشارية عن آخرهم في سنة ١٨٢٦ لما شاهده من فوقان الجنود المصرية ، وبدأ بتنظيم جنود جديدة لايرجى صلاحها للحرب الا بعد سنين .

#### تدخل الدول

#### السياسة السائدة في أوربا:

لما ظهرت حركة الاستقلال اليوناني كانت المبادئ السياسية في أو ربا لاتتفق البتة مع أماني الثواراليونانيين، فبادئ المحالفة المقدسة صريحة بشأن الشعوب التي تثور ضد ملوكها وحكوماتها، ولم يكن ينتظر من المؤتمرالدولي في أو ربا أو من ممثله و متريخ "أن يحبذ الثورة ضد السلطان ، فالثورة ضده لم تخرج عن كونها ثورة ضد صاحب الحق الشرعي على أي حال ، على الرغم من أن السلطان لم يكن من الموقعين على المحالفة المقدسة ولا من المشتركين في المؤتمرات الدولية .

وكانت الدول في أول نشوب ثورة اليونان مشتغلة بمسألتي ايطاليا واسبانيا وما حصل فيهما من التغيرات الحكومية، فكان اهتهام الدول ومن بينها الروسيا بشأن الحالة في الغرب عظيها ، فلما قام اليونانيون رأت الدول أنه وان كان الأمر يقتضي التدخل في جانب صاحب الحق الشرعي وهو السلطان وفاقا للبادئ الموضوعة منذ سنة ١٨١٥ فعلي الأقل يجب عليها أن تلزم الحيدة حتى تأتى الحرب بنتيجة فعلية . نعم كان الروس والاسكندر متحفزين للوثوب على عدوهم القديم تعضيدا لاخوانهم في الملة ، و بالفعل أرسل والاسكندر "انذارا نهائيا للباب العالى وسحب سفيره من القسطنطينية ولسكن و مترنخ "و وكسلرى " و زير خارجية انجلترا سكما من روع ولكن و مترنخ "و وكسلرى " و زير خارجية انجلترا سكما من روع في جانب الثوار ضد السلطان ، فأذعن لسياستهما ولم يشأ الدخول في جانب الثوار وخاصة لما رأى أن أفكار الثوار متجهة نحو الاستقلال ، وظل كذلك الى أن مات في ديسمبر سنة ١٨٢٥

#### خطة انجلترا:

كذلك مات و كسلرى " و زير خارجية انجلترا منتحرا في سنة ١٨٢٢ وخلفه في و زارة الخارجية و جو رج كانتج " وكان سياسيا جريئا صريحا، من خطته مناوأة مؤتمر الدول ومنعه من التدخل في الشؤون الداخلية للدول الصغيرة ، فأدت حدة سياسته تدريجا الى عدم اشتراك انجلترا مع دول وسط أو ربا في قراراتها وجعلته يعلن اعتراف انجلترا باستقلال مستعمرات أسبانيا في أمريكا سنة ١٨٢٤

أما سياسته ازاء المسألة اليونانية فانه مع عطفه على الثوار لم يتدخل فعليا في جانبهم وكان يعلل نفسه بأن اليونانيين لابد أن ينتصروا على الأتراك نهائيا فتستقل اليونان من غير تدخل الدول .

#### خطة النمسا:

أما ومترنخ "الوزيرالاً كبرللنمسافلم تكن له الاسياسة واحدة في الشرق وفي الغرب وهي سياسة المحافظة على القديم واجماد الحركات القومية والدستورية واحترام الحقوق الشرعية واصحابها سواء كان صاحبها وفو فردينند السابع " ملك أسبانيا أو وو مجود الثاني " سلطان تركيا ، لذلك كانت مساعدة النمسا للا تراك ضد الثوار اليونانيين أقرب من نقيض ذلك وخاصة لا تصال البلقان بأ ملاك النمسا. أما سياسة فرنسافكانت حكومة ملكها وشارل العاشر" تريد اكتساب ثقة الشعب ملكيين وجمهوريين بالدخول في جانب اليونانيين انتصارا للشعوب الضعيفة من جهة وتأييدا المسيحيين ضد الأتراك من جهة أخرى . أما بروسيا فكانت سياستها هي عين سياسة مترنخ ، لأنها لم تكن لها مصالح ذات شأن في البلقان ، هذه هي سياسة الحكومات .

### عطف شعوب أوربا:

أماشعوب أوربافكانت منذالساعة الأولى تعطف على اليونانيين فتألفت جمعيات <sup>19</sup> أصدقاء اليونان " فى كل مملكة أيدت الثوار بالمال و بالذخائر و بالرجال المتطوعين ، ومن أشهرهم اللورد <sup>19</sup> بيرون " الشاعر الانجليزى الذى مات أثناء حصار <sup>19</sup> مسولنجى" والكولونيل <sup>19</sup> فابفيير" الفرنسي .

ولا غرابة فى ذلك فاليونان فى نظر أوربا أم الحكمة ومنبع العرفان ، وهى البقية الباقية من المدنية القديمة ذات الفضل العظم والأثر المحسمود فى مدينة أوربا الحديثة ، وهى البلد التى انبثق منها نور الحرية والديمقراطية الأولى ، فكان حقا على أوربا أن تسدد جزءا ولو صغيرا من دينها السابق .

غير أن الرأى العام فى أو ربا كان وقتئذ وفى هذه المسألة يعمل مدفوعا بعواطفه ولا يعلم الحقيقة التى لا مراء فيها وهى أن اليونانيين الحديثين قوم قد امتزجوا بالأمم الصقلبية وتطبعوا بطباعها فكانوا الى الفطرة أقرب منهم الى المدنية ولم يتميزوا عن باقى الأمم السلاقية فى شيء ، فان البيئة الجغرافية واحدة وقد أثرت فى الجميع على السواء، اللهم الا اليونانيين الذين رحلوا عن بلادهم وتعلموا وامتزجوا بالأمم الأحرى فانهم حقيقة كانوا ذوى ثروة ونشاط ومقدرة.

على أن عطف شعوب أور با على اليونانيين لم ينقذهم من الاذعان لسلطان ابراهيم باشا والعثمانيين ، وكان مجد على قد أرسل المدد لابنه ابراهيم فخافت حكومات أور با أن تكون عاقبة تغلب المصريين فى بلاد اليونان أن ينقرض اليونانيون وتثبت أقدام المصريين فى تلك البلاد ، فأصبح التدخل لابد منه وخاصة من ناحية روسيا .

#### خطة القيصر نيقولا الأول:

وكان القيصر و نيقولا الأول " الذى خلف القيصر اسكندر أقوى مراسا من سلفه مقداما حازما ولم يكن من رأيه التمسك بمبادئ المحالفة

المقدسة لأنه لم يتقيد كلفه بقرارات سنة ١٨١٥ وما بعدها .وكان من رأيه الصريح التدخل ضد الأتراك فأرسل انذارا نهائيا بشأن شروط لمعاهدة و بوخارست "لم ينفذها الباب العالى ، ولم يقو على التصريح بذكر المسألة اليونانية ، فلما علم و كاننج Canning " بذلك خاف أن يؤدى الأمر الى تدخل الروسيا بمفردها في حل المسألة فيكون لروسيا النفوذ الأكبر في البلقان فأرسل الدوق و ولنجتون Wellingiton " سفيرا لدى الروسيا ليعمل على توحيد غرض الحكومتين، فاتفقا مبدئيا في لأبريل سنة ١٨٢٦ على أن تمنح اليونان الاستقلال الداخلي وتبيق السيادة لتركيا .

ومقابل هذا الاتفاق سعت انجلترا لدى الباب العالى بأن يسرع في الاتفاق مع القيصر على تنفيذ شروط معاهدة ووبوخارست وفعلا ووفق على ذلك باتفاق وو أكرمان " سنة ١٨٢٦ و بمقتضاه أصبح للروسيا حق في ولايتي الدانوب لا يقل عن حق تركيا ، وأخذت الروسيا بعض بلاد في جنوب القوقاز ، وأصبحت الملاحة حرة في البحر الأسود ، ووافق السلطان على ما نالته الصرب من الاستقلال الداخلي .

ولكن المسألة اليونانية كانت تتطلب النيظر فيها بسرعة ، فعمدت انجلترا والنمسا الى نصح الباب العالى بقبول الاتفاق المبيدئي (أبريل سنة ١٨٢٦) بين انجلترا وروسيا ولكن الحكومة العثمانية أبدت بدل الموافقة لومها للدول، لأنها لم تراع مبادئ المحالفة المقدسة، ولأنها شجعت الثوار على الخروج على صاحب الحق الشرعى، وأنكرت عليهم حقهم في التدخل في مسائل الدولة الداخلية ، وكانت الروسيا تتحين الفرص لاعلان الحرب والتدخل في المسألة فعدت اصرار السلطان على عدم الاتفاق مع الدول مبررا لهرب ، كذلك اتخذت الوزارة الانجليزية منيذ تولى و كاننج "رياستها موقفا هجوميا، فلم تشأ أن تستسلم لماطلة الباب العالى ، وعلى ذلك سرعان ما تم الاتفاق بين روسيا وانجلترا وفرنسا في معاهدة لندره سنة ١٨٢٧

#### معاهدة لندره (۱۸۲۷) :

أما النمسا فقد أعلنت مبدأها الذي لا تحيد عنه وهو أنها لا تتدخل أبدا بناء على طلب الثوار، وأن خير طريق لحل المشكلة هو أن تنصح للسلطان وديا بأن يمنح اليونانيين مطالبهم ، لذلك لم يتحرك وو مترنخ " وترك الدول الثلاث توقع المعاهدة ، وفي مقدمتها يقولون: وإنهم عقدوا هذه المعاهدة لمنع الأضرار التي لحقت بمتاجرهم في الشرق واجابة لدعوة الثوار وتابية لنداء الانسانية ، و بمقتضى هذه المعاهدة تقرر أن تفصل اليونان عن تركيا نهائيا وأن تبق السيادة لتركيا من غير أن تدفع اليونان الجزية وأن تعلن الهدنة بين المتحار بين تنفيذا لشروط المعاهدة و إلا تدخلت الدول بالقوة ، ولم يمهل الباب العالى إلا شهرين للاجابة".

#### موقف الحلفاء وموقعة نوارين :

ولما رأى الحلفاء ما ينتسظر من عناد الباب العالى واصراره على عدم الاذعان، قرروا سرا أن يرسلوا بعض أساطيلهم الى شواطئ اليونان استعدادا للتدخل بالقوة ، فجاء أمير البحر وو كدر نجتون Codrington ولا على رأس الأسطول الانجليزى وألق مراسيه عند وونوارين ثم جاء الفرنسيون بقيادة أمير البحرود ريني Rigny والروسيون بقيادة وهيدن عدن المعافله العثمانى وبدأت المفاوضات في الحال مع ابراهيم باشا وكان واقفا بأسطوله العثمانى المصرى داخل خليج وونوارين ألم الموار فين جاءهم خبر ابرام المعاهدة المصرى داخل خليج ونوارين أما الثوار فين جاءهم خبر ابرام المعاهدة عدوه انتصارا باهرا لهم بعد أن كانوا قد وصلوا الى حالة سيئة للغاية وخاصة بعد أن سقط حصن و أثين عقب و مسولنجي فدبت في وخاصة بعد أن سقط حصن و أثين عقب و مسولنجي فدبت في نفوس الثوار روح جديدة ورحبوا بالمعاهدة حال عرضها عليهم الما الباب نفوس الثوار روح جديدة ورحبوا بالمعاهدة حال عرضها عليهم الما الباب العالى فانه يا يعان من المنسا توقف وامتنع عن الاعتراف بالمعاهدة فتهدد باستعمال القوة ولكن لم يجد ذلك نفعا وفات الوقت من غير رد أو تساهل باستعمال القوة ولكن لم يجد ذلك نفعا وفات الوقت من غير رد أو تساهل باستعمال القوة ولكن لم يجد ذلك نفعا وفات الوقت من غير رد أو تساهل باستعمال القوة ولكن لم يجد ذلك نفعا وفات الوقت من غير رد أو تساهل باستعمال القوة ولكن لم يجد ذلك نفعا وفات الوقت من غير رد أو تساهل

は一個では これで 人

من قبل الباب العالى فوقف الأسطول المتحد أمام ميناء وونوارين واتفق مبدئيا على أن تبق الحالة كما هي حتى تصدر أوامر جديدة. ولكن حصل سوء تفاهم بين الأسطولين أثناء غياب ابراهيم داخل المورة وكانت تعليات أمير البحروو كدرنجتن تقضى باستعال القوة اذا دعت الحالة فدارت واقعة وونوارين "في ٢٠ أكتو برسنة ١٨٢٧ وقضى على الجزء الأعظم من الأسطول العثماني المصرى في ثلاث ساعات فتشجع الثوار وأخذوا يستردون مكانتهم.

## أثر الموقعة :

أما خبر موقعـــة وفو نوارين من في تركيا فقد أتى بعكس المطلوب منه 6 فان الباب العالى استشاط غضبا عند سماعه بالكارثة وطلب تعويضا كبيرا من الدول الشــلاث ، ودعا السلطان اجتماعا عاما من كبار الأمة وقرأ عليهم منشورا نسب فيه للروسيا خاصة التحريض والمؤامرة ضد الباب العالى ودعا المسلمين الى قتال الروسيا عدوة تركيا ومسببة محنها ، فلم يسع القيصر الا اعلان الحرب في سنة ١٨٢٨ ، أما في انجلترا فقد حدث تغيير في سياستها بسبب موت <sup>وو</sup> كاننج <sup>،،</sup> في أغسطس سنة ١٨٢٧ وهو صاحب سياسة الهجوم وجاء بعده وولنجتون وهو من المحافظين الذين من سياستهم الحرص على بقاء كيان تركيا ، لذلك لم تواصل الحكومة الانجليزية سياسة وو كاننج " فتسعى في تنفيذ معاهدة لندره سنة ١٨٢٧ ، بل أبدى الملك وو وليم الرابع " رسميا في خطبة العرش ( يناير ســـنة ١٨٢٨ ) أســفه على ما حصل في واقعة وو نوارين مشيراً ألى هــذه الحادثة بقوله وو الحادث النحس ( The untoward event ) " لذلك قصرت انجلترا مساعدتها في المسألة اليونانية على أن تكون أدبية فقط ، أما فرنسا فأرسلت جيشًا يبلغ عدده ١٥٠٠٠ بقيادة المـــارشال وفر ميزون Maison " لمراقبة اخلاء وو المورة ، من الجيوش المصرية.

#### خطة مجد على بعد الواقعة :

أما مجد على فقد كسب لنفسه مركزا بين الدول لم يكر. ليحلم به ، اذ اضطرت الدول الى مفاوضته مباشرة، ولا بد أن تكون الدول قد دهشت لما رأته من استعداد وموارد الباشا ، ولما أنس مجد على من الدول رغبة في مصادقته، رأى أن اصراره على المقاومة وانها كه قواه واضعافه لمركز مصر واستهدافه للخطر مر. أجل السلطان ليس من السياسة في شيء لذلك لما دخلت الجنود الفرنسية و المورة " بقيادة و ميزون " في أغسطس سنة ١٨٢٨ لم يقع بين الجانبين نضال أو كفاح وتصافي الجيشان و الحيال .

#### مركز مصر فى نظر الدولة :

وكانت المفاوضات فى غضون ذلك دائرة بين عبد على وأمير البحر الانجليزى و يتضح منها جليا مقدار تحسين عبد على لمركزه الدولى ، فقد كتبت اليه الحكومة الانجليزية تبدى عظيم أسفها على مالحق الأسطول المصرى من الحسارة بسبب واقعة وونوارين " وتبدى رغبتها فى أن يكون علاقاتها دائما ودية مع الباشا، ثم أفضت اليه الحكومة بأن الأخبار الواردة حديثا تدل على أن الباب العالى قد يستمر فى مقاومة الحلفاء الى درجة الدخول فى حرب عانية، فاذا دخات انجلترا فى حرب ضد تركيا فان حكومة انجلترا تعتبر مركز عبد على كما يأتى :

ووإن جلالة الملك ، من غير تدخل منه فى العلاقات بين الباشا والسلطان الذى يعترف له الباشا بحق السيادة ، مستعد للاعتراف لسموه بالحيدة التامة متى تعهد هو أيضا بمراءاتها مراءاة تامة اذا ما نشبت الحرب بين الحلفاء والدولة <sup>10</sup> (1).

<sup>(</sup>۱) سجلات و زارة الخارجية بلندن (مصر) : من''و زارة الخارجية'' الى '' سولت '' ف ٧ ديسمبر سنة ٧ ١ ٨ ٢ ٧

لذلك لم يتردد مجد على ووقع على اتف ق الاسكندرية في ٦ أغسطس سنة ١٨٢٨ (١) وأرسل يأمر ابراهيم بالجلاء عن و المورة ، من غيرانتظار لأمر السلطان فتم ذلك ، وفي ٢٩ ديسمبر وصل محرم بك الى الاسكندرية ومعه باقى الأسطول وهو ٣٨ قطعة و ٢٤٠٠٠ جندى ، وأصبح مجد على في حالة سلم مع دول أور با وترك الباب العالى وحده أمام روسيا .

## الحرب الروسية التركية (١٨٢٨):

وكان القيصر قد أعان الحرب على تركيا في أبريل سنة ١٨٢٨ ولم نكن تركيا على استعداد تام بسبب تغيير نظام الجندية ، ومع ذلك قد انتصر الاتراك سنة ١٨٢٨ على قيصر الروسيا أمام حصون ووشملا" و ووسلستريا" على نهر الدانوب ، ولكن عاد القيصر فعين الجنرال ووديبتش Diebitch" الذي ترك حصون الدانوب دون أن يستولى عليها واخترق البلقان بقوة صغيرة فدخل ووأدرنة" ولم يكن معه الا ١٥٠٠ جندى ، فلو أن السلطان واجهه بجيش أياكان عدده لدارت الدائرة على الروس بلا مراء ، ولكن اضطربت أعصاب وزراء الباب العالى لما علموا باقتراب الجنود الروسية من أسوار القسطنطينية فلم يشاءوا الا الصلح ، وعجلت الروسيا بعقد معاهدة وو أدرنة " سنة ١٨٢٩ و بها وافق السلطان على قرار معاهدة لندره بشأن

<sup>(</sup>١) وهاك ملخص نص الاتفاق الذي تم بين أمير البحر كدرنجتن ومجد على :

 <sup>(</sup>٣) تخلى الجنود المصرية بلاد المورة على سفى مصرية يرسلها مجد على و يحرسها الحلفاء ٠
 وهذا اتفاق غريب فى بابه لأنه عقد مع تابع للسلطان باعتباره دولة مستقلة وشروط الاتفاق مخالفة كل المخالفة لرغبة صاحب السيادة ٠

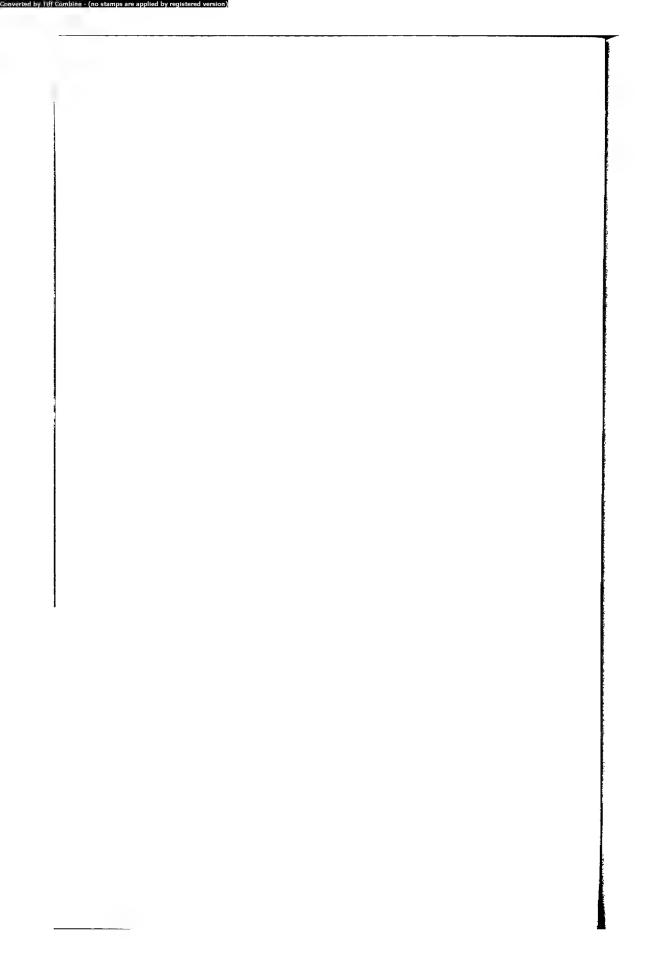
اليونان . وأصبح النفوذ الروسي عظيما في مجالس الباب العالى . قال الوزير الروسي وو نسلرود Nesselrode " : ووقد كان يمكن الروسيا أن تقضى على الدولة العثمانية ، ولكن بقاء هذه الدولة تحت حماية الروسيا أنفع لها سياسيا وتجاريا من ضم هذه الأملاك أو تجزئتها وتحويلها الى حكومات مستقلة لا يمضى عليها زمر طويل حتى تنافس روسيا في الثروة والقوة والتجارة " (١) .

هذا يفسر عدم انتصار الروسيا لمطالب أهل الباقان الكاملة فى الاستقلال ليظل البلقان تحت نفوذها ، وخشيت الدول أن يزداد نفوذ روسيا فى اليونان بعد معاهدة أدرنة وكان و كابودسترياس ، وزير الروسيا اليونانى السابق رئيسا للحكومة اليونانية المؤقتة فسعت انجلترا وفرنسا لدى الباب العالى فى أن تستقل اليونان استقلالا تاما . وتم ذلك فى سنة ١٨٣٠ باتفاق الدول الثلاث .

# امتناع مجد على عن مساعدة السلطان:

و يلاحظ أن مجد على لم يتقدم لمساعدة السلطان فى هذه الحرب على الرغم من الحاح الباب العالى عايه بارسال جزء من جيشه . غير أن مجد على لم يسعه ازاء هذا الطلب الا أن ماطل واعتذر ببعد المسافة بطريق البربين مصر وميدان الحرب ، ولعدم وجود أسطول لنقل جنوده ولوقوف أساطيل الحلفاء بالمرصاد . ثم اعتذر بتفشى الوباء فى مصر وفى الشام ، وعلى ذلك اكتفى بارسال مليون ريال للباب العالى . ولم توقع الدول على مجد على قوانين الحصر فظلت موانيه مفتوحة وتجارته سائرة كالمعتاد . ولم يضطهد الأروام فى مصر كما حصل فى جميع أنحاء الدولة فى ذلك الوقت .

<sup>(</sup>١) راجع المسألة الشرقية '' لدر يول '' صفحة ١٠٨



nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ابراهم باشسا

## الرقيق اليونانى وشدة ابراهيم :

أما شدة ابراهيم في وو المورة " فيظهر أن كتاب الافرنج قد غالوا فيها مغالاة تتفق مع عواطفهم نحو اليونانيين ، والحقيقة أن ابراهيم عامل اليونانيين على حسب الاجراءات الحربيسة التي كانت تتخذها أية دولة متمدينة في ذلك الوقت . واتهمته أور با كذلك بارسال أهل اليونان كرقيق الى مصر، ولكن ذلك غير صحيح، فقد كتب قنصل انجلترا العام الى وزارة الخارجية في هذا الموضوع يقول: ووان الرقيق اليوناني الذي أرسل الى مصر الخارجية في هذا المراهيم باشا ولا دخل له مطلقا في وجود هذا الرقيق بمصر اذ القانون العسكرى العثماني يجعل الأسير عبدا لآسره لا للقائد العام" فيظهر أن عددا عظيا قد باعت الجنود المصرية الى تجاد الرقيق وهؤلاء أرسلوه الى مصر ليباع فيها . ويبلغ عدد الرقيق بمصر . . . ٣ وقد اشترت الباقين (١) .

<sup>(</sup>۱) سِجِلات وزارة الخارجية الاعجليزية (مصر): من ''سولت'' الى ''وزارة الخارجية'' ف ۲ ا أغسطسسنة ۱۸۲۳

# الفصل العاشر بين الباشا والسلطان

#### أثر تجزؤ الدولة :

إن تجزأ الدولة العثمانية بهده الطريقة وانفصال أملاكها عنها لم يكن بالشيء الغريب، إذ ليس من المدهش أن تتساقط الججارة من البناء المتداعى المنهار ، لذلك يمكننا أن نقول إن انفصال الصرب وأمارات الدانوب ، واليزنان عاجلا أو آجلا كان عملا طبيعيا لم يكن منه مناص لأنه لم يكن الا نتيجة لحركات داخلية قام بها أهل هذه الأقسام أنفسهم يحركهم الشمرر القومى أولا والتحريض الأجنبي ثانيا، وليس هناك معنى في أن تبقى الأقوام تحت سيطرة من لا قدرة له على المحافظة عليها .

غير أن الدول بمساعدتها هذه الأقسام على الانفصال من جسم الدولة سواء كان ذلك بالتحريض أو بالمساعدة الفعلية قد أحرجت مركزها أيما احراج. ويظهر أن حب الدول ودلكلفت المورة والبلقان على العموم قد أنساها أهدل الشرق وولاته ، نسوا أنهم باذلالهم السلطان و بشدهم أزر النائرين عليه قد وضعوا مثلا جديدا يحتذيه غيرهم من رعايا السلطان. ولعلهم تخيلوا أن أهدل الشرق دون أهدل الغرب تفكيرا وشعورا وتعاموا في ذلك على الحقيقة الظاهرة وهي أن رعايا السلطان مسلمين كانوا أو مسيحيين شرقيين أو غربيين كان نصيبهم من ظلم الولاة وعسفهم واحدا مسيحيين شرقيين أو غربيين كان نصيبهم من ظلم الولاة وعسفهم واحدا ممتاثلا.

نسيت الدول أنه اذا جربت على قاعدة وطبقتها على مسألة أو أكثر كان حقا عليها وعدلا أن تطبق القاعدة فى الأحوال المتماثلة التى قد تنشب فى الدولة فى المستقبل ، وانه اذا لم تتبع القاعدة الأولى يكون جزاؤها الازدراء وعدم الاكتراث .

لم يرغم الدول على العدول عن خطتها العدائية ضد السلطان الا مجد على ، الذي أجبر الدول على أن تردد النظرية القديمة القائلة بحفظ كيان الدولة العثمانية ، ولم يكن مجد على أول من قام يعارض الباب العالى عقب الثورة وتمرد ولاة اليونانية ، فقد سبقه على باشا حاكم ويانيه "في أول عهد الثورة وتمرد ولاة وبغداد "و و عكا "و و اشقدرة "ولكن لم يكن في قدرة واحد من هؤلاء أن يجرد السيف طويلا ضد السلطان ، مجد على هو وحده الذي قدر له أن يضرب قلب الدولة و يرغم السلطان على الاتفاق معه على حسب شروطه الخاصة . كل ذلك على من أي من الدول وضد رغباتها الأكيدة .

\$1.5 \$1.5

## خطة محمد على الأولى :

ولما انتهى مجد على من حروبه فى بلاد العرب والسودان والمورة ظافرا كان اسمه قد طبق الآفاق وصار ذكر منجد مكة والمدينة على لسان كل المسلمين، وأصبح مجد على فى مركز يمكنه من معارضة السلطان اذا شاء ذلك ولكن مجد على كان له من النظر السياسي الصائب ماجعله يحافظ على علاقته بالدولة العثمانية، ألم يكن له من ذلك ضمان صيانة أملاكه التي لم تكن الا جزءا من الدولة العثمانية المقول بضرورة حفظ كيانها واستقلالها ؟ ولقد وجد مجد على من مركزه فى الدولة حصنا منيعا مكنه من مواصلة سياسته التي كانت أبدا ترمى الى علو منزلته وامتداد نفوذه فى الدولة تحت شوب اخلاصه الشفاف.

ولما انتهت الحرب اليونانية وانسحبت الجنود المصرية من والمورة" وتمكنت أوربا من تنفيذ كلمتها فى مصلحة اليونان ساء السلطان من محمد على عدم مساعدته للدولة فى حربها ضد الدول واكتفاؤه عند نشوب الحرب الروسية التركية بارسال اعانة مالية بدل حملة عسكرية ، لذلك اشتد حنق السلطان على مجد على واضطرمت فى صدره نيران الحسد لما ظهر به محمد

على من القوة ، وأخذ يوقع بين محمد على وابنه ابراهيم ، ولم يكافئ محمد على على خدماته بشيء مما وعد به الاحكم جزيرة ووكريد، ومن مظاهر العداء أن السلطان أشار على محمد على فى سنة ١٨٣٠ أن يترك الاسكندرية ودمياط ورشيد ليتسلم حكمها قبطان باشا ، ومن مظاهره أيضا أن عين السلطان خسر و باشا صدرا أعظم رغم العداء المستحكم بين خسر و ومحمد على أن كل ذلك أوغر صدر محمد على ضد الباب العالى وجعله يفكر في مشروعات كلها طمع وأنانية .

## مراجعة محمد على لخطته :

وأخذ محمد على يراجع خطته السياسية نحو الباب العالى ؛ فبينا كان الباب العالى يواصل الحرب ضد الروسيا كان محمد على يعد العدة لأجل ما عسى أن يحصل في المستقبل ، فلما عادت الحملة من و المورة " واستقرت الجنود بمصر شرع ابراهيم باشا يهييء عقول الضباط لاستقبال السياسة الجديدة ضد الباب العالى . فقد قال في خطبة له أثناء وليمة للضباط :

وم ماذا استفدنا أنا وأنتم من السلطان ؟ ألسنا فى الحقيقة كلنا أولاد محمد على الذى ربانا وعلمن ! ألم نأكل جميعا من خبزه ؟ إن مصر حق لحمد على ، حق اكتسبه بالسيف ولا تعرف لنا ملكا غيره "(٢) . وفى تلك الأيام زار مصر و الأمير بشير الشهابى " حاكم لبنان ونزل ضيفا مكرما عند الباشا ولابد أن يكون قد دار بين الاثنين اتفاقات ودية ، ويظهر أن مجمد على كان يتأهب للتحفز اذا حدث ما يبرر هذا العمل .

<sup>(</sup>١) واجع ''المقتطف'' ما يوسنة ٢٥ ١ وما بعده '' مقالات الدكتور اسد رستم'' مرر

<sup>(</sup>٢) سجلات وزارة الخارجية ( مصر ) : من فنصل انجلترا العام ٨ ينايرسنة ١٨٣٢

#### خلق السلطان محمود الثاني :

أما لدى الباب العالى فلم تكن دلائل الشقاق والاستعداد أقل منهـــا عند الباشا . وقد ساعد على اذكاء نار الحسلاف ما كان في خلق السلطان مجود الثاني من الشذوذ . فقد كان مجود الثاني سلطانا مستبدا سريع الانفعال ، تارة شديد البطش ، وأخرى شديد الكاَّبة والحزن ، يقابل تذبذيه بين القسوة واللبن عناد شديد يتولاه في ظروف معينة . وكان يعهد بحكومته الى أتباعه الذين يشملهم باحسانه فكان يولى ويعزل ويستجن كما شاءت تقلبات أهوائه . ومع ذلك كان مجمود الثانى حقيقا سلطانا قويا يريد لأمته كل خير وصلاح ، ولكن لسوء حظه لم يسلك الطرق المناسبة التي توصله الى أغراضه إذ اتبع طرقا قهرية همجية خالية مما يحبذها ويقربها لدى الشعب . لذلك لم يصادف محمود الثانى فى أكثر اصلاحاته الا المعارضة الشديدة والاخفاق، فكان مجمود الثاني يتأكل قلبه حسدا من مجمد على لأن هذا نجح حيث أخفق هو . ومن شدة حسده لمحمد على أن دعاه لحرب الوهابيين، ثم لحرب المورة لعله بذلك يفني جزءا كبيرا من قوته وثروته ، ولكن للدهر سخرية غريبة فبدل الضعف الذي كان يرجوه السلطان لمحمد على من جراء الحروب الطاحنة التي اشتبك فيها ناله منها الفخار والصيت الذائع ، ولم يجن السلطان منها الا الخسارة والذلة ، لذلك أصبح مجمود الثانى وقلبه مفعم بالضغينة بحب الانتقام من محمد على .

# بين محمد على ووالى عكا وفكرة ضم الشام لمصر :

ذلمها قام النزاع بين عبد الله باشا والى عكا ومحمد على بسبب عدم اذعان الأول لأوامر الباشا، اذ رفض أن يصدر اليه الأخشاب اللازمة لأسطوله وأن يعيد اليه بعض المصريين الفارين من القرعة العسكرية والضرائب، اشتكى عبد الله الى الباب العالى فعضد السلطان الوالى وشجعه

على معارضة رغبات الباشا ، فعزم محمد على على أن يتخذ من هذا التحرش سببا لتنفيذ مشروعه . أراد محمد على كغيره من كبار الفاتحين أن يوسع رقعة ملكه على حساب جيرانه الضعفاء ، وكان يرى فى بلاد سوريا جزءا متم المصر و بدونه لا تأمن مصر من غائلة العدوالمهاجم من الشرق ، و رأى الباشا أن مصر بلد عديمة الغابات تلزمها الأخشاب من أحراش سوريا للوقود ولبناء أسطولها التجارى الحربى ، كما أنها فى حاجة لما تنتجه سوريا من ثروة معدنية و زيوت وحرائر وجلود وأحجار مما كانت تحتاجه معامل محمد على . وكان قد أفهمه مستشار وه مرب الفرنسيين – وهم الاخصائيون فى مسائل الحدود – أن حدود مصر الطبيعية من جهة الشرق هى جبال و طوروس على أبواب آسيا الصغرى لا صحراء العرب . وفى الحقيقة لم تعدم الحكومات القوية التى استولت على مصر العريقة لضم الشام الى أملاكها . وليس هناك أدنى شك فى أن مجمد على طريقة لضم الشام الى أملاكها . وليس هناك أدنى شك فى أن مجمد على فى بادئ الأمن متواضعا فى طلبه فلم يصمم الا على ولاية عكا (۱) .

واتتهز الباشا فرصة اشتباك السلطان فى ثورة قامت فى و البوسنة " فقدم انذارا نهائيا للباب العالى يهدد فيه عبد الله والى و عكا " بالعقاب و باستعال القوة ضده اذا لم يذعن لطلباته ، وخاف السلطان مغبة هذا الانذار بسبب قيام الثورات الداخلية فى بلاده ففتح بابا للاتفاق مع محمد على ، ولكن ما كاد يرسل الباب العالى رسله اليه حتى بلغته أخبار نزول حملة ابراهيم باشا الى الشام وكانت قد أخمدت الثورة فى و البوسنة " فلم يجد الباب العالى بأسا من تحدى محمد على ومنازلته .

## قيام الحملة :

وفى ١٤ أكتو برســنة ١٨٣١ قامت طلائع الحملة من مصر بطريق والعريش، وفي ٨ نوفمبر احتل الأسطول وعلى رأسه القائد العام ابراهيم باشا

<sup>(</sup>١) راجع مقدّمة كتاب " نفارة عامة فى مصر " لكاوت بك ٠

ميناء و يافا " وفي ه ديسمبر بدئ حصر و عكا " وفي هـذه الأثناء كان قد وصل مندوب مر. قبل السلطان إلى الاسكندرية وهناك أوضح له مجمد على خطته بكل صراحة ، قال مجمد على : و بعـد أيام قلائل ستقع و عكا" في يدى فاذا رضى السلطان وقفت عند هذا الحد ، واذا لم يوافق زحفت جنودى على و دمشق " فاذا وافق السلطان على أن أضم دمشق وقفت عند ذلك وان لم يرض أخذت و حلب " فاذا لم يوافق السلطان فمن يدرى ماذا يكون ؟ " فعرف المندوب اصرار مجمد على وفهم استعداده لتنفيذ أغراضه للنهاية فنصح للباب العالى بالاذعان لطلب مجمد على ، وكان جزاء صراحته أن سحب من اسكندرية وسجن ، وأخذ السلطان يعد جيوشه بكل همة لمزاولة حرب لم يكن لها على استعداد .

#### سقوط عكا وأثره :

ولكن قبل أن يتأهب الجيش التركى للعمل بقيادة حسين باشا الذى عينه السلطان قائدا للجيش وواليا على مصر بدل محمد على ، كان قد سقط حصن عكا فى ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ فى أيدى المصريين بعد حصار طال معتة شهور تقريبا ، واذا ذكرنا أن نابليون تقهقر أمام حصن عكا أدركنا أهمية هذا الانتصار لا براهيم باشا ، ولكن يجب أن نذكر أيضا أنه لم يكن هناك أسطول معاد يعمل ضد ا براهيم فى ميناء وو عكا "كما كان يعمل وسدنى سمث "ضد نابليون .

# سير الحملة :

وكان لسقوط عكا وانتصار محمد على دوى نبه العقول من غفوتها فقام الناس ضد العثمانيين مرحبين بالجيوش المصرية أينما حلت ، وتشجع الأمير و بشير " فأعلن صراحة انضام أهل الجبل لمحمد على ، وأتى الناس من كل فج يعلنون قبولهم للحكم المصرى ، ويينما كان ابراهيم يحاصر ووعكا"

كانت قد استولت الجنود المصرية على دو بيت المقدس " وو وطرابلس " وو و بيروت " ولما سقطت وو عكا " أرسل محد على مندو با للفاوضة مع الباب العالى بشأن شروط الصلح طالبا وو فرمانا " بتوليته ووسوريا".

## خطة الباب العالى وانهزام جيوشه :

وكان السلطان في ذلك الوقت قد أرسل قرارا بعزل مجمد على من مصر وابنه من مكة وقرارا آخر بطردهما خارج القانون ، فلما علم مجد على بذلك أرسل من قبله واليـا على دمشق ودخلها ابراهيم باشا بلا مقاومة ثم اقترب من ووحمص" وهزم الأتراك شرهزيمة ، ودخل ووحماة " وتقهقرت جيوش السلطان الى وو أنطاكية " ولما اقترب حسين باشا القائد العام من حلب وصدت في وجهه الأبواب ورحل الى الاسكندرونة فدخل ابراهيم باشا حلب في ١٥ يوليه بدون مقاومة وتقابل هو وجيوش حسين أباشا في مضيق ود بيلان " بين أنطاكية واسكندرونة فانهزم حسين باشا وترك جيوشه ومؤنته وكل شيء وفر الى <sup>وو</sup> اطنة " أو <sup>وو</sup> اذنة " أما ابراهيم فدخل أنطاكية في أول أغسطس. ثم فتحجد على باب المفاوضة للصلح ولمسالم يصله الرد عزم على أن يسير نحو القسطنطينية بعد أن يتمكن ابراهيم من الأستيلاء على مفاتيح جبال الطوروس التي تفصل بلاد الشام عن آسياً الصغرى(١) . ويظهر أنه كان في نية مجد على الأولى أن يقف عند هذا الحد. ولكن لما تكرر رفض السلطان لشروط عد على التي كان يقدمها عقب كل انتصار اضطر ابراهيم الى أن يعبر الجبال وينزل في سهول آسيا الصغرى واحتلت الجنود المصرية أقليم و اطنة " على الساحل بناء على أوامر

# انحياز الرأى إلعام الى ابراهيم:

ولما شعر القوم بوجود قوات عجد على بينهم انبعثت فى قلوبهم الحماسة العظيمـة وانهالت على ابراهيم رسائل الترحيب وطلبـات التخليص من نير

<sup>(</sup>۱) سجلات وزارة الخارجية (مصر): من المعتمد " باركر" الى " بالمرستون" في ٨ يونيه سنة ١٨٣٢

الأتراك. فكتب سكان اقليم وقسطموني الكائن في الركن الشهالي لآسيا الصغرى يقولون: وفضر أن سكان هذا القسم قد قررنا أن نهجر حزب الحكومة التركية التي عجزت عن صيانتنا والدفاع عنا ، ولما كنا نرغب في أن نتمتع بالسعادة والسكون الشاملين للأقسام التي خلعت نير الحكومة ودخلت تحت حكم فنلتمس أن تقبلوا خضوعنا وأن تشملونا بحمايتكم ورعايتكم ".

#### موقعة قونية :

فتشجع ابراهيم باشا بهدا الشعور الذي ظهر من جانب الأهالي وجاءه المدد من مصر فتقدم الى الداخل واحتل موقعا حربيا في غاية من المنعة عند وقونية " وكان قد هجرها الأتراك عند سماعهم بقدوم ابراهيم باشا فقضى ابراهيم فصل الشتاء يدرب جنوده في الجهات المجاورة استعدادا لمقابلة الجيش العثماني الجديد بقيادة رشيد باشا زميل ابراهيم في حصار ومسولنجي " في حرب المورة .

وكان رشيد بك قد أخضع العصاة في ألبانيا والبوسنة فكسب بذلك رضا السلطان الذي علق على تعيينه للقيادة أهمية عظمى. وفي ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣٢ دارت رحى القتال عند وقونية " وهزم الجيش العثماني شرهزيمة وأسر القائد العام. وقد كانت خطته في أول الأمر أن يتحصن في نقطة معينة ليحول دون وصول ابراهيم باشا قرب القسطنطينية وعند هذه النقطة ينتظر المهاجم ، ولكن السلطان أرسل اليه أوامره بالتحرك لمقابلة المصريين وكان عدد الجيش العثماني ضعف عدد الجيش المصرى فكانت النتيجة و بالا على الجيش والسلطان اذ أصبح الطريق الى القسطنطينية أمام قوات عدد على و

## المسألة الشرقية والدول :

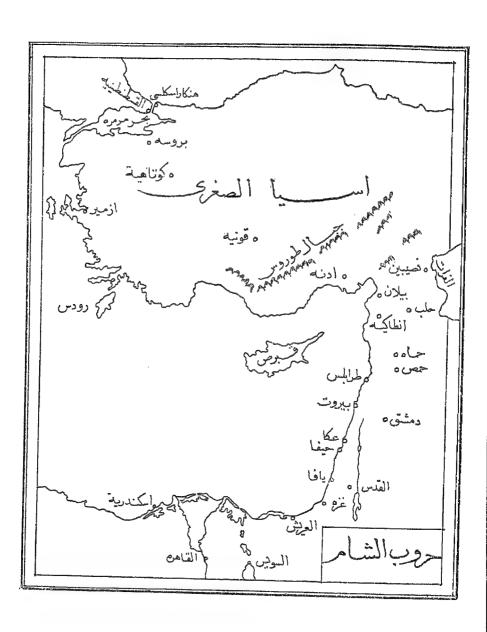
كان أثر انتصارات ابراهيم باشا السريعة المتوالية أن أثارت مخاوف السلطان محمود ، ولما لم يكن هناك ولاة يرجى منهم المساعدة ضد محمد على اجتهد السلطان بمساعى وزيره خسرو باشا أن يكسب دول أوربا الى جانبه وذلك بأن يشوه سمعة محمد على لدى الدول ، ولم تكن دول أوربا تعلم عنه الا قليلا ، ولو أن ساسة أوربا لم تنس حماسة ألمصريين وهم يحاربون في المورة ، أما و بالمرستون و وزيرخارجية انجلترا فانه لم ينس قط أن المصريين أخذوا معهم الى مصر . . . ٣ من الرقيق اليوناني بصفة أسرى .

غير أن الدول مع شدة رغبتها فى حفظ كيان الدولة العلية ومساعدة السلطان لم يكن وقتئد متفرغة للنظر فى مشاكل الدولة ، فكانت مسألة ثورة الأراضى المنخفضة وثورة بولندة وحروب اسبانيا الداخلية والاصلاحات النيابية فى انجلترا تشغل بال ساسة أور با .

## طلب المساعدة من انجلترا أولا:

وكان الباب العالى قد طلب الى سفير انجلترا السير وواستراتفورد كاننج Stratford Canning عقد محالفة بين تركيا و بريطانبا العظمى الغرض المباشر منها اخضاع مجد على ، ووعد الباب العالى أن يمنح انجلترا أى امتيازات معقولة مقابل ذلك (١) وأردف الباب العالى ذلك بأن أرسل سفيره فى النمسا ليفاوض انجلترا خاصة فى ارسال مدد بحرى تقوم تركيا بنفقاته ولى كانت انجلترا أجابت الطلب لحال المدد البحرى دون استيلاء ابراهيم باشا على ووعكان الموزارة البريطانية والورادة البريطانية

<sup>(</sup>۱) سجلات وزارة الخارجية تركيا (سرى وخاص): من السير ''استرا تفورد كاننج'' في ۹ أغسطس سنة ۱۸۳۲



• The state of the state of the state of

•

,

قررت رفض ارسال المسدد مخالفة فى ذلك رغبة الوزير و بالمرستون " واضطرت الوزارة أن تعلن فيابعد فى مجلس العموم أنه لم يكن من المستطاع فى حين اشتغال القوات الانجليزية فى هولندة والبرتغال ارسال قوة بحرية تناسب مركز بريطانيا البحرى (١).

ورد الوكيل السياسي لدولة بريطانيا أمام الاستانة قائلا: وو أن المسألة أصعب ممايتصوره الباب العالى وأن الحكومة البريطانية ستحتاج الى وقت تجيب فيه ، ولكنها في الوقت نفسه سترسل الى مجد على في أقرب فرصة معبرة عن الأسف الذي سببته خطته وعلى أملها في أن يعقد الصلح مع السلطان مباشرة ، وأرن الحكومة أرسلت معتمدا سياسيا ووكواونيل كامبل لأجل التشديد على محمد على بعقد الصلح وتفهيمه بأن العبث بوحدة الدولة العثمانية لا يمكن أن يحدث بدون أن تتحرك انجلترا (١).

#### طلب المساعدة من روسيا:

ففت فى ساعد السلطان وزاد يأسه ال علم بتهديد ابراهيم للقسطنطينية واضطر أخيرا الى أن يتنزل فيرسل فى طلب الصلح من مجد على ، وياليت الأمر وقف عند ذلك بلطلب المعونة من الروسيا بعد أن أخفقت مساعى الباب العالى لدى انجلترا التى زودته بالقول دون العمل .

أما الروسيا فوجدت في المحنة التي وقع فيها السلطان فرصة لتأييدنفوذها ووضع حمايتها الأدبية على البوغازات كذلك لم يكن مر مصلحة الروسيا أن ينتصر عجد على ويتفوق على السلطان فتنشأ حيئيذ حكومة قوية في القسطنطينية تحول دون بلوغ الروسيا لأمانيها، فقد كتب وتنميل ويزيز الروسيا الى سفيره في الاستانة يقول: "أذا انتصر محمد

<sup>(</sup>١) حياة بالمرستون : الجزء الثانى ص ٥٦ ٣

<sup>(</sup>٢) سجلات وزارة الخارجية : إلى "مندفيل " في ٥ ديسمبر سة ١٨٣٢

على فان النفوذ الفرنسي يزداد فى القسطنطينية فتصبح هـذه المدينة مأوى للذين يتآمرون ضـد حكومة الروسيا ، لذلك ترى الروسيا فى مجد على جارا قو يا ظافرا بدلا من جار ضعيف مقهور (١) .

#### حضور المندوب الروسي :

وعلى ذلك أوفدت الى القسطنطينية في ٢٢ ديسمبر مندو با خاصا وهو القائد و موراقيف Muravieff" فعرض على الباب العالى المساعدة الفعلية ضد مجمد على وفي ١١ يناير وصل المندوب الى الاسكندرية ليهدد مجمد على باسم القيصر نيقولا بالويل والثبور وعظائم الأمور اذا لم يقبل شروط الصلح المقدمة من لدن السلطان بوساطة المندوب خليل باشا الذى أوفده السلطان في ٧ يناير لمفاوضة الباشا، فوجل مجد على من تدخل الروسيا و يقول و سنت جون " وهو شاهد عيان أن الباشا تأثر و جمع ٠٠٠٠ مرب المصريين لحضور صلاة جامعة أمام قصره داعين الله بنصر الباشا ورجوع جنوده ظافرين سالمين (١٢).

# وقوف ابراهيم عند كوتاهية ونزول المدد الروسي بالبسفور:

غير أن مجد على كان على علم تام بجورى السياسة فى أور با فلم يتزعزع أمام تمديد الروسيا ، ولما عرض خليل باشا شروط الصلح رفضها باحترام وأدب ، ولكن لكى يرضى الروسيا أرسل الى ابراهيم يأمره بالوقوف وهو في طريقه الى و بروسه " فوقف عند و كوتاهية" بعد أن رفض الوقوف بناء على رغبة و دى فارن De Varennes " المعتمد السياسي لفرنسنا بالقسطنطينية قائلا أنه لا يقف ولا يتحرك إلا على حسب أوامر ورغبات

<sup>(</sup>١) البسفور والدردنيل لغريانوف: ص ٣٠

<sup>(</sup>٢) مصر ومجد على لسنت جون : الجزء الثاني ص ٢٤ ه

أبيه ، وعندئذ كان السلطان قد طلب إلى الروسيا إرسال المدد خوفا على عوشه أن يسقط من جراء الفتن الداخلية التي كان يؤجج نارها عهد على باشا فلبت الروسيا طلبه، وفي ٢٠ فبراير رست القوة البحرية الروسية في والبسفور أمام ووترابيا حيث دار السفار الانجليزية ، فاشتد قلق انجلترا وفرنسا من تدخل الروسيا الفعلي وانفرادها بالعمل ، وسارع سفير فرنسا الجديد أمير البحر البارون ووروسين Roussin الي الاحتجاج أمام الباب العالى ونصح لوزير الخارجية بأن يجيب طلبات عهد على في الحال حتى لا يعرض المملكة للخطر الذي لابد أن ينجم من وجود الجنود الروسية بين الأهالي .

#### خطة الدول:

وكانت الدول في هـذه الآونة ترقب الأحوال وهي صامتة أثناء عراك عجد على والسلطان فلم تتحرك قيد أنملة لايقاف الحرب، ولكن لما كسب عجد على الواقعة بدأت الدول تتململ حتى اذا ما ظهرت الروسيا بمفردها في الميدان أوجس باقى الدول خيفة و بدأ الساسة يتكلمون. وأنه من السمل تلخيص سياسة الدول إزاء المسألة الشرقية .

كانت الدول تعتبر المحافظة على كيان الدولة ضرورة سياسية لا زمة لتأييد السلم العام فى أوربا · ولم كان تهديد ابراهيم للقسطنطينية يعد عبثا بكيان الدولة وجب على الدول التدخل ، ولكن حال دون ذلك موانع : (أولها) اشتغالها بأحوالها الداخلية كما ذكرنا ، (ثانيها) انتصارات مجد على السريعة التي لم تكن فى الحسبان ، وثالثها أن الدول كانت تميل الى جعل النزاع بين عجد على والسلطان مسألة داخلية لا ينبغى أن تعقدها الدول بتدخلها .

غير أن رسالة القائد ومورافيف وقبول السلطان لمساعدة الروسيا أثارا الشكوك في قلوب الدول الأخرى ، حتى ومترائخ ونشله — على الرغم من تفاهم القيصر معه — لم يوافق على وجود الأسطول الروسي بالبسفور . أما انجلترا وفرنسا اللتان كانتا في حالة اتفاق ودى فانهما نظرتا الى الحالة

السياسية بعين الاهتمام العظيم وكانت سياسة انجلترا التقليدية ترمى الى التمسك بالمحافظة على الدولة العثمانية ، أما فرنسا فكانت لها سياسة مزدوجة ترمى الى نصرة الدولة العثمانية من جهة والى تقوية حكومة مصر الناهضة من جهة أخرى . غير أنه بسبب تدخل الروسيا بمفردها في المسألة انضمت انجلترا الى جانب فرنسا نصيرة مجد على وأصبح لفرنسا الشأن الأول أمام و الرئيس افندى " وزير الحارجية العثمانية ولعب ودى فارن " وأمير البحر و البارون روسين " دورا هاما في المخابرات التي جرت بين الباب العالى من جهة وجد على وابراهيم من جهة أخرى .

#### ارسال معتمدين سياسيين لمحمد على :

أما انجلترا فانها سارت وفق فرنسا فى جميع أدوار هذه المسألة و زادت بأن أرسلت سفيرا ممتازا أمام الباب العالى وهو اللورد وبنسني Ponsonby ولما رأت ما وصل اليه اسم محمد على وحكومته مر الصيت بادرت فأرسلت الى مصر معتمدا سياسيا فى شخص الكولونيل وكامبل Campbell" ليؤكد لمحمد على ما يشعر به جلالة الملك نحو سموه من الاحترام والاعتبار الشخصى و يساعد فى توثيق الروابط الودية التى تربط البلدين . كذلك أرسل ومتربح الكولونيل وبروكش فن استن Prokesch Von Osten" ليعبر عن اعجاب الامبراطور بتفوق عقلية محمد على و يقوى العلاقات التجارية والودية بين البلدين (١) .

ويظهر أن الباب العالى بتسويده صحيفة الباشا أمام الدول ومداومة الشكوى من نمو قوته قد قدم لمحمد على أجل خدمة ، إذ بذلك جذب عقول الدول نحو محمد على رمن القوة الناهضة الزاحفة ، والقوة في عرف الدول مستودع جميع الفضائل .

<sup>(</sup>١) مصر ومحمد على لسنت جون : ص ٣٢٥

و بينها كان محمد على يستقبل الوفود ومعتمدى الدول ومندو بيها الذين ساقهم حب الاستطلاع الى مصر حيث الرجل العصامى العبقرى الذى كاد يقيم فى الشرق ما رسمه نابليون فى مخيلته سنة ١٧٩٨ ، كانت المفاوضات تدور بنوع من القلق والشدة بين الباب العالى وسفراء الدول بشأن الشروط التي يجب التسليم بها حتى تزول أشد أزمة وقع فيها السلطان ، وكان «البارون روسين» المعين حديثا سفيرا لفرنسا لدى الباب العالى قطب هذه المفاوضات من يوم نزوله بالسفارة .

#### البارون روسين سفير فرنسا:

كان البارون روسين رجلا مستقل الرأى صريحا معجبا بنفسه ومقدرته ولكن لقلة تدريبه في أعمال السياسة كانت تعوزه الحنكة السياسية والنظر الصحيح ، وكانت فكرته الأساسية في المسألة الشرقية محاربة مطامع الروسيا في القسطنطينية في كل وقت ، ولذلك كان ظهور القوة الروسية أمام البسفور في نظر ووروسين " بمثابة اعلان المحرب على فرنسا ، فكان من المحتم عليه مع مؤازرة انجلترا له ازالة كل ما يمكن حدوثه من النتائج السيئة من جراء وجود الاسطول الروسي ، غير أنه في بدء عمله تسرع ولم يسدد خطاه فبدأ بأن تعهد لدى الحكومة العثمانية بأن يقبل مجمد على شروط الصلح التي قدمها الباب العالى بواسطة خليل باشا التي بمقتضاها نزل السلطان لمحمد على عن أربعة أقسام في سوريا وهي صيدا وطرابلس ونابلس وبيت المقدس ، وفي مقابل هذا يتعهد الباب العالى برفض المساعدات الأجنبية (١) واتبع ذلك بأن كتب الى مجمد على تبريرا لتعهده كتابا جافا هو بمثابة تهديد بالحرب قال فيه :

وو إرب اصرارك على طلباتك وادعاءاتك التي أعلنتها ستجر على رأسك عواقب وخيمة أرجو أن يردعك الخوف منها . ان فرنسها ستتمسك

<sup>(</sup>۱) سجلات وزارة الخارجية (تركياً) : من مندفيل ۲۱ فبرايرسنة ۱۸۳۲

بالتعهدات التي أبرمتها وأن لها القوة وأنا ضمين صدق إرادتها . وإني لأرجو أنك لا تضطرنا الى الالتجاء الى الضرورة القاسية باستعمال القوة ضد مملكة نحن من مشيديها وضد عظمة وانتصار نحن من أخلص المعجبين بهما ". وزيادة على ذلك فقد كلف ووياوره "الحامل لكتابه أن يهدد محمد على شفاهيا بأنه اذا رفض الشروط فان انجلترا وفرنسا تشتركان فى ضرب الاسكندرية . وقد أرسل كتابا بهذا المعنى الى ابراهيم باشا غير أن الحكومة المصرية قابلت الرسالتين بما يستحقانه من السخرية ، فان مجمد على قد صمم على أن يمد نفوذه الى سوريا جميعها والى وو اطنة ، في آسيا الصغرى. وكان محمد على عالما بأن له من القوة ما يمكنه من تنفيذ أغراضه فى أقاليم تحتلها جنوده ، زد على ذلك أنه كان يعلم علم اليقين بأن اقترابه من القسطنطينية لابد أن يحدث حربا أوربية عامة ، من أجل ذلك تذرع مجمد على بالثبات وتمسك بمطالبه الى النهاية ، أما عن رسالة و البارون روسين " فان قنصل فرنسا باسكندرية ومسيو و بوالكت " المندوب الخاص من قبل فرنسا قد خففا من وطأتها وكتب محمد على الى البارون يرفض شروط السلطان رفضًا جميلاً بقوله: وواسمح لى ياسيدى السفيرأن أسألك بأى حق تدعونني لأن أضحى نفسي ، ان الشعب معى وما على إلا أن أرفع أصبعي فأثير الثورات في وو الرومللي " و وو الأناضول " وما دام الشعب معى ففي مقدورى أن أعمل كل شيء ، وأن دعوتك لى بأن أتخلى عن الأقاليم التي أحتلها هي بمثابة الحكم على بالاعدام السياسي ، غير أني واثق أن فرنسا وانجلتر لا يبخلان بالانصاف " وختم محمد على خطابه بعزمه على التمسك بمطالبه (١).

<sup>(</sup>١) مذكرات جيزو: الجرء الرابع ص ٢٦

#### مساعى الصلح:

ولأجل أن يتبع القول بالعمل أرسل محمد على فصائل من الجند الى سوريا وأمر ا براهيم بالزحف على القسطنطينية اذا لم يقبل الباب العالى . شروطه بعد مرور خمسة أيام من وصول خليل باشا الحامل لشروط محمد على ، وأمره بمواصلة الزحف حتى تجاب طلباته (١) .

فلما وصلت الأخبار الى القسطنطينية زاد رعب السلطان ، وكتب الباب العالى يطلب الى سفير روسيا الاسراع باحضار القسم الثانى من المدد الروسى ، فوقع الحبر على و روسين وقعا أيما أعاد إليه رشده السياسى فعرف حقيقة الحالة وأنه لا يمكن أن يغادر الروس البسفور يجرد انسحابه من القسطنطينية أو بضرب سواحل الاسكندرية ، وعرف أنه إذا ما تم الصلح بين السلطان والباشا فان الروسيا لا يمكنها أن تبرر وجودها على سواحل البسفور وتضطر حينئذ إلى الجلاء ، لذلك عمد و روسين و معتمدو الدول السياسيون إلى نصح الباب العالى باجابة طلبات محمد على و بعد مفاوضات دارت بشأن استئناف القتال ، وجد الباب العالى أن لا فائدة البتة من حرب قد تجر معها الانهزام وخسارة كل شيء ، فقرروا أن يذهب المسيو و دى قارن و كيل فرنسا السياسي الى و كوتاهية أن يذهب المسيو و دى قارن و كيل فرنسا السياسي الى و كوتاهية تاعدة ابراهيم الحربية و يعرض عليه شروط السلطان القاضية بمنحه جميع قاعدة ابراهيم الحربية و يعرض عليه شروط السلطان القاضية بمنحه جميع قاعدة ابراهيم الحربية و يعرض عليه شروط السلطان القاضية بمنحه جميع قاعدة ابراهيم الحربية و يعرض عليه شروط السلطان القاضية بمنحه جميع قاعدة ابراهيم الحربية و يعرض عليه شروط السلطان القاضية بمنحه بريسه سوريا ، و يفهمه بأن رفضه لهذه الشروط مما يغضب فرنسا كثيرا (٢).

فسافر و دى فارن " فى ٢٠ مارس ولما عرضت الشروط على ابراهيم باشا طلب اضافة و ديار بكر " و و ارفا " وميناء واحدة على الأقل فى إقليم و اطنة " فرجع و دى فارن " فى ١٥ أبريل سنة ١٨٣٣ وقال ان ابراهيم لم يسعه الا الاذعان لنصيحة انجلترا وفرنسا وأنه متأكد من أن الباب العالى

<sup>(</sup>١) سجلات وزارة الخارجية (تركيا) : رسالة نمرة ٩٠ في ٢٧ مارس سنة ١٨٣٣

<sup>(</sup>٢) سجلات وزارة الخارجية (تركيا) : من مندوفيل ٣١ مارس سنة ١٩٣٣

لا يضن عليه باقليم وو اطنة " وأنه قد أصدر أوامره بالجلاء منوراء جبال الطوروس على الرغم مر. أوامر والده الصريحة بعدم الجلاء مالم تجب مطالبه (۱) .

## حرج مركز السلطان وصلح كوتاهية :

ولكن لما علم بأن الباب العالى لم ينزل عن "اطنه" بعد أن وافق على ذلك مبدئيا أوقف حركة الجلاء وانتظر سير الحوادث. وأخيرا عجل السلطان بتسوية المسألة على الرغم من حضور قسم ثالث من المدد الروسى وذلك لأن الأحوال الداخلية فى الدولة كانت فى حالة من عجة: فان ابراهيم باشا كان يحتل جزءا كبيرا من "والأناضول" فأصبيحت القسطنطينية مهددة بالحجاعة فى أى وقت ، وقد زاد فى ارتباك الحالة الاقتصادية وجود المدد الروسى الذى أصبح عدده أكثر من ، ، ، و ، و ، و ، و هذا الاضطراب السياسي الكامن الذى سببه استعانة السلطان بعدو الأتراك القديم ، هذا السياسي الكامن الذى سببه استعانة السلطان بعدو الأتراك القديم ، هذا الرسيسة الأقسام الأخرى التي عين عليها عهد على واليا فتم الصلح بذلك بين الرسميسة الأقسام الأخرى التي عين عليها عهد على واليا فتم الصلح بذلك بين عليها عهد على والسلطان ، و يعرف هذا الصلح باتفاق و كوتاهية " وفي ١٩ مايو الصلح بين الباشا والسلطان .

अंट अंट

## نتيجة الصلح وتفوق روسيا :

غيرأنه ماكاديتم هذا الصلح حتى أوقد شرارة كادت تضرم نار حرب دولية . وذلك أن السلطان محمود تعلم من تجاريبه الحديثة درسا جديدا

<sup>(</sup>١) سجلات وزارة الخارجية (تركيا) : رسالة نمرة ٧٠

وهو أنه لما اشتدت الأزمة وانهزمت جيوشه ولى وجهمه نحو أصدقائه يطلب المساعدة الفعلية فلم يسعفه أولئك الذين طالما أعلنوا إخلاصهم له إلا بالكلام والقول الجميل . أما الروسيا فلما وجه اليها الطلب أجابته على الفور بالجيوش والأساطيل ، من ذلك عرف السلطان الناحية التي يجب أن يولى وجهه شطرها إذا ما اضطر لطلب المساعدة .

وفي يوم ٦ ما يو عقب تسوية صلح كوتاهية أرسل القيصر سفيرا فوق العادة وقائدا عاما للقوات الروسية في الدولة العلية هو الكونت و أرلوف Orloff و يحفظ التوازن أبام نفوذ أمير البحر و روسين الذي جلب على نفسه سخط القيصر نيقولا بسبب سلوكه في الأزمة الأخيرة. وكان الكونت و أرلوف من من أكثر المقربين للقيصر اخلاصا ، ومهمته الظاهرية مراقبة اخلاء الجنود المصرية لآسيا الصغرى والاطمئنان على سلامة العاصمة ، ولما كان ابراهيم قد بدأ في الجلاء فعلا عمد الكونت الى الاشتغال بالجزء الهام من مهمته فأخذ يقنع وزراء السلطان بأن لا سلامة للباب العالى الابقدر المعونة التي يمكن الروسيا أن تمد بها تركيا، وأخذ يواصل الاجتماع بالوزراء كل يوم حتى كاد يغطى على نفوذ و روسين و و بنسنبي وأخيرا في ١٠ يوليه انسحبت القوات الروسية بعد أن غادرت الجنود المصرية الأراضي العثانية .

#### عقد معاهدة هنكار اسكلسي :

غير أنه قبل انسحاب القوات بيومين كان قد تم التوقيع على معاهدة ومنكاراسكلسي وهي معالفة هجومية دفاعية خاصة بين السلطان والقيصر ، وقد حفظ الباب العالى أمن هذه المعاهدة سرا فلم يبح وو الرئيس افندى " بشيء عنها لسفيرى انجلترا وفرنسا ، فأقلق هذا الأمن بال هاتين الدولتين وجعلهما ينظران الىهذه المعاهدة نظر المستريب بعد أن علما بعقد المعاهدة بطريق غير رسمى ، وأهم ما في هذه المعاهدة شرط سرى فحواه أنه في مقابل المساعدة الحربية التي يتعهد القيصر بتقديمها للسلطان لا يريد القيصر أن

يطالب السلطان بمساعدة فعلية ، و يكتفى منه باغلاق و البوغازات عند الحاجة فى وجه السفن الحربية لأية دولة ، وليس فى هذا الشرط شىء يغاير السياسة القديمة التى يتبعها الباب العالى منذ زمر بعيد وهى إغلاق البوغازات وقت الحرب ، غير أن اللغز هو فى جملة و عند الحاجة ، (۱) و بدون هذه الجملة تتمكن الروسيا و بدون هذه الجملة تتمكن الروسيا من الدخول الى البحسر الأسود والخروج منه متى شاءت و يمكنها اذا ما أعلنت الحرب على أية دولة أن تقفل أمامها البوغازات وتصبح بمأمن من أى هجوم بحسرى ، و ينتج من ذلك أن تصبح تركيا تحت أمر الروسيا وحارسة للبوغازات حفظ لمصالح الروسيا . وقبول الباب العالى لمعاهدة مثل هذه برهان على حالة الضعف والاستكانة والخوف الشديد التي وصلت مثل هذه برهان على حالة الضعف والاستكانة والخوف الشديد التي وصلت اليها الدولة العثمانية . فلا يستغرب اذن قول محمود الشاني في حالة ثورانه الفكرى: و ما ذا يهمني من أمر الدولة جميعها ، ما أهمية القسطنطينية لى الفكرى: و ما ذا يهمني من أمر الدولة جميعها ، ما أهمية القسطنطينية لى الفكرى: و ما ذا يهمني من أمر الدولة جميعها ، ما أهمية القسطنطينية لى الفكرى : و ما ذا يهمني من أمر الدولة جميعها ، ما أهمية القسطنطينية لى الفكرى : و ما ذا يهمني من أمر الدولة جميعها ، ما أهمية القسطنطينية لى الفكرى : و ما ذا يهمني من أمر الدولة جميعها ، ما أهمية القسطنطينية لى الفكرى : و ما ذا يهمني من أمر الدولة جميعها ، ما أهمية القسطنطينية لى الني أضحى الاثنتين معا للرجل الذي يحمل لى رأس عهد على المرا

## احتجاج انجاترا وفرنسا :

أما انجلترا وفرنسا فلم يدهشا لعقد مثل هذه المحالفة بين الروسيا وتركيا لأن دلائل الأحوال في الأزمة الأخيرة كانت تشير الى احتمال وقوع شيء مثل هذا ، وكانت نتيجة ظهور هذه المعاهدة أن زادت عرى الوفاق بين الحكومتين توثقا فقدما احتجاجاتهما في القسطنطينية وسنت بطرسبورج وذكرا في الاحتجاج المقدم للكونت وو نسلرود "كبير و زراء الروسيا: وان المعاهدة غيرت علاقات تركيا والروسيا وصبغتها صبغة جديدة لا يسع الحكومتين ازاءها الا أن تضرب عنها صفحا وتعمل كما لى كانت هذه المعاهدة غير موجودة ".

Au besoin (1)

<sup>(</sup>٢) مذكرات جيزو : الجزء الرابع ص ٥٠ ٪

فقال الكونت وو نسارود " فى جوابه : وو إن المعاهدة دفاعية محضة ولا يقصد منها إلا المحافظة على كيان تركيا ، أما من جهة تغيير العلاقات بين تركيا وروسيا فان المعاهدة قد استبدلت علاقات مبنية على العسداء والريبة بعلاقات غيرها سداها ولحمتها الاخلاص والمودة ، وأن القيصر موطد العزم على التمسك بتعهداته للدولة على حسب المعاهدة فيعمل كما لو لم تعلن تصريحات الحكومتين (١) .

#### اتفاق النمسا وروسيا:

أما موقف النمسا فكان في جانب الاعتدال أثناء هذه الأزمة ، إلا أن و مترنخ "كان لا يميل الى اتفاق المبادئ الحرة بين انجلترا وفرنسا ولذا المجه نحو و نيقولا "قيصر الروسيا الذي باح له بما في قلبه نحو الدولة العيمانية وحفظ الحالة السياسية الحاضرة فتشجع و مترنخ " بتفاهمه مع القيصر وأنحى باللائمة على انجلترا وفرنسا وأعلن أنه لو كان موقع النمسا موافقا لما تردد في تقديم المساعدة للسلطان بنفسه ، غير أن هذا لم يمنع الحقيق ، وانتظر و مترنخ " فرصة ينسخ فيها المعاهدة بغيرها بخاءت هذه الفرصة عند اجتماعه بالقيصر في و منشنجراتز " حيث عقد اتفاقا سريا لخفظ كيان الدولة ، وفحوى الاتفاق أن الروسيا والنمسا تتعهدان بمنع عد الحفظ كيان الدولة ، وفحوى الاتفاق أن الروسيا والنمسا تتعهدان بمنع عد الحكومى في القسطنطينية فان الروسيا والنمسا تتفقان سويا على كل نقطة من حيث النظام الجديد (٢) وليس في هذا الاتفاق شيء يخالف أفكار انجاترا ورنسا، ولكن كره القيصر نيقولا للبادئ الحرة السائدة في حكومتي الغرب الدستوريتين جعله يعضد هذا الاتفاق مع النمسا سرا من غير أن يعلم به الدستوريتين جعله يعضد هذا الاتفاق مع النمسا سرا من غير أن يعلم به الدستوريتين جعله يعضد هذا الاتفاق مع النمسا سرا من غير أن يعلم به الدستوريتين جعله يعضد هذا الاتفاق مع النمسا سرا من غير أن يعلم به الدستوريتين جعله يعضد هذا الاتفاق مع النمسا سرا من غير أن يعلم به الدستوريتين جعله يعضد هذا الاتفاق مع النمسا سرا من غير أن يعلم به الدستوريتين جعله يعضد هذا الاتفاق مع النمسا سرا من غير أن يعلم به

<sup>(</sup>١) سبحلات وزارة الخارجية (روسيا) في ٢ نوفمبر سنة ١٨٣٣

<sup>(</sup>٢) سبحلات وزارة الخارجية (النمسا) ("سرى" في ١٤ يوليه سنة ١٨٣٤

انجلترا وفرنسا فأصبحتا بعد ذلك تسيئان الظن بسياسة القيصر نيقولا وأغراضه و يعدانه أعدى أعدائهما الى أن انثلم الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا فانضم نيقولا الى جانب والمرستون ...

## أماني القيصر نيقولا:

ومع ذلك فلم يدر في خلد نيقولا أن يعمل على إسقاط الدولة وقتئذ أو أن يغير في مركزها السياسي ، بل إن غاية ما كان يريده هو أن تبق الدولة حافظة لمركزها واقفة ساكنة لا تتقدم ، وعلى القيصر أن يحيها من الحركات الخارجية أو الداخلية التي ربما تثير الدولة من رقادها . وبهذه السياسة الحكيمة الخفية كانت حكومة القيصر تؤمل أن تصبح الدولة العلية تحت سيطرة الروسيا من غير أن تضطر الى فتح أو اعلان حرب ، العلية تحت سيطرة الروسيا من غير أن تضطر الى فتح أو اعلان حرب ، كانت الدول قد بدأت تتخوف من أن تجد الروسيا مسوغا للدخول اذا فتحت المسألة الشرقية من جديد .

# الفصــــل الحادى عشر اتفاق الدول ضد مجد على

خطب وليم الرابع ملك انجلترا خطبة العرش في فبراير سنة ١٨٣٤ فقال: وانه مند أن عقد الصلح بين السلطان ومجمد على لم يطرأ شيء يعكر صفو السلام، وأنه يعتقد أن لا يحصل شيء من ذلك ". ثم قال: ووستكون مهمة حكومتي منع حدوث أى تغيير في علاقات الدولة العثمانية بدول أخرى يكون من شأنه التأثير في سلامتها واستقلالها". أعلنت الحكومة ذلك ليطمئن الذين يحشون على سلامة الدولة العثمانية من تدخل روسيا، غير أن الأحوال في الشرق كانت تنذر بغير ذلك اذكان السلم مهددا في كل عير أن الأحوال في الشرق كانت تنذر بغير ذلك اذكان السلم مهددا في كل ساعة، وذلك لأن مجمود الثاني أجبر على الاذعان لمطالب مجمد على ، فكان يضمر في نفسه الانتقام منه وعلى ذلك لم يكن صلح و كوتاهية " في الحقيقة مسلحة .

وليس بعجيب أن تكون الحالة كذلك لأن شروط الصلح لم تكن أن حاسمة للنزاع القائم بين مجمد على والسلطان ، فالشروط مبهمة لا يمكن أن يطمئن لها بال أحد ، ولوكانت الدول أعلنت سيادة السلطان على جميع ولاياته وقصرت مجد على على أن يكون حاكما وراثيا على مصر وحاكما مؤقتا على ولايات آسيا مثلا لما تزعزع السلام مرة أخرى ولما اضطرت الدول الى الوقوع فى أزمة سياسية خطيرة فى سنة ، ١٨٤ ، ولكن الدول راعت فى ذلك الوقت تلافى الخطر الداهم من جراء تدخل الروسيا فضمنت بذلك السلام فى أور با وتركت الشرق مهددا .

#### معا كسة انجلترا لروسيا :

نعم كانت فرنسا تود أن تكون العلاقات بين مجمد على والسلطان قائمة على أساس متين دائم. ولكن انجلترا لم تنظر الى أبعد من البسفور فقصرت كل جهودها على فصل تركيا من الروسيا ولم يعدم و الملاستون وسيلة لاستفزاز روسيا ، فمن ذلك أنه أرسل السير و استر اتفورد كاننج " سفيرا أمام حكومة وسنت بطر سبورج" على الرغم من عدم ميل القيصر الى هذا التعيين ، ومن ذلك أيضا أنه أمر سفيره بالقسطنطينية بأن يدعو الأسطول الانجليزى في البحر الأبيض داخل الدردنيل اذا طلب السلطان المساعدة (١) وعلى العموم أصبحت العلاقات متوترة بين انجلترا والروسيا الى درجة توقع الناس معها الحرب .

## قيام سوريا وتحرك الباب العالى :

وفي ذلك الوقت قامت ثورة في سوريا على أثرادخال ابراهيم باشا نظام القرعة العسكرية وجمع السلاح من الأهالي فشغل مجمد على وكان السلطان يترقب الفرصة للانتقام منه فلما قامت الثورة في مايو سنة ١٨٣٤ فكر السلطان في إرسال أسطوله لمعاقبة مجمد على ، واستطلع رأى انجلترا وفرنسا في ذلك فكان جوابهما أن عرش الخلافة يصبح في خطر اذا جازف السلطان بحرب ضد مجمد على . ولما أبي عبد على دفع الجزية في سنة ١٨٣٤ فاتح الباب العالى سفير الروسيا بقصد تطبيق معاهدة ومعكار سكاسي "فتقدم الروسيا المساعدة اللازمة للسلطان ضد الوالى الثائر ، فكان جواب روسيا : وما الروسيا لا تستطيع ذلك لأن المعاهدة دفاعية محضة ولا يمكن الروسيا تقديم المساعدة مادام الباب العالى هو البادئ بالعدوان ولا يمكن الروسيا تقديم المساعدة مادام الباب العالى هو البادئ بالعدوان ولي ذلك نصحت له الروسيا بالعدول" (۱)

<sup>(</sup>١) سجلات وزارة الخارجية (تركيا) : من " المالمرستون " الى البحرية ٣٠ يُناير سنة ١٨٣٤

<sup>(</sup>٢) سجلات وزارة الخارجية (تركياً ) ٢٣ أغسطس سنة ١٨٣٤

بالمرستون وزير خارجية انجابرا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

-

#### احماد الثورة:

ثم جاء تصريح ووبالمرستون بأنه اذا بدأ السلطان العداء وهزم في الحرب فان انجلترا وفرنسا لا يمكنهما حمايت من مجمد على كما فعلتا سابقا (١) وكتب و بالمرستون و إلى البحرية الانجليزية ينبهها الى أن يستعمل القائد العمام لأسطول البحر الأبيض حكته ونفوذه في ايقاف الحرب بين الأسطولين العثماني والمصرى ، واذا لم ينجح في ذلك فليه كر أن انجلترا في حالة صلح مع الجانبين وليلزم الحيه التامة فلا يشترك بأى حال من الأحوال في الحرب. ولكن ماكادت تصل هذه الرسائل الى المسئولين حتى وصلت في الحرب ، ولكن ماكادت تصل هذه الرسائل الى المسئولين حتى وصلت الأخبار بأن الثورة هدأت في الشام وأن مجمد على بفضل مساعدة الأمير بشير وغيره من زعماء الجبل أصبح قابضا على ناصية الحالة فهدأت مخاوف أو ربا وزال كل أمل للسلطان في الانتفاع بمشاغل مجمد على .

فلها استتب الحال في سوريا رجع مجمد على ورأى أن يخلص نفسه من سيادة السلطان عليه لما رآه من سوء النية ودس الدسائس في سوريا فاراد أن يسبرسياسة أوربا بشأن اعلانه الاستقلال ، فكتب سفراء انجلترا وفرنسا والنمسا الى حكوماتهم بذلك عجاء الرد بالرفض ونصحته انجلترا بالعدول عن تنفيذ مشروعه لأن حالة أوربا السياسية لا يمكن أن تسمح له يتحقيق أمنيته (٢) فأرجأ مجمد على موضوع الاستقلال لفرصة أخرى ، وسعت فرنسا في سنة ١٨٣٦ في توطيد دعائم الصلح بين الباشا والسلطان بحل مرضى ولكن حبط مسعاها ، وذلك لأن الباب العالى كان قد فقد كل ثقة في فرنسا على أثر احتلالها بلجزائر وحمايتها لسواحل إفريقية الشمالية وخاصة في مدة وجود و تير Tliers على رأس الوزارة ، فكانت هذه والسياسة من جانب فرنسا مدعاة للنفور بين انجلترا وفرنسا ، ولدخول تركيا في أحضان انجلترا .

<sup>(</sup>١) سجلات وزارة الخارجية (تركيا ): من وه بالمرستون، في ٢٣ أغسطس سنة ١٨٣٤

<sup>(</sup>٢) سجلات وزارة الخارجية (تريا): من وفر بالمرستون " في ١ نوفمبر سنة ١٨٣٤

#### اعتماد تركيا على انجلترا :

وكانت انجاترا تظهر شدة التمسك بمصالح الدولة العلية ولذلك صار لسفيرها في القسطنطينية اللورد وو بنسنبي " الكلمة النافذة لدى الديوان العالى . وكان اللورد وو بنسنبي " شديد الكره لروسيا ولكن كرهه لمحمد على كان أشد وأنكى ، إذ كان محمد على في نظره بثرة في جسم الدولة تمتص ماء حياتها وعونا لروسيا في تنفيذ أغراضها من الدولة ، وكان كلما أعان وو بنسنبي " عدم ارتياح حكومته من تسوية ووكوتاهية " وهذا بعكس الروسيا الني كانت تشدد دائما في بقاء الحالة كما هي – زاد اعتماد تركيا على الحكومة الانجليزية التي مافتئت تنصح لها بتنظيم جيشها وأسطولها فعين الباب العالى الضابط البروسي ووفون ملتكه Moltke " لاصلاح فعين الباب العالى الضابط البروسي ووفون ملتكه Moltke " لاصلاح الجيش وعين ضباطا من الانجليز لإصلاح الأسطول ، وأخذ و بنسنبي " يبث أعوانه في سوريا للتجسس على قوة محمد على ولتحريك الرأى العام ضهده .

#### بوادر الاستعداد :

كذلك عين السلطان حافظ باشا وهو من المقربين الحربيين حاكما على ما بين النهرين، والغرض من ذلك تكوين جيش وتدريبه بالأراض المجاورة ودس الدسائس ضد الحكومة المصرية ، وعلى العموم لم يترك و بنسنبي ولا الوزير و بالمرستون فرصة تمر من غير إيذاء عهد على . مثال ذلك أنه في سنة ١٨٣٨ أرادت انجلترا أن تضرب عهد على في نقطة حيوية من موارد ثروته وذلك بعقد معاهدة تجارية بينها و بين الباب العالى بمقتضاها زادت ضريبة الواردات الى٨ / وحرمت بمقتضاها احتكار التجارة بجيع أصنافها ، وكان يظن أن هذا الشرط يشل حكة عهد على المالية ، ولكر للباشا

لم يتوان قط فى قبول المعاهدة من غيراهتمام ، وصرح وولكامبل معتمد انجلترا السياسى بمصر بأرن المعاهدة ستكون سببا فى زيادة ثروته زيادة تفوق ما كانت تجلبه له محتكراته(١).

### مجد على يحاول كسب رضاء انجلترا:

قبل عبد على المعاهدة التجارية كسبا لرضاء انجلترا لأنه كان شاعرا بعدم صداقتها له ، ولقد اجتهد بكل الطرق الممكنة في إرضاء حكومة انجلترا لتقلل من حدتها ضده ، فأرسل البعثات الى معاملها ودور صناعتها البحرية ، وساعد مساعدة لاتقدر في نجاح طريق التجارة بين البحرالأحمر والأبيض، كذلك اضطر أن يطأطئ رأسه أمام رغبة انجلترا في احتلال ووعدن سنة ١٨٣٩ وما كان عبد على ليسمح لأية دولة باحتلال هذه الميناء التجارية الحصينة . كل هذا أثر في سياسة وو بالمرستون " بعض التأثير فخفف من غلوائه وأرسل مندو با برلمانيا وهو الدكتور وو بورنج Bowring" ليكتب تقريرا ضافيا عن حالة مصر و إصلاحات عبد على ، ورفض الدخول في معاهدة هجومية مع الترك ضد عبد على ، وفوق ذلك أعلن استعداده لبقاء شروط و كوتاهية " بأن كلف سفيره و بنسنبي " أن يشدد على السلطان في تفهيمه و أنه وان كانت انجلترا ترى من المحتم عليها مساعدة الباب العالى ضد أي هجوم من جانب مجد على فان المسألة تتغير اذا بدأ السلطان بالمهاجمة "(۲) .

ولكر. بينها كانت علاقات مجد على بالدول آخذة فى التحسين كانت علاقاته بالسلطان لا تبعث على الرضا وحسن التفاهم ، فقد وضع السلطان الانتقام نصب عينيه بعد إهانة و كوتاهية " ولما لم ينجح فى سنة ١٨٣٤

<sup>(</sup>١) تاريخ حياة بالمرستون : الجزء الثانى ص ٢٥٧

<sup>(</sup>٢) أوراق برلمانية : من " بالمرستون " فى سنة ١٨٣٩

أجل اليوم لتاريخ آخر، وقصر همه على ابتزاز الأموال من مجد على بقدر ما يمكن فبلغت الأموال التي سحبها السلطان فى سنة١٨٣٧ أكثر من نصف مليون ريال(١).

# ارتباك مهد على المالى بسبب مركزه السياسى:

كل هذا زاد في ارتباك عد على المالى وكلف الخزينة المصرية فوق طاقتها ، ولوكان هناك فائدة من دوام الصرف لأجاب مجد على طلبات السلطان من غير تململ ، ولكن الدلائل كانت تنبئ بوقوع الحرب لا محالة . وكانت عيون مجد على تعلمه بكل ما يدور في الحكومة العثمانيسة في حينه . من ذلك أصبح مركز عد على مهددا من كل جهة فالجيش العثماني فيا وراء النهرين يهدد سوريا وحدود مصر نفسها وأصبح من المحتم إعداد جيش وأسطول ليكونا على استعداد لمقابلة الطوارئ . فزادت بذلك نفقات على على زيادة عظمى امتصت ثروة مصر وأثارت سخط الناس وغيرت حالة مصر من رغد وهناء الى خوف وانهماك في إنتاج ثروة ضائعة في سبيل ايقاف تعدى الأتراك على مصر .

# محد على يطلب استقلال مصر:

لذلك عزم مجد على فى سنة ١٨٣٨ على أن يضع حدا لمركزه وكان قد انتهى فى ذلك الوقت مر. اخضاع نجد ودانت له شبه جزيرة العرب سياسيا وتجاريا فأعلن معتمدى الدول رسميافى اجتماع خاص بعزمه الثابت على إعلان استقلاله قائلا: ولا يمكنى أن أرضى بترك ما شيدته من المنافع والمرافق الحيوية بمصر طول هذه السنين مما كلفنى أموالا طائلة كدور الصناعة البحرية والاسطول والبواخر والمصانع وعددها وعمالها والمدارس المتعددة والبعثات والمعاهد العلمية التى أنشأتها على النمط الأوربى والمناجم التى فتحتها

<sup>(</sup>۱) راجع رسالة توماس واجهورن في سنة ۱۸۳۷

فى سوريا لاستخراج الفحم والحسديد والقنوات والطرق التى رسمتها بمصر وسوريا — لا يمكننى ترك كل هـذا للفناء فى يد الباب العالى بعد موتى . وان قلبي لينفطر كلما ذكرت أن ثمـرة أتعابى ضائعة ومصيرها للفناء وأن أولادى وأسرتى ستترك بعد موتى تحت رحمة الباب العالى "(۱) .

#### جواب الدول:

بفاء جواب الحكومة الانجليزية: ود بأن الحكومة ترى من المستحيلات تنفيذ مشروع على على وترى من نتائجه المحققة الدمار للباشا ". وأجابت فرنسا: وو بأنها علمت بمزيد الدهشة والأسف عزم عد على على اعلان استقلاله . وأن الحكومة الفرنسية ستضع كل العقبات ضد تنفيذ هذا المشروع "(۲) أما و مترنخ "فقال: وان صفو السلام في أوربا لا ينبغي أن يعكر". وعبثا حاول الباشا بعد ذلك أن يطلب من الحكومة الانجليزية اتخاذ التدابير اللازمة للحافظة على السلم في الشرق. وقال بلا جدوى إن مالية مصر لا يمكن أن تتحمل نفقات السليح باستمرار واحتمال الضرائب الزائدة التي اضطر إلى وضعها . ولما لم تجبه الحكومات إلى طلبه ترك مسئولية ما يقع من الحوادث على عاتق الدول وسافر إلى السودان مع أنه قد كان بلغ السبعين من عمره ليفتش على مناجم الذهب التي كان ينفق عليها وأخبر و كامبل " انه إذا رجع ومعه كثير من الذهب فانه يستغني عن الجيوش وعن الأصحاب في معاملة الباب العالى (۳) .

#### رغبة السلطان في الحرب:

غيرأن السلطان لم ينتظر وصول ذهب مجد على وانتهز فرصة تغيبه بالسودان وأخذ يحشد قواته على حدود سوريا ، وذلك لأن موقفه إزاء

<sup>(</sup>١) سجلات وزارة الخارجية (مصر): من (وكامبل٬۱۱ فو وبالمرسنون، ۲ ما يوسنة ١٨٣٨

<sup>(</sup>۲) سجلات و زارة الخارجية (مصر): من " بالمرستون "الى " كامبل " ٧ يوليه سنة ١٨٣٨

<sup>(</sup>٣) سجلات رزارة الخارجية (مصر): من ٥٠ كامبل "الى ٥٠ بالمرسنون" ١ ٢ يوليه سنة ١٨٣٨

الوالى كان موقفا مهينا للغاية . فأى ملك أو سلطان يرضى بأن يبرم صلحا مع تابع له بشروط خاصة تحط من قدره "واذا كانت الظروف قد اضطرت السلطان إلى أن ينزل عن هذه الأقاليم ألا يكون من أول واجباته التخلص من هذه الربقة غير الشرعية متى سنحت له فرصة " على أن السلطان كان آخذا في الشيخوخة ، وكان كاما كبر نما حبه للانتقام من ذلك الذي غطى اسمه على اسم السلطان ، وامتدت ممتلكاته من جبال طوروس شمالا الى النيل الأبيض جنو با ومن خليج العجم شرقا الى جزيرة كريد غربا ، وهذا النيل الأبيض مصر والسودان ، والشام واطنه وكريد و بلاد العرب بما فيها المدن المقدسة . كل هذه البلاد كانت تحت حكه ، وكان العالم الأسلامى في جميع الانحاء ينظر إلى بطل الاسلام وفائح المدن المقدسة بعين الاحترام والولاء . ولى عن عرش الخلافة واعلان على نائبا للخلافة .

ولقد كان السلطان شاعرا بكل هذا، ولذلك أجتهد في تخليص نفسه من هذا المركز الذليل ، فاستعد للحرب على الرغم من نصيحة كل أصدقائه ، ودهشت حكومات أور با لما علمت بأن السلطان سيكون البادئ بالعدوان بعد أن كانت الفكرة سائدة بأن عجد على هو الذي سيضرب الضربة الأولى لأنه الجانب الأقوى ، ولقد عرف عجد على ذلك فأكد لمعتمدي الدول عزمه على ألا يبدأ بالعدوان . وأخيرا بدأت الحرب وذلك بعد أن عبر الجنود الأتراك نهر الفرات وهو الحد الفاصل بين الجانبين . أما في القسطنطينية فان سفراء الدول حذروا الباب العالى من الحرب وأعان سفير الروسيا أن حكومته لن تساعد السلطان في حربه ضد عهد على وصرح باقي السفراء بمثل هذا الاسفير المجانزا فانه سلك سبيلا آخر .

## مقدرة السفير بنسنبي:

كان اللورد ومبنسنبي سفير انجلترا سياسيا بارعا وله خبرة وقدرة غريبة في تكييف التعليات التي ترد اليه من حكومته بحيث يجعلها الرافق أغراضه وآرائه (۱) ومن سوء الحظ أن كانت أفكار بالمرستون و بنسنبي متفقة في النهاية ، غير أن بنسبني كان يزيد على بالمرستون بميله الى استخدام الطرق السرية للنجاح في مشروعاته . فعلى الرغم من الأوامر الصريحة التي وصلت اليه أخيرا تؤكد عليه بأن يبدى النصح للسلطان لتجنب الحرب ، كتب بنسبني الى حكومته يقول : وو انه نصح للسلطان بأن يؤخركل شيء ان لم يكن في الامكان ترك كل شيء نهائيا "(٢) وصرح للحكومة العثمانية بأن يكرن في الامكان ترك كل شيء نهائيا "(٢) وصرح للحكومة العثمانية بأن الأسطول الانجليزي لن يعترض سير القوات العثمانية . وقال انه يرجو أن يكرن الباب العالى قد أخذ الضمانات الكافية للنجاح . فتشجع الباب العالى بهذه الارشادات الخفية وصدق ما كان يكتبه حافظ باشا من التقارير بهذه الارشادات الحفية وصدق ما كان يكتبه حافظ باشا من التقارير المكذو بة عن حالة الجيش العثماني ، ورأى السلطان أنه في كلت الحالتين المحتمر شيئا لأنه اذا انتصر في الحرب فيها واذا هزم فان انجلترا وروسيا لا يمكنهما أن يسمحا لمحمد على بالقضاء على الدولة .

### الحرب الشامية الثانية:

وقف الحيشان وجها لوجه وكان الحيش المصرى بقيادة ابراهيم باشا على أرض مصرية عند و عينتاب " والحيش التركى عند قرية و نصيبين " وكانت القوات تكاد تتكافأ ، ، ، ، ، مصرى و ، ، ، ، ، تركى ، الا أن المدفعية التركية كانت تفوق المصرية فوقانا ظاهرا . وكانت أوامر ابراهيم صريحة في عدم البدء بالعدوان وعلى الرغم من تحرش القوات التركية فانه تعمل كثيرا حرصا على تنفيذ أوامر والده (٣) .

حقا لقد كان مجمد على يتوق الى محاربة السلطان ولكنه كان مصما على أن يبدأ السلطان الهجوم أولا وذلك كسبا لرضا الدول ، ولكى يبرهن

<sup>(</sup>١) الحرب في الشام لتابير: الجزء الثاني ص ٣١

<sup>(</sup>٢) أوراق برلمانية ؛ من ينسنبي الى بالمرسنون ٥ أبر يل سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>٣) أوراق برلمانية : من ابراهيم باشا الى حافظ باشا ٨ يونيه سنة ١٨٣٩

على شعوره السلمى أخبر معتمدى الدول بأنه مستعد لسحب جنوده الى جنوب دمشق اذا عبر الأتراك نهر الفرات ثانية ، واذا ضمنت الدول المحافظة على السلام فانه يسحب جنوده من سوريا جميعها ويقبل شروط الصلح(١).

ولكن السلطان كان مصمها على الحرب فبدأ حافظ باشا بالعدوان وذلك بإثارة الفتن بين قبائل سوريا وتوزيع الأسلحة عليهم وأخيرا بمهاجمة بعض فرق الجيش المصرى فى أرض داخل حدود سوريا (٢) فلما كتب ابراهيم لوالده بما حصل كتب اليه مجد على بأن يرد هجوم الأتراك وأن يعبر الحدود اذا اقتضى الحال ذلك وقال فى رسالته: وكلما صبرنا وكظمنا شعورنا مراعاة لرغائب الدول تقدم العدو، واذا صبرنا أكثر من ذلك عجزنا عن صده "فبدأت الحرب وأصبح مستقبل الحلافة العثمانية معلقا .

\*1\*

# اتفاق انجلترا وفرنسا ضد روسيا :

أخفق ممثلو الدول في التشديد على السلطان بضرورة مراعاة اتفاق وو كوتاهية " وكذلك أهملوا الإجابة عن مطالب محمد على المعقولة فنتج من ذلك أن أصبحت الدول أمام خطر طالما عملوا على تجنبه منذ معاهدة و هنكار سكاسي " ذلك الخطر هو اثارة المسألة الشرقية وفتحها من جديد واحتمال وجود الأسطول الروسي في البسفور . ولم يكن بين الدول من يحسن الظن بنيات الروسيا غير النمسا ، أما باقي الدول فقد كان جل همهم عدم ايجاد ظروف تنتحل منها الروسيا عذرا لتقديم المساعدة على حسب شروط المعاهدة . وكانت حكومتا انجلترا وفرنسا متفقتين على منع الروسيا من التعليات اللازمة لأسطولهما من التدخل بمفردها ، فمن أجل ذلك أصدرتا التعليات اللازمة لأسطولهما

<sup>(</sup>١) أوراق بزلمانية : من " كشليه" الى "سولت" ٧ يونيه سنة ١٨٣٨

<sup>(</sup>۲) « « : من °° كامبل٬٬ الى °° بنسبنی٬٬ ۲ يونيه سنة ۱۸۳۸

بأن يبحرا إلى الشرق الأدنى و يسعيا جهدهما فى إيقاف الحرب بين السلطان ومجمد على ، ثم كتبتا إلى سفيريهما بالقسطنطينية تعلمانهما بأنه إذا دخل الأسطول الروسى البسفور لأى سبب كان، وجب أن يسمح للأسطولين الفرنسي والبريطاني بالدخول أيضا (١) و بلغ الاتفاق بين انجلترا وفرنسا درجة عظيمة حتى صرح وبالمرستون لسفير فرنسا بانجلترا: وبأ بأن أعمال الحكومتين أصبحت أشبه بمعاملة عضوين فى وزارة واحدة ".

#### اقتراحات الدول بشأن الحالة:

كان هذا الاتفاق نتيجة خوف انجلترا الشديد من انفراد روسيا بالعمل. وكانت أعمال الروسيا في وسط آسيا وتحريضها للا فغان والعجم ضد انجلترا مما ملا قلوب البريطانيين خوفا على ممتلكاتهم في الشرق وحنقا على روسيا التي أصبحت منذ عقد معاهدة وهمنكارسكلسي "الحامية الوحيدة للسلطان، فاعتقد و بالمرستون أن الفرصة قد سنحت أخيرا للقضاء على هذه المعاهدة ليحل محلها مؤتمر دولي ينظر في المسألة الشرقية بجزئياتها (٢).

أما فرنسا فانها كانت تريد عزلة الروسيا التي كانت تعارض في عرض المسألة الشرقية على مسامع مؤتمر مكون من أعدائها . وعارضت النمسا في تنفيذ مشروع يضر بمصلحة حليفتها الروسيا واقترحت أن يصرف النظر عن مؤتمر لابد أن ينضم اليه مندوب عثماني ، واقترح و متزنج " أن يعقد سفواء الدول في وقيينا" اجتماعات يتذاكرون فيها في الحالة ، فوافقت الدول على هذا الاقتراح وكتبت الى سفرائها بالقسطنطينية بقبول التعليات التي يرسلها سفراء حكوماتهم في قيينا (٣)

<sup>(</sup>١) أوراق برلمانية : ''بالمرستون'' الى ''بنسنبي'' ١٨ يوليه سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>٢) مذكرات حيزو: الجزء الرابع: من "بوركني" الى "سولت" ٢٥ ما يوسنة ١٨٣٩

٣٠) أوراق برلمانية : رسالة نمرة ٨٣ في ٢٩ يُونيه سنة ١٨٣٩

### مساعى فرنسا لوقف الحرب:

ولكن رأت فرنسا أن عقد اجتماعات السفراء في ثيينا لا يفيد السلم العام شيئا وأن الدماء ستراق في الشرق اذا لم تتخذ تدابير فعالة فأرسل المارشال وصولت (Soult) " رئيس الحكومة الفرنسية ملحقين عسكريين أحدهما الى القسطنطينية والثاني الى اسكندرية لأخذ الأوامر اللازمة الى قواد الجيوش المتحاربة بايقاف الحرب أينما وصلتهم الرسالة وفعلا نجيح الضابط و كاليير " المرسل الى محمد على فأخذ الأوامر الى ابراهيم بالوقوف، ولكن قبل أن يصل الى معسكر ابراهيم كانت الجيوش قد اشتبكت في واقعة قبل أن يصل الى معسكر ابراهيم كانت الجيوش قد اشتبكت في واقعة في ساعات قليلة بالمدفعية والريجان فقط ولم تشترك المشاة في الموقعة قط(١). وقال سفير ألمانيا في القسطنطينية أن سبب الهزيمة هو أن حافظ باشا خالف في ساعات قليلة بالمدفعية والريجان فقط ولم تشترك المشاة في الموقعة قط(١). أخبار الهزيمة الى آذان صاحبها السلطان محبود الثاني الذي قضى نحب في الثلاثين من شهر يونيه وبفضل مساعى الو زير خسر و كتمت الأخبار حتى نصب السلطان عبد المجيد بن محبود ولم يبلغ سنه اذ ذاك السادسة حتى نصب السلطان عبد المجيد بن محبود ولم يبلغ سنه اذ ذاك السادسة عشرة من عمره فتم ذلك بلا سفك دماء أو قيام ثو رات كالمعتاد .

#### نكبات الباب العالى:

غير أن الكوارث ما فتئت تتوالى على الدولة الواحدة تلو الأخرى ففى اليوم الذى وصات فيه أخبار هزيمة وو نصيبين " إلى القسطنطينية قام أمير الأسطول العثمانى ووأحمد باشا فو زى "وخاف مغبة حكم خسرو باشا وخليل باشا فأدار دفة الأسطول نحو الاسكندرية ولم يطلع فو زى أحدا على عزمه إلا بعض الضباط المقربين وترك باقى البحارة ومن بينهم الضابط الانجليزى وواكر Walker "على جهل تام بما ينوى عمله .

<sup>(</sup>١) أوراق برلمانية : من "هملتن" الى ""بالمرستوب" ٢٤ يوليه سنة ١٨٣٩

وقد اتضح فيا بعد أن الأسطول الفرنسي بقيادة أمير البحر و لالند "قاطع الأسطول العثاني في الطريق وعرف قصد أمير البحر أحمد فوزي فاستحسن الفكرة وطلب اليهم أن يحترسوا من مقابلة السفينة الانجايزية وفانجار"، ولما اقترب الأسطول من الاسكندرية استعد البحارة للحرب ولكن بدل دوى المدافع سمعوا طلقات السلام والترحيب من طوابي الاسكندرية والأسطول المصرى ووضع أحمد فوزى الأسطول العثاني طوعا بين يدى محمد على وهو في نظره القوة الوحيدة التي يمكنها المحافظة عليه ، فأصبحت الدولة في مدة أسبوعين فاقدة جيشها وسلطانها وأسطولها ولم يبق لها من أساليب الحماية إلا رعاية الدول وحكة محمد على .

وقد أبدى خسرو باشا حكمة سياسية فى أول الأمر بأن أرسل رسولا الى مجد على مهمته الظاهرة اعلان تولية السلطان الجديد ولكنه فى الحقيقة كان يحمل شروط الصلح معجد على وفحواها أن تجعل حكومة مصر و راثية فى أسرة مجد على، غير أن مجد على اغتمد على انتصاراته وطلب حكومة سوريا زيادة على مصر و رجع عاكف باشا المندوب العثماني مجلا بالهدايا .

### عداء بالمرستون لمحمد على :

ولى وصلت أخبار الكوارث التى أصابت الدولة العثمانية الى مسامع الحكومات الأوربية استولى عليها القلق وأبدت الاهتمام بالأمر وحنق و بالمرستون "حنقا شديدا على مجد على لظفره فى الحرب وساءه أن تقع تركيا بين برائن مجد على وفى قبضة الروسيا ، فأضمر لمحمد على منذ ذلك الوقت العداء والمعارضة الشديدة لمصالحه . من ذلك أنه صرح فى البركان بلاتردد بأنه لما كانت بلدة ونصيبين "واقعة خارج إقليم مجد على فانه لا يمكنه أن يقهم كيف يكون السلطان هو المهاجم (١)

وكتب ود بالمرستون " الى سفيره فى ثيينا يقول : ود ان التصار مجد على في واقعة ٢٤ يونيه لا يمكن أن يخول له أى اعتبار خاص من جانب الدول

<sup>(</sup>۱) مجموعة هبسارد : ۲۰۰ أغسطس سنة ۱۸۳۹ و ۲۰ مارس سنة ۱۸۶۰

الخمس بل قد يؤدى انتصاره الى عكس مايتصوره لأن الواقعة قامت على الرغم من نصائح وتصريحات الدول" (١).

وقد كان أكثر ما ساء " بالمرستون " خضوع الأسطول العثماني لمحمد على ، ففاتح في الحال الحكومة الفرنسية بشأن الاشتراك لنزع الأسطول التركى من أيدى مجد على . وفعلا كتب " بالمرستون " للبحرية الانجليزية عن الخطة اللازمة لأجل ذلك حتى جاءه جواب الحكومة الفرنسية يذكره بأن أي عمل عدائي ضد مجد على من شأنه أن لا يسهل المشروع الذي تسير فيه انجلترا وفرنسا معا فأمسك من العمل (٢) .

### خطة فرنسا:

أما فرنسا فان سياستها كانت فى مصلحة مجد على منذ انتصاره ، وأصبح من واجبها الأدبى تسوية الحالة بأحسن الشروط له . غير أن علاقة تركيا بأور با كانت تتطلب من فرنسا اهتماما خاصا ، وكان جل أمانى السياسة الفرنسية أن تجع دول أو ربا وتجعلها ضد سياسة القيصر فى المسألة الشرقية.

### خطة الروسيا :

أما موقف الروسيا فكان موقفا محاطا بالاحتراس والحكمة فلم تتحرك لمساعدة السلطان في حربه مع مجد على لأنه كان المهاجم ، وما كان يتيسر لها الانتفاع بحن السلطان لأن القيصر نيقولا كان قد صرف نفسه عن الأمل في حل المسألة الشرقية على المنهج الذي يريد ، هذا الى أن الروسيا كانت تعلم أن عد على قوة لا يستهان بها ، وأنه يمكنه الوقوف أمام الروسيا اذا اشتبكت بمفردها في حرب ضده ، ولا يبعد أن تنحاز انجلترا وفرنسا حنئذ الى جانبه .

<sup>(</sup>١) حياة بالمرستون : جزء أول من "بالمرستون" الى" بوفيل" ٢٦ يوليه سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>٢) مذكرات جيزر: الجزء الرابع من "سولت" الى " بوركني" ٦ أغسطس سنة ١٨٣٩

والحقيقة أن عد على أخطأ في ارساله الأوامر لابراهيم بالوقوف عقب موقعة و نصيبين " رغبة في ارضاء و المرشال سولت " رئيس حكومة فرنسا ولو أن ابراهيم زحف على القسطنطينية ونزل الأسطول الروسي الى البسفور لماكان هناك شك في النتيجة ، ولكن من حسن حظ أورو ما أنه لم تقع هذه الأزمة وأسرعت الروسيا باعلان رغبتها في عدم تطبيق شروط معاهدة "هنكار سكاسي" وكان من رأى الروسيا حينئذ أنه مادام عد على لم يهدد وجود تركيا بأور با ومادامت المفاوضات بشأن الصلح جارية بين الجانبين يحسن بالدول أن تراقب الحالة من غير تدخل ما لم يرفض عجد على شروط الصلح مع السلطان رفضا نهائيا (۱).

## اقتراح فرنسا :

وكانت فرنسا ترقب من بعد مجرى الحوادث فرأى ووسولت "أن في تصريح الروسيا سببا يتذرع به لعزلتها سياسيا فأرسلت الحكومة الفرنسية البلاغ الآتى للحكومات لتبليغه لتركيا وهو: وو أن الدول توافق تمام الموافقة على أفكار الباب العالى السلمية ولكنها تشدد فى أن لا يتم صلح مع مجد على مالم يوافق عليه الحلفاء الذين بتدخلهم يمكنهم أن يحصلوا للسلطان على شروط مضمونة وأكثر موافقة لمصلحته "(1).

W. T. S. S. S. S.

فقا بلت انجلترا والنمسا هذه الدعوة من فرنسا بالنرحاب و رأت هذه الدول أن الوقت قد حان للشروع في عمل ليس لمنع الروسيا من التدخل بمفردها فحسب بل لايقاف مطامع مجد على الذي كان يستخدم نفوذه في القصر السلطاني لأجل الحصول على شروط حسنة ، فقد اجتمع كبار رؤساء الحكومة وقرر المجلس ارسال مندوب آخر لمحمد على يؤكد له أن مهمة المندوب الأول كانت لاعلان تولية السلطان الجديد فقط وأن الشروط التي قدمها

<sup>(</sup>۱) أو راق براـانية : من ''نسلرود'' في ٣ يونيه سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>٢) أوراق برلمانية : من "الدوق دلماسيا" الى "بوركني" في ٢٦ يوليه سنة ١٨٣٩

لم تكن نهائية ، وكان يظن أن الشروط التي يحملها المندوب الثاني أحسن كثيرا من الشروط الأولى اذ كانت تتضمن زيادة على جعل حكومة مصر وراثية جزءا من الشام ان لم تكن سوريا بأكبلها (١).

# تقديم المذكرة المشتركة:

فلما علم ومترخ بذلك رأى أن التصريح الذى أرسلته الحكومة الفرنسية اذا أعلنته الدول متحدة للباب العالى فان المفاوضات بين السلطان وجد على لابد أن توقف مراعاة لرغبة الدول . وفعلا أسرع فأرسل مذكرة ٢٧ يوليه سنة ١٨٣٩ الشهيرة لسفيره بالقسطنطينية لتسليمها للباب العالى ، وكتب ممثلو الدول الى سفرائهم بالقسطنطينية ليشتركوا مع سفير النمسك في تقديم المذكرة للحكومة العثمانية .

وفى ٢٨ يوليه سنة ١٨٣٩ قبل سفر المندوب العثمانى الى الاسكندرية قدم سفراء الدول "المذكرة المشتركة" وفيهايذكرون الباب العالى بأن الدول الخمس متفقة فيما يختص بالمسألة الشرقية و يطلبون من حكومة السلطان أن لا يبرم أى اتفاق مع مجد على ما لم توافق عليه الدول (٢).

فتقبل الباب العالى هذه المذكرة بالشكر، ولكن يظهر من الخطاب الذى أرسله خسرو الى مجد على أن كبار الدولة كانوا يفضلون تسوية المسألة مباشرة مع مجد على ، وأنهم ينظرون الى تدخل الدول فى مسألة بين السلطان والوالى من غير ارتياح . الا أنه لم يسع الحكومة العثمانية أمام مطلب الدول الا موافقتها .

<sup>(</sup>١) أوراق برلمانية : من ''خسرو'' الى ''عجد على'' يوليه سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>٢) أوراق برلمائية :رسالة عرة ٢٢٦

# أثر تقديم المذكرة:

وأعلن معتمدو الدول المذكرة الى مجد على فى ٦ أغسطس سنة ١٨٣٩ فاشتد غيظه من خسرو وهو المسئول فى نظره عن قبول مثل هذه المذكرة التي سلبت السلطان استقلاله ووضعته تحت حماية الدول فى أور با ، وعلى ذلك أرسل لوكيله بالقسطنطينية أن يستمر فى مفاوضة الباب العالى كأن لم تقدم هذه المذكرة .

الا أن تقديم المذكرة للباب العالى من الدول الخمس لم تكن لتتوقعه فرنسا التي كانت تحسب أن حكومة الروسيا لا يمكن أن تشترك مع باقى الدول فى اتخاذ هذه الخطوة . وكانت نتيجة اشتراك الروسيا احداث تغير عظيم فى مجرى الحوادث السياسية الآتية فقد كتب سفير فرنسا بلندن الى حكومته يقول : وان اتفاق الروسيا الفجائى مع باقى الدول لم يكن منتظرا قط وأن الوقت قد حان لتغيير سياسة الريب والتهديد إزاء الروسيا (۱) ...

<sup>(</sup>١) أوراق برلمانية : من ''بوركني'' الى ''سولت'' ١٨ أغسطس سنة ١٨٣٩

# الفصل الثانى عشر عند مفترق الطرق

### ظهور وتفوق بالمرستون :

بتقديم المذكرة المشتركة انتهى الفصل الأول من المسألة الشرقية ولكن انضمام الروسيا الفجائى الى جانب الدول كان بمثابة ضربة لفرنسا جعلتها تضطرُب وتحار في سياستها ، وأصبح ووبالمرستون بعدها ذا اليد الطولي في ادارة الأمور بمهارة ومقدرة فائقة . تقلد ووبالمرستون وزارة الحارجية الانجليزية في سينة ١٨٣٢ وسار على منهج أستاذه ووكاننج؟ في اتباع خطة هجومية لا يتقيد بتقاليد حزبية أو بمعاهدات ، بلكان رائده في سياسته المصلحة و بعد الصبت . وكان في ذلك الوقت في السابعة والأربعين من عمره نحيفا و جريئًا لا تزعزعه الحوادث ولا يأبه بمن يخالف في رأبه ، وكان مستقلا في ادارة شؤون وزارة الخارجية لا يتدخل في أعماله لا ملك ولا وزارة . وكان ي اذا نوقش في والربكان في خطته السياسية تجنب الموضوع الأساسي للسألة وأفاض في الكلام على نقط الموضوع الفرعيسة وختم الكلام ختاما مقبولا من الجميع . وبالفعل كان ووبالمرستون "ككل سياسي لا يبالي بما يقوله أو بما يسلُّكه من السبل ما دام ذلك كله في سبيل تنفيذ أغراضه ، فلا غرابة اذن أن يصبح فوبالمرستون عطب السياسة الأوربية في زمن كان يعيش فيه ومترنخ " و والوى فيليب " و وفنيقولا ". وقد قر رأى وفرالمرستون في سياسته إزاء مسألة الشرق من أول ما بدأ النزاع بين الباشا والسلطان فقد كتب الى سفيره بباريس وواللورد جرانڤيل" يقول: واله قد استقر رأيه في الموضوع منذ زمن طويل وهو وجوب مساعدة السلطان بكل قوة و إخلاص سواء اشتركت فرنساأو لم تشترك (١).

<sup>(</sup>١) حياة بالمرستون : جزء أول من "والمرستون" الى "جرانفيل" ٥ يونيه سنة ١٨٣٨

ولما نشبت الحرب بين السلطان وعد على صمم ووبالمرستون على شيئين : (الأول) عدم مساعدة عد على بأى حال من الأحوال ، (الثانى) عدم السماح للروسيا بالانفراد فى العمل . ولمباكانت ثقته فى الروسيا والنمسا قليلة وصل أواصر الاتحاد بينه و بين فرنسا خوفا من اتحاد فرنسا مع الروسيا . ولكن زالت مخاوف وبالمرستون منذ أن وقع ووبوتنف سفير الروسيا بالقسطنطينية مذكرة والدول وعد وبالمرستون هذا العمل من قبل الروسيا نزولا عن المركز الاستثنائي التي حصلت عليه بمقتضى معاهدة وهنكار سكلسي . عند ذلك وجه وبالمرستون كل مساعيه ليضعف من النفوذ الفرنسي فى الشرق وذلك بقهر عد على وتحديد مطالبه . حقا أن وبالمرستون قد أرضى عد على لما رفض الدخول فى معاهدة هجومية مع السلطان ، وحين شدد على الباب العالى أن يتجنب محار بة عهد على ولكنه فعل كل هذا رغبة فى خدمة السلطان لا حبا فى عهد على . والآن وقد نشبت الحرب وعرفت نتيجتها وتدخلت الدول وقدمت المذكرة المشتركة عن م و بالمرستون على نتيجتها وتدخلت الدول وقدمت المذكرة المشتركة عن م و بالمرستون على نتيجتها وتدخلت الدول وقدمت المذكرة المشتركة عن م و بالمرستون على نتيجتها وتدخلت الدول وقدمت المذكرة المشتركة عن م و بالمرستون على نتيجتها وتدخلت الدول وقدمت المذكرة المشتركة عن م و بالمرستون على قدم و بالمرستون على قدر و بالمرستون على المنتون و بالمرستون على به بهائية .

### بالمرستون ومجد على :

لم يكن مجد على فى نظر و بالمرستون الا عنصرا ناخرا فى جسم الدولة لابد من بتره حتى تتمكن الدولة من الحياة والوقوف أمام الروسيا، فلم يكن شأنه شأن الدول وخاصة فرنسا التي كانت تعتقد أن و الرجل المريض صائر الى الموت وأنه يحسن بالدول توزيع التركة على وارثيه . بل كان من فكره أن الدول التي عاشت طويلا يكون سقوطها بطيئا وأن الدولة العثمانية على أى حال ستبقى إذا ما قوينا بنيانها بدلا من هدمه (١) .

وعلى ذلك كان ووبالمرستون عتقد أن الواجب يقضى بطرد حكومة عهد على من سوريا ومن مصر إذا أمكن ، وعززكلامه في البرلمان ردا

<sup>(</sup>١) حياة بالمرستون : الجزء الثانى من ( وبالمرستون " الى ( بلور " ٣ ديسمبر سنة ١٨٣٩

على انتقادات المستر وهيوم" نائب وو كلكنى" بقوله: وو إن مركز بجد على بمصر يشبه مركز نائب الملك في إرلندا إذا أراد تكوير حكومة وراثية لأسرته في إرلنده واسكتلنده. ولست أرى كيف أن حسن إدارة الحكومة في مصر يمكن أن يؤثر في مسألة سياسية عظمى تمس مصالح بريطانيا ، وهي مسألة بقاء الدولة العثمانية أو تجزئتها(۱)" ولما طالبه المستر وهيوم" بتعريف وحدة الدولة العثمانية وتفسير احتلال بريطانيا لعدن واغتصاب الروسيا وفرنسا لكثير من أملاكها لم يحر والمرستون" جوابا وغفل عن الرد وعلى ذلك لم يربالمرستون في سنة ، ١٨٤ مبررا لتعضيد حكومة عبد على وهو الذي قال عنه في سنة ، ١٨٤ مبررا لتعضيد حكومة عبد على وهو الذي قال عنه في سنة ، ١٨٣ في رسالة للقنصل: وانه ما رفع اسم عبد على في نظر حكومات أور با إلا جهوده العظيمة التي قام بها في سبيل تأييد السلام في بلاده ومساعيه الناجحة في إقامة دعائم العدل بين رعاباه (۱۲)". وغريب أن تعترف حكومة انجلترا من تلقاء نفسها باستقلال المستعمرات الاسبانية في أمريكا و تؤيد الحركات النيابية في اسبانيا والبرتغال وتسعى جهدها في سبيل استقلال اليونان والبلجيك وتضن مع ذلك على عهد على مجدها في سبيل استقلال اليونان والبلجيك وتضن مع ذلك على عهد على مجدها في سبيل استقلال اليونان والبلجيك وتضن مع ذلك على عهد على مصر بكلمة واحدة في سبيل تأييده .

تع اب

11

آر

أر

وا

ا

و.

71

و.

1

11

### ارتباط فرنسا بمجمد على :

و يظهر أن سبب العداء الذي كان يظهره بالمرستون لمحمد على هو اتحاد مصر الوثيق بفرنسا ونابليون. فقد أصبح عهد على فى نظر الفرنسيين نابليونا آخريبذر بذور المدنية الفرنسية أينما قامت حكومته . زد على ذلك شكر الفرنسيين لمحمد على لاستخدامه كثيرا من أنصار الامبراطورية الفرنسية الأولى فى حكومته . وكان الفرنسيون ينظرون إلى أعمال عهد على بعين الاعجاب والفخر لأنه أنشأ حكومة ودولة أقوى كثيرا من الحكومة التي أقامتها جيوش أور با وعواطف شعو بها على اطلال اليونان القديمة (٣) .

<sup>(</sup>۱) مجموعة هنسارد : ۲۷ مارس سنة . ۱۸۶

<sup>(</sup>٢) أوراق برلمانية : من '' بالمرستون '' الى ''کمبل'' يوليه سنة ١٨٣٨

<sup>(</sup>٣) راجع مذكرات ده السير شارلس مرى " عن د على " .

من أجل ذلك أصبح مجد على محل اعجابهم ووجدت الحكومة الفرنسية فيه حليفا تعتمد عليه فى نشر نفوذها على سواحل البحر الأبيض المتوسط ضد نفوذ انجلترا . وفوق ذلك كانت فرنسا ترى فى تعضيدها لمحمد على تعضيدا وإنهاضا لتركيا نفسها ومع أنه لم يكن من رأيها استقلال مجد على استقلالا تاما عن الترك كانت ترى أن يبقي مجد على وممتلكاته جزءا من نظام الدولة العلية التي ضمنت الدول استقلالها ووحدتها .

### غلطة فرنسا السياسية :

غير أن سياسة فرنسا فى الحقيقة لم تكن بمثل هذه الصراحة فلم تعلن فرنسا آراءها للدول على الرغم من ظهورها دائما بمظهر المعضد لمحمد على وفضات أن تخفى الحقيقة وتظهر للدول أنها كغيرها صديقة للسلطان . وفوق ذلك كانت تعمل دائما سرا وعلانية ضد سياسة الروسيا . وكانت نتيجة هذه الآراء المتضار بة أن ضلت سياسة فرنسا طريق الصواب وأدى ذلك الجوضع المذكرة المشتركة وتقديمها إلى الباب العالى . وهنا غلطة فرنسا الكبرى فانه لم يكن من مصلحتها الاشتراك فى تقديم مثل هذه المذكرة فى حين أنها تعلم أن آراءها فى مستقبل مجد على لم تكن لتوافق عليها باقى الدول .

#### خطة الروسيا:

أما الروسيا نقد وقعت على المذكرة لعلمها بأن اكتساب ثقة الدول وخاصة ثقة انجلترا أنفع لها كثيرا من مركزها الوهمي على البسفور. وأما النمسا فانها رضيت بفكرة اجتماع مؤتمر الدول للبحث في المسألة الشرقية وماذا كان يهم ومتريخ أو ونيقولا من جهة مجد على أو بشأن ما يمنحه السلطان من الأقاليم بجانب الأزمة السياسية بأور با وما يمكن أن تنتجة من المنازعات .

ولما تم تقديم المذكرة المشتركة بدأت فرنسا تصلح خطأها الأول وذلك بايضاح شروط الصلح مع مجد على . وفد أرجأت الحكومتان الانجليزية والفرنسية المناقشة في تحديد الأقاليم التي تمنح لمحمد على لتظهرا بمظهر الاتحاد التام أمام الروسيا في أول الأمر .

## ظهور الخلاف بين انجلترا وفرنسا :

وأول ما بدأ الخلاف كان بشأن الأسطول العثمانى الذى وضع فى أيدى محمد على ، فقد كان من فكر الحكومة الانجليزية إخراج الأسطول بالقوة من المياه المصرية ولكن فرنسا اعترضت على استعال القوة ضد محمد على . وفي المرة الدانية نشأ خلاف بين الحكومتين سبب وجود اللورد وبنسنبي السفير الانجليزى بالقسطنطينية الذى كان يعمل ضد أغراض الحكومة الفرنسية .

أما الخلاف الحقيق بين الحكومتين فانه نشأ بسبب مسألة الأقاليم التي تمنح لمحمد على . فقد كتب و سولت " إلى سفيره بانجلترا في ٢٦ يوليه يقول : و إن مجمد على لا بد أن يشعر بتحسين مركزه عقب انتصاره على السلطان الذي هاجمه من غير حق وله على ذلك أن يطمع في أكثر مما كان يستحقه ، وإذا أغفلنا ذلك نكون قد أنكرنا الحقائق المؤكدة "(١).

ثم استطلع و بالمرستون " أغراض حكومة فرنسا فعلم أنها تريد اعطاء محمد على حتى الوراثة في حكم الولايات التي يحكمها ما عدا و اطنة " و اطنة " و كريد" و و بلاد العرب "(۲) .

غيرأن و المرستون كان يظن أنه إذا بقيت سوريا تحت حكم محمد على فانه لا يمكن أن يتم سلام بينه و بين السلطان ، وفوق ذلك فان استحواذ محمد على على سوريا يجعله سيد الطريقين إلى و الهند طريق و السويس

<sup>(</sup>١) أوراق برلمانية : من ''سولت'' الى ''بوركني'' ٢٦ يوليه سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>۲) مذكرات جيزو: جن رابع ص ٣٤٣

وطريق <sup>و</sup>الفرات"، وسيادة مجمد على تنطوى على امتداد النفوذ الفرنسى في الشرق وهـذا ما كان يريد <sup>وو</sup> بالمرستون" إيقافه، وعلى ذلك أعلن و بالمرستون" الحكومة الفرنسية باعتقاده أن الصحراء يجب أن تفصل بين ممتلكات مجمد على والسلطان وأن الواجب يقضى بأن ينكمش مجمد على مهده الأول <sup>وو</sup> مصر<sup>11</sup> .

فلما عارضت حكومة فرنسا زاد ارتياب "وبالمرستون" في نية الحكومة الفرنسية واستبعد اتفاقها معه في سياسته فتحول إلى نقطة أخرى يختبرمنها حقيقة شعور الحكومة الفرنسية نحو مجمد على فطلب منها إبداء رأيها بشأن الوسائل القهرية التي ترى أنه يجب أن تستخدم ضد بحمد على في حالة مراره على مواصلة الحرب ضد السلطان أو في حالة رفضه للشروط التي ستقدم اليه وامتناعه عن تسليم الأسطول العثماني ، وكانت هذه المسألة من أدق النقط في نظر الحكومة الفرنسية ولا تستطيع أن توضح رأيها فيها فلم ير "وسولت" مندوحة عن أن يقول انه يجب الاتفاق على الشروط قبل كل شيء . غير أن "وبالمرستون" علم الحقيقة من سفيره "ابلور" وهي أن فرنسا لا يمكنها أن توافق أبدا على استخذام وسائل قهرية ضد مجمد على (٢) فزالت ثقة "وبالمرستون" بفرنسا وأخذ يتهمها بأغراض ومطامع شخصية تعمل لها وتخشى التصريح بها وأنها لا تعير مصالح السلطان جانبا من الاهتمام هذا إلى عدم احترام عهودها وتصريحاتها (٣).

\*\* ↓\*

## الروسيا تنتهز فرصة الخلاف :

أسرع سفير الروسيا بباريس وأخبر حكومته برفض فرنسا استخدام الوسائل القهرية ضد مجد على وأشار الى الخلاف الواقع بين فرنسا وانجلترا

<sup>(</sup>١) تاریخ حیاة بالمرستون : من ''بالمرستون'' الی ''بلور'' أول سبتمبر سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>٢) من '' بلور'' الى '' بالمرستوں'' ٢٦ أغسطس سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>٣) من ''بالمرستون'' الى ''بلور'' ٢٤ سبتمبرسنة ١٨٣٩

في هذه المسألة . وكانت خطة الروسيا في ذلك الوقت تدعو الى الاعجاب فقد كتب و زير الروسيا الكونت وانسلرود الى الدول ليوجهوا مساعيهم نحو الاسكندرية بدل توجيهها الى القسطنطينية حيث لايتوقع فيها خطر مطلقا ، وأن الروسيا وإن أظهرت في هذه المذكرة غيرتها على القسطنطينية فقد كانت تحبذ مع هذا فكرة المفاوضة مباشرة مع مجد على . غير أن متريخ و الملرستون الم يرغبا في الاعتراف بمركز مجد على المستقل فيفاوضاه مع أن الدول كانت على علم باتفاق مجد على مع السلطان عند و كو تاهية وأن السلطان قد أرسل مندوبين من قبله المفاوضة مع مجد على ، وعلى ذلك تغافلت الدول عن حقيقة الأحوال و ولت وجهها نحو فرنسا تستفسر عن رغبات مجد على .

ولما وصلت رسالة السفير الى روسيا تنبه القيصر وأراد أن ينتهز فرصة الخلاف بين انجلترا وفرنسا فيصلح علاقات الروسيا بانجلترا ، وكان كره القيصر لاتحاد حكومتي الغرب النيابيتين كرها لا يفوقه الا كرهه الشخصي ولا للوي فيليب " ملك فرنسا ، ففطن و نسلر ود " لرغائب و بالمرستون " وبادر بارسال مندوب خاص الى حكومة انجلترا خوفامن أن تتحسن العلاقات ثانيا بين انجلترا وفرنسا وكتب سفير انجلترا في بطرسبو رج الى بالمرستون يقول : و إنه مادعا القيصر لارسال المندوب الخاص الا علمه بأن حكومة انجلترا قد حسنت ظنها بروسيا وأخذت تنظر الى سياسة القيصر و رغائبه بعين العدل والموافقة " (١) .

### رسالة برنوف الى انجلترا:

وفى ١ سبتميرسنة ١٨٣٩ وصل البارون و برنوف ١٦٣٣ الى لندره وكان سياسيا قادرا وملما بسياسة الروسيا الخارجية و بآراء القيصر فف تح الحكومة الانجليزية في مهمته وأخبر بالمرستون أن الروسيا ترى أن يمنح مجد على حكومة مصر فقط و راثيـة في أسرته وأن تخلى الأقاليم الأخرى ،

<sup>(</sup>١) سجلات وزارة الخارجية: من " دوسيا" الى " بالمرستون " في ٢٧ أعسطس سنة ١٨٣٩

وأن الروسيا مستعدة للاتفاق مع باقى الدول فى استخدام أى وسائل قهرية تراها الدول . وعلى الروسيا أن تحمى القسطنطينية وأسيا الصخرى بصفة كونها منتدبة عن الدول لا بحق معاهدة وهمنكار سكلسى " وقد أدهش البارون و برنوف" بالمرستون باعلانه استعداد حكومة الروسيا للنزول نهائيا عن هذه المعاهدة وأن يحل محلها معاهدة دولية أخرى تحتم احترام المبدأ القاضى باغلاق البسفور والدردنيل أمام جميع السفن الحربية وزادو برنوف" على ذلك أن أسر القول لبالمرستون بأن رفض فرنسا الدخول فى المعاهدة ما يزيد القيصر سرورا (١) بعد ذلك أعلم بالمرستون فرنسا و باقى زملائه فحوى ما يزيد القيصر سرورا (١) بعد ذلك أعلم بالمرستون فرنسا و باقى زملائه فوى أن أن أسر وجاء الرد من سولت ينحى على بالمرستون باللائمة و يقول أن غرض الروسيا ظاهر وهو فصل فرنسا من انجاترا و تدخلها فى القسطنطينية أن غرض الروسيا ظاهر وهو فصل فرنسا لا يمكن أن تسمح أبدا بدخول أسطول أجنبي أمام القسطنطينية ما لم يظهر أسطول فرنسا أيضا (٢).

فاعتمدت الوزارة الانجليزية على اعتراض حكومة فرنسا واعتذرت عن قبول مقترحات و برنوف "ولكن على الرغم من عدم موافقة الوزارة أبدى بالمرستون ارتياحه الحاص لآراء روسيا ورحب بمقترحات برنوف وأفهمه أنه يريد العمل مع الروسيا وترك فرنسا اذا رفضت الاشتراك في المشروع المعروض.

### السعى في كسب فرنسا ورفض تيير للشروط المقدمة :

ولكن انفصال فرنسا عن انجلترا كان عملا لا ترضاه الوزارة الانجليزية ولا الملك ولم يكن بالمرستون نفسه يريد الانفصال نهائيا لعلمه بأن فرنسا وحدها هي التي يمكنها التأثير في محمد على ، وعلى ذلك اضطر الى ارضاء الوزارة فعدل شروطه الأولى و رضى أن يحيد عن مبدئه تفاديا من

<sup>(</sup>۱) سجلات وزارة الخارجية : من "المرستول" الى "سفير الروسيا" ٢٥ أكتو بر سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>٢) من وو سولت " الى و بوركنى " في ٢٨ سيتمبرسنة ١٨٣٩ . . .

فرنسا أهم حجة تدافع بها عن خطتها أمام ووبالمرستون". ومع ذلك أبدى المسارشال ووسولت" ارتياحه العظيم من موافقة الروسيا غير المنتظرة ولكنه في الوقت نفسه أبدى ارتيابه بشأن الأسباب التي دعت الحكومة الروسية الى تغيير أو تخطئة سياستها القديمة (١) فستم بالمرستون من هذه الحطة التي اتبعتها فرنسا وصمم على العمل سواء انضمت فرنسا أو لم تنضم .

### خطة المسيو تبير:

أما في فرنســا فثار الرأى العام ضد تحالف الروسيا وانجلترا وقام <sup>وو</sup>تبير Thiers من مجلس النواب ينادى بأن واجب فرنسا يقضى عليها بمساعدة مصر بكل جهدها صونا لمصالحها ولشرفها (٢) وكانت نتيجة هـذه الحركة أن انقلبت الحكومة وأصبح <sup>وو</sup> تبير " رئيسا لهــا وعين <sup>وو</sup> جيزو Guizot " سفيرا لفرنسا أمام قصر ووسنت جيمس" وكان ووتيير" من أشد أنصار محمد على وما كان ينتظر منه أن يوافق على اجتماع مؤتمر دولى يقضي على صاحبه . أما خطته السياسية فهي التمسك طبعاً بمبدأ مذكرة ٢٧ يوليه ولكن كان من رأيه انه اذا اتفق السلطان ومحمد على مباشرة فلا ينبغي أن لتدخل الدول وتلغي هذا الاتفاق ، ومع أن هذا كان مخالفا للذكرة كانت هذه الظريقة في نظره هي التي بها يتمكن الباشا من كسب شروط في مصلحته من غير اشتباك مع الدول . ولأجل أن يساعد في إتمام هذا الحل أرسل ووتيري السكندرية للسهيل سبيل الاتفاق بين الطرفين وكتب إلى سفيره في لندره يحذره من الاشتراك في مؤتمرات أو في جلسات قد تعقد في لندره حتى يتسنى لفرنسا الاحتجاج على ما يقرار ولا يكون انفصال فرنسا ظاهراً. وأكد عليه أن يماطل قليلا و يكسب الوقات<sup>(٣)</sup>.

<sup>(</sup>١) أوراق برلمانية : من "سولت" الى "فسبستيارنى" في ٩ ديسمبر سنة ١٨٣٩

<sup>(</sup>٢) تاریخ أور با السیاسی ''دبیدور'' : جزء أول ص ۲۷٤

<sup>(</sup>٣) مذكرات جيزو : چزه خامس ص ٢٧ ﴿

. وصول مندوبي الدول :

و بعد ذلك سارت المسألة ببطء اذ طلب الحلفاء مندو با عن تركيا الشترك في المؤتمر وكان قد حضر الى لندره أثناء ذلك وفر نيومن عرب المحملة ووبيلوف عن بروسيا ووصلتهما الأوامر من حكومتيهما أن يبذلا جهدهما في تفهيم جيزو ضرورة الاتفاق وتحذيره من نتائج الانفصال واستعملت النمسا نفوذها لدى وبالمرستون ورغبت اليه أن يتساهل مع فرنسا مرة أخرى وكان من رأى مترنح ألا يتم عمل من غير اشتراك فرنسا لأن أسطول انجلترا وحذه لا يمكنه مساعدة الأتراك على طرد مجد على من الشام ولا بد من استعال الجيوش البرية ، ولم تكن النمسا مستعدة لارسال جنودها الى الشام الأن الروسيا وانجلترا كانتا مشتغلتين بحروبهما ، الأولى في القوقاز والأجرى الروسيا وانجلترا كانتا مشتغلتين بحروبهما ، الأولى في القوقاز والأجرى المخنوبي من بلاد الشام زيادة على مصر وولكن اذا رفض الباشا هذه الشروط فان النمسا لا تتردد في اتخاذ الوسائل القهرية ضد مجد على ووضع السطوطا تحت تصرف بريطانيا والروسيا "(۱)"

فلم يمانع ووبالمرستون" وأبلغ الحبر الى ووجيزو" وهذا أبلغه الى حكومته في ٧ مايو سنة ١٨٤٠ ولكن جواب ووتيير" لم يكن أسعد حظا من جوابه السابق . قال تيير: وو إنه متأكد أن عهد على سيرفض الشروط ولا يقبل أبدا تقسيم سوريا ، وماذا تكون النتيجة لو طلب عهد على وواطنة " وهدد الدول بعبوره جبال طوروس وشبت نار الحرب ؟ "٢).

فضاعت بذلك فرصة ثانية لحل المشكل بطريق السلم. ولو كانت هذه الشروط عرضت على عهد على نفسه مباشرة ومن غير تأثير فرنسا لقبلها حتما. وقد نشأ عن هذا الرفض حدوث أزمة سياسية شديدة بين الدول ، وما سبب ذلك إلا الفكرة المعكوسة التي كانت تشغل أفكار الفرنسيين من

<sup>(</sup>۱) مذكرات جيزو: جن خامس ص ۸۰ – ۱۱۱ د ۱۱۱ د ۱۱۱ (۱)

<sup>(</sup>٢) أوراق برلمانية : من "قبير" الى "فجيزو" في ١١ مايو سنة ١١٠٠٠٠ .

كبيرهم الى صغيرهم من جهة قوة مقاومة مهد على فى بلاد الشام ، وكان التير" يعتقد تماما أن غالبية الوزارة الانجليزية لاتوافق على مشروع بالمرستون، كذلك كان من فكره أن النمسا و بروسيا ستضطران الى التقهقر عاجلا أو آجلا . وعلى العموم كان و تبير " يعتقد أن الدول تتكلم ولا يمكنها أن تتفق على العمل سريعا ، وفى أثناء ذلك التردد يكون عد على قد سوى شروط الصلح بينه و بين السلطان .

وفى غضون ذلك كانت الأحوال تجرى فى الشرق وفق رغبة والتير فقد سقطت حكومة خسر و باشا فى القسطنطينية ، وأصبح الصلح بين ألجانبين قاب قوسين اذ أرسل مجد على فى ٢١ يونيه سامى بك مندو با خاصا لتهنئة السلطان وسعه هدية قدرها ٢٠٠٠ كيس ورسالة الى السلطان يريد بها الاتفاق نهائيا اذ أن العقبة فى سبيل الاتفاق قد زالت بسقوط خسر و باشا . وقد ذكر سامى بك أن مجد على مستعد لتقديم الأسطول العثمانى ولاخلاء بلاد العرب وكريد اذا رغب السلطان وفى مقابل فلك يلتمس مجد على منحه حكومتى سوريا ومصر ، وجعلهما وراثيتين فى نسله (١) .

وكان و تيير "قد أرسل رسلا من قبله لتسهيل طريق الاتفاق بين الطرفين فعلم و بالمرستون بمساعى و تيير وخشى أنه اذا لم يقم بعمل حاسم فإن المسألة تفلت من يده وتدخل في حيز العمل الواقع .

# الفصل الثالث عشر الأزمة السياسية ومعاهدة لندره سنة ١٨٤٠

كانت نتيجة موقف الجمود الذي وقفه ووتير" أمام الدول أن دخلت المسألة المصرية في دورها المملوء بالحوادث العنيفة . ففي هذا الدور وصلت الدول ، بعد بحث وتبادل آراء دام سنة ، الى أنه لأجل استباب السلم في أنحاء الدولة العلية يجب الاستعداد لخوض غمار الحرب . وفي هذا الدور انفرط عقد الحلفاء وتهدم ما أبدته الدول مرارا من اتفاقها ، وفيه أيضا ظهرت قوة عجد على بمظهر لايتفق مع ماعرف عنه في أور با . وقد امتلا هدا الدور بالمتناقضات الغريبة من تقرير وتغيير وعزل و إعادة مما زاد في خبال الدول .

# اسراع بالمرستون في عقد المعاهدة :

تراكمت الحوادث التي اضطرت ووبالمرستون الى العمل فقد جاء نورى بك مندوب تركيا وقدم للحلفاء مذكرة فى ١٨ ما يويشكو المحن التي حلت بتركيا من جراء تأخير الصلح فى الشرق ، ثم جاء شكيب المفوض العثمانى أمام مؤتمر الدول وقدم مذكرة للسفراء بلهجة شديدة قال فيها : وو إنه مهما بلغ الايلام من جراء الاتفاق مع عهد على مباشرة فان إيلام تركيا من جراء عدم تنفيذ الأمانى الحسنة المدونة فى المذكرة المشتركة أكثر وأشد (١١) .

كذلك تذمرت حكومة روسيا مر تأخير وتردد و بالمرستون توريد و المرستون وارسل سفير سنت بطرسبورغ يذكر بالمرستون بأن روسيا تنتظر بنافذ

<sup>(</sup>١) أوراق برلمانية : من "شكيب" الى " بالمرسنون" في ٣١ ما يوسنة ١٨٤٠

الصبر عزم حكومة جلالة الملك بشأن الخطة التي ستتبعها من غير اشتراك فرنسا (١) .

على أن و المرستون " لم يكن فى حاجة لمثل هذا التذكير فانه لم يتأخر عن العمل الا مراعاة لرأى الوزارة الانجليزية ولخاطر النمسا و بروسيا اللتين لم تريدا السير بدون فرنسا ، ولقد اجتهد مندو باهما فى اشتراك فرنسا فى الساعة الأخيرة فقدما مشروعا يعطى به مجد على مصر وراثية والشام طول حياته ، ولكن و تيري وفض مرة أخرى وأصر على الوقوف منفردا (٢).

عند ذلك لم يبق أمام وم بالمرستون الاطريقان: إما أن ترجع الدول عن وعدها الأول لتركيا وتترك المسألة تحل نفسها بنفسها وحينئذ تكون الدول قد أضرت بمصالحها ولم تبر بوعدها . وإما أن تتقدم الدول لمساعدة السلطان من غير اشتراك فرنسا مؤقتا . واختار بالمرستون ومندو بو الدول الطريقة الأخيرة . ذلك لأن الظروف جاءت وفق أغراضهم فقد أخفق سامى بك مندوب عبد على في مهمته وأصبح رشيد باشا وزيرا . وكان هذا الوزير تركيا صميا تربي تربية غربية صحيحة فكان يعتقد أن الدولة يجب أن أن تبق واحدة لا تتجزأ ولا ينبغي أن ينشئ عبد على أسرة مالكة في قلب الدولة ، وأخذ بنسنبي يعضده و يرشده الى السياسة اللازمة فكتب يطلب من الدول تنفيذ مذكرة يوليه سنة ١٨٣٩ ولما مال السلطان الى الاتفاق مع عبد على بمساعى سامى بك هدد رشيد بالاستقالة .

# إنتهاز فرصة الثورة في الشام:

ولكن أهم من هذاكله أنه حدثت حوادث لم تشجع على قطع تيار المفاوضة مع مجد على فحسب بل شجعت الجميع على ضرب مجد على ضربة مؤلمة , ذلك هو قيام ثورة فى سوريا ضد الحكومة المصرية التي كانت

<sup>(</sup>١) سجلات وزارة الخارجية : من ° روسيا'' الى ° بالمرستون'' ١٤ فبراير سنة ١٨٤٠

<sup>(</sup>٢) مذكرات جيزو: الجزء الخاس ص ٢٠١

تريد أن تنهض بالبلاد حربيا وزراعيا وتجاريا فأدخلت نظام الجندية والاحتكار، وأدخلت نظام المحاكم الحديثة التي يتساوى أمامها الجميع مهما اختلفت نحلهم، كل هذا نظر اليه سكان الجبل نظر المستريب. غير أن الاورة لم تقم فعلا إلا بعاملين: (الأول) التشجيع من قبل حكومة تركيا والسفارة الانجليزية بالقسطنطينية، (الثانى) قيام ابراهيم باشا بنزع السلاح من سكان لبنان، واستفحل أمر الثورة فشغل ابراهيم باشا بقمعها واهتم عد على فأرسل لابنه نجدة قوية على رأسها حفيده عباس باشا فلم يمض إلا قليل حتى أخلدت البلاد الى السكون وكتب المعتمد الانجليزى في دمشق الى حكومته يقول إن الثورة قد انتهت (۱).

### المعارضون لبالمرستون :

ولكن قبل وصول الخبر الى أور باكان والملرستون "قد استخدم حادث الثورة في إقناع زملائه في الوزارة بضرورة العمل ضد عد على وكانت الآراء في الوزارة الانجليزية منقسمة انقساما بينا ، فكان رئيس الوزارة اللورد المورن Melbourne يخشى حدوث أزمة وزارية تنتهى باستقالة الوزارة أو باستقالة بعض أعضائها فكان يعمل على التوفيق بين أعضاء الوزارة ، وكان والملرستون مصرا على اتخاذ الحطوة النهائية وهي عقد المعاهدة من غير اشتراك فرنسا ، غير أرز الشعور العام في قصر المملكة و بين الأحرار المتطرفين كان لا يميل إلى التدخل ضد عد على خوفا من انفصال فرنسا عن انجلسترا . ولا يزال للآن عدد من الرسائل المقدمة لأعضاء البرلمان بطلب العطف على قضية مصر وعدم إهمال مصالحها وتضحية الأنظمة الراقية التي أدخلها عد على فيها إرضاء لسياسة المحافظة على كيان الدولة (٢) وقد ظهر في البرلمان نفسه عدد من الأعضاء يدافعون عن قضية بهد على .

<sup>(</sup>١) أوراق برلمانية : من " هدجس" الى " إالمرستون " ١٦ يوليه سنة ١٨٤٩

<sup>(</sup>۲) رسالتا °° توماس واجهورن" سنة ۱۸۳۷ و ۱۸۳۸

### تهديد بالمرستون الوزارة بالاستقالة :

ولما رأى بالمرستون أن حزب المعارضين له قد قوى هدد الوزارة بالاستقالة إذا لم يعقد الاتفاق ، فقال فى جوابه لرئيس الوزارة : " أرانى إذاء الاختلاف فى الرأى بينى و بين أعضاء الوزارة بشأن موضوع المسألة الشرقية الهام مضطرا لترك منصبى تحت تصرف رئيس الوزارة ، وأن رأيى فى هذا الموضوع رأى صريح لا يقبل التحويل وهو أننا اذا تقهقرنا وأجمنا عن عقد الاتفاق مع الروسيا والنمسا و بروسيا لأن فرنسا لا تريد الاشتراك معنا فاننا نضع حكومتنا فى مركز مهين غير لائق وتصبح انجلترا كأنها آلة تحركها فرنسا . أما من جهتى فانى ما اقتنعت بشيء فى حياتى اقتناعى بصحة رأيى هذا ، وأنى إذا كنت غير محق فى هذه المسألة فانى لا أرى لرأى قيمة فى أية مسألة أخرى (١) .

# ثورة الأفكار في فرنسا:

فكانت النتيجة أن خشيت الوزارة السقوط واضطرت الى موافقة و بالمرستون "، فلم يبق أمامه الا إقناع النمسا و بروسيا بعدم انتظار فرنسا و بالمرستون "، فلم يبق أمامه الا إقناع النمسا و بروسيا بعدم انتظار فرنسا من الشورة فلم يجد صعوبة ما في التأثير فيهما لماكان جاريا في فرنسا من الشورة في الأفكار والمظاهرات والمقالات الجماسية وذكرى الحروب والانتصارات النابليونية وذلك بسبب انتظار رفات نابليون من جزيرة و سانت هيلانة " وعلى ذلك تم عقد الاتفاق في ١٥ يوليه سنة ١٨٤، وفي يوم ١٧ يوليه طلب وجيزو" الى وزارة الخارجية وهناك قرأ له و بالمرستون مذكرة تني طلب و عيرو "الى وزارة الخارجية وهناك قرأ له و بالمرستون " مذكرة تني المنابلة و المنابلة و

<sup>(</sup>١) تاريخ حياة بالمرستون: الجزء الثانى من "وبالمرستون" الى"(بلور" يوليه سنة ١٨٤٠

بعقد اتفاق بين الدول الأربع من جهة وتركيامن جهة أخرى لتهدئة الحالة في الشرق . وأبدى ووبالمرستون" أسفه لانفصال الدول المؤقت عن فرنسا ورجا أن لا يدوم الانفصال طو يلاوأن تستعمل فرنسا نفوذها في الاسكندرية لدى الباشا لقبول الاتفاق(١١) ، أما جيزو فأنصت طول الوقت ولم ينبس ببنت شفة ثم غادر مقر الوزارة و بلنج الحبر الى حكومته .

#### عقد معاهدة لندره يوليه سنة ١٨٤٠:

تعهدت الدول بمقتضى الاتفاق بمساعدة السلطان على مجد على حكومة عد على ، و بينوا فى لائحة خاصة أن يعرض السلطان على مجد على حكومة مصر وراثية وولاية عكا طول حياته ، وأن يكون لمصر حق الاستقلال الداخلى بقيود متينة تربطها بالدولة مثل دفع الجزية وعدم تمثيل مصر فى الخارج وتحديد الجيش والأسطول وسلطة منح ألقاب الشرف وضرب النقود الخ ، وأن يمنح مجد على فضلا عن مصر ولاية عكا مدة حياته فاذا لم يقبل هذه الشروط فى عشرة أيام تنقص من حقوقه حكومة عكا ، فاذا تأخر عشرة أيام أخرى ولم يقبل فللسلطان الحق فى اتخاذ أى طريق تشير به عليه مصالحه الخاصة ونصائح حلفائه ، وفى وثيقة ثالثة وافقت الدول على أن الحالة فى سوريا والحالة السياسية الحطرة فى أور با تحتم عليها الاسراع فى اتخاذ الوسائل الفعلية بلا تأخير ولا انتظار موافقة الحكومات على المعاهدة .

<sup>(</sup>۱) مذكرة بالمرستون : في ۱۷ يوليه سنة ۱۸٤٠

#### وهاك نص المعاهدة :

### معاهدة لوندره (١٥ يوليه سنة ١٨٤٠)

لما طلب صاحب العظمة السلطان من أصحاب الجلالة ملكة بريطانيا العظمى وامراطور النمسا وملك بروسيا وقيصر الروسيا تقديم المساعدة له فى المحنة التى وقع فيها على أثر سلؤك يجد على العدائى نحوه ، تلك المحنة التى عرضت سلامة الدولة العثمانية وعرش الخلافة للخطروأى أصحاب الجلالة مراعاة للود الدى يربط بينهم وبين السلطان ورعبته فى السلم وفي صيانة الدولة واتباعا لنص المذكرة المشتركة التى قدمت للباب العالمى فى ٢٧ يوليه سنة ٣٩ م ١٨ ومنعا لاهراق الدماء التي تسيل فى سوريا بين موطفى الباشا ورعية السلطان .

اتفق أصحاب الجلالة وعظمة السلطان على عقد المعاهدة الآتية :

ا — أن تعمل الدول المتعقة بالنضامن على إرعام مجد على على قبول الشروط التي اتعق عليها .

اذا رفض مجد على قبول الشروط التي سيعرضها عليه السلطان فعلى الدول بالاتفاق مع السلطان أن تأخذ التداير العمالة لتنفيذ شروط الاتفاق بواسطة قطع طريق الاتصال بين مصر وسوريا ومنع ارسال الأدوات والمؤن الحربية من البلدين ، وتنفيذا لذلك تصدر ملكلة بريطانيا وامبراطور النمسا الأوامر اللازمة لأساطيلهما بالبحر الأبيض المتوسط بمساعدة رعايا السلطان الذين يظهرون ولا مهم وطاعتهم .

٣ — اذا حاول عهد على بعد اصراره على رفض الشروط المقدمة ارسال قواته البرية أو البحرية بحو القسطنطينية تعمل بناء على طلب السلطان كل ما يصون البوعازات والاستانة وتعود القوات التي تستخدم لهذا الفرض الى بلادها عند ما يأمر السلطان .

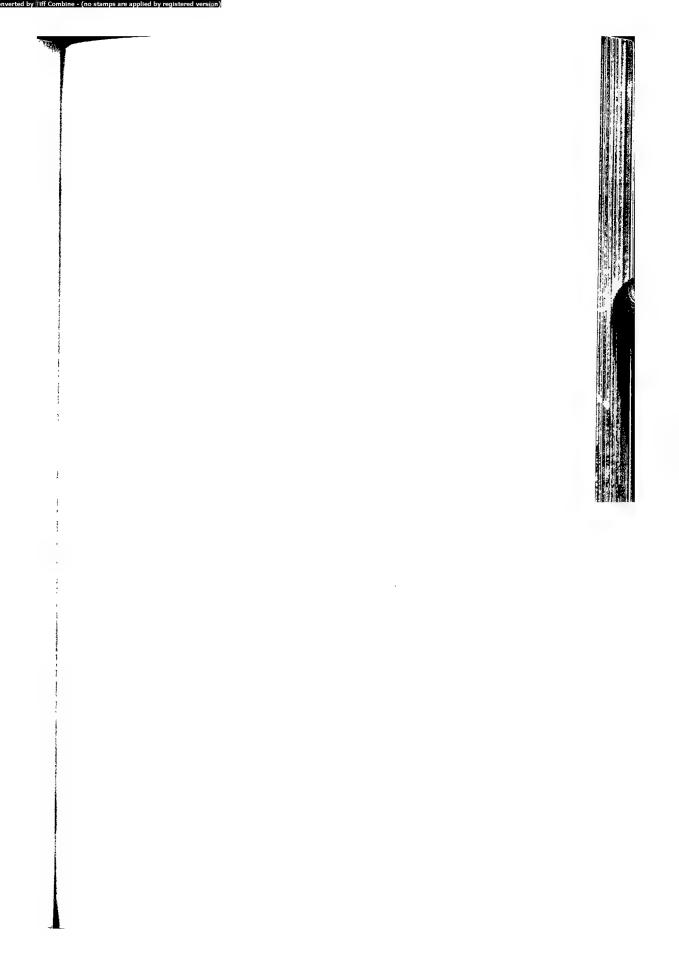
خ. يجب أن لا تعتبر هذه المساعدة المذكورة فى المادة السابقة بمثابة خرق للقاعدة القديمة القائلة باغلاق البوغازات أمام جميع السفن الحربية الخاصة بأية دولة وتصرخ الدول والسلطان باحترام القاعدة القديمة ما

بالمرستون نيومان بولوف برنوف شكيب

overted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لوی فلیب ملك فرنسا سنة ۱۸۳۰ — ۱۸۶۸



# قانون خاص ملحق بمعاهدة لندره ( ١٥ مايو سنة ١٨١٥ )

يعلن عظمة السلطان عزمه على منح مجد على الشروط الآتية :

١ ـــ يعد السلطان بمنح مجد على وذريته من أولاده من بعده حكومة مصر ٠

وزيادة على ذلك يعد السلطان بمنح محمد على مدة حياته حكومة جنوب الشام حسب الحدود المبية بعد مع اعطائه لقب والى عكا وحكومة الحصن . ويشترط السلطان لهذه المنح قبول مجبر على لها فى مدى عشرة أيام بعد اعلانها اليه بواسطة مندوب عثمانى يرسله السلطان الى الاسكندرية وبشرط اصدار التعليات اللازمة باخلاء شبه جزيرة العرب وجزيرة كريد واقليم اطه .

اذا رفض مجد على الشروط المقدمة بعد عشرة أيام فيسحب السلطان منحه حكومة
 عكا لمدة حياته و يوافق على منحه الحق الوراثى فى حكومة مصر بشرط قبولها فى مدة عشرة أيام
 أخربالشروط المذكورة فى المادة السابقة •

م 🗕 تعيين الجزية حسب الشروط التي سينتهي مجد على بقبولها .

٤ -- وعلى كل حال يجب أن يرد مجد على الأسطول العثانى بكل أدواته ويسلم للندوب العثانى الذى سيعرض عليه الشروط دون أن يكون لمحمد على حق فى أى طلب من الباب العالى بخصوص تكاليف الأسطول مدة وجوده بمصر .

م حجيع القوانين والمعاهدات النافذة في الدولة تطبق على مصروعكا كمغيرها من أجزاء الدولة .

٣ 🗀 القوات البرية والبحرية التي تكون لباشا مصروعكا تعتبرجزه من قوات الدولة .

٧ ـــ يعتبر هذا القانون كأنه متم للما هدة وداخل فيها حرفا بحرف مه

بالمرستون نيومان بولوف برنوف شكيب

### قرار خاص تابع للعاهدة

انجازا للهمــة التى أخذ مندو بو الدول على عاتقهــم القيام بها ونظرا لبعــد المسافات التى تفصل العواصم عن بعضها وما يتطلبه ذلك من مرور الوقت الطويل قبل المصادقة النائية على الاتفاق يرى المندو بون ضرورة النمجيل بالموافقة نظرا للحالة الواقعة في سوريا وخدمة للانسانية ومراعاة للائرة الواقعة في السياسة الأوربية .

ويرون أيضا ضرورة تنفيذ المادة الثانية من المعاهدة دون انتظار للصادقة النهائية فيقدم الباب العالى نص الشروط لمحمد على من غير تأخير ويشترك قناصل الدول في مصر مع مندوب السلطان في عرص الشروط واستخدام كل نفوذهم في حض عجد على على قبول الشروط وسترسل التعلمات للا ساطيل الواقفة في البحر الأبيص للاتصال مع القناصل ما

بالمرستون ليومان بولوف برنوف شكيب

#### نقد المعاهدة:

ويرى الباحث فى شروط المعاهدة غمطا ظاهرا لحقوق محمد على وهو المنتصر فى ميدان الحرب الواقفة جنوده فى جميع البقاع التى يطلب بقاءها فى يده ، وهو وحده الذى كان يمكنه لو شاء إثارة حرب أوربية عامة بأن يأمر جنوده بالزحف على القسطنطينية ، على أن المعاهدة لم تكن مبنية على قاعدة منطقية إذ لابد أن يكون محمد على أحد رجلين ، إما رجلا يستحق شيئا أو لا يستحق ، فاذا كانت الحالة الأولى فلائى سبب عزلت فرنسا ووضعت شروط صبيانية لا يمكن أن ترغم محمد على أو تؤثر فى رجل مثله وسواء أعطى محمد على مصر وحدها أو هى والشام فإن العبث بكيان الدولة حاصل على كل حال ، وإذا كان محمد على لا يستحق شيئا فلم لم تشهر عليه الدول الحرب صراحة وتطرد جيوشه من الشام ومصر أيضا ؟

#### موقف فرنسا إزاء المعاهدة :

لذلك لم يكن للاتفاق أثر حاسم إلا سوء العلاقات بين انجلترا وفرنسا التي أصبحت منذ اعلان شروط الاتفاق من ملكها وولوى فيليب ووزرائها التي أصغر رجل في حالة هياج شديد ضد اجماع الدول على فرنسا التي ثار ثائرها من أجل تألب دول أور با عليها كما فعلت في سنة ١٨١٥ واتفاقها على عزلها خارج هيئة الدول والاتفاق على حل مسألة حيوية أو أوربية من غير استطلاع رأى فرنسا بل وعلى غير رغبتها ، وقد عد الفرنسيون اتفاق ١٨١٥ يوليه سنة ١٨٤٠ إهانة لحقت الشرف الفرنسي وضربة قاضية لا بد من الانتقام بسببها ، فقام وولوى فيليب "وهدد الدول بأنه سيتولى رياسة الشعب الثائرو يطلق وفول" الثورة من عقاله بعد أن عمل على كبح جماحه عشر سنوات (١) وكتب صديق الى و جيزو " يصف له الحالة في فرنسا فقال : وو إن الشعور الحربي بالغ أشده وكل يريد الحرب ، حتى الرءوس المعتدلة قد سرى فيها التيار وأصبحت تتوق المحرب وما من نائب كامته الا وصرح بضرورة اظهار قوة فرنسا " (٢).

#### بين تيير وجيزو:

أما وتربير" فنزل عليه الخبر كالصاعقة لأنه لم تصله من وفيزو"معلومات محدودة عن توقع عقد الاتفاق ، وكل الذي وصله عبارة عن الخلاف بين أعضاء الوزارة واحتمال استقالة والملرستون" الذلك اتهم جيزو بقلة النشاط وقصر النظر ، ولكن الحقيقة هي أن جيزو قام بالواجب ولم يقصر في شيء فكتب الى رئيسه في ١١ يوليه يقول : وفي إن وبالمرستون" قد أوضح للوزراء فكتب الى رئيسه في ١١ يوليه يقول : وفي إن وفيا المرستون" قد أوضح للوزراء واحرار و بين خطة العمل لعقد اتفاق مع الدول الأربع (٣).

<sup>(</sup>۱) تاریخ أور با السیاسی لدیبدور: جو، أول ص ۳۸۱

<sup>(</sup>٢) مذكرات جيزو: الجره الخامس ص ٢٥٠

<sup>(</sup>٣) مذكرات جيزو: الجزء الخامس ص٢١٣ و ٢٥٠

أما الخلاف بين أعضاء الوزارة فقد صدق فيه حدس جيزو وانفردلورد وهولند ولورد وو كلارندون " وهما عضوان من الوزارة وقدما اعتراضا للملكة ونصه : وو تنصح الوزارة لجلالتك بالدخول فى اتف ق الغرض منه اخراج مجمد على من سوريا ، ويرى اللورد هولند واللورد كلارندون أن مثل هذا التدخل ليس من حسن السياسة ولا هو ضرورى لصيانة شرف تاج لحلالتك ولا مفيد لمصالح رعايا جلالتك "(۱).

فاذا كان قد قصر و جيزو " في انذار حكومته باحتمال ابرام الاتفاق فانما السبب في ذلك يرجع الى حذر بالمرستون وكتمانه كل شيء حتى يتم الاتفاق ولا يخشى من اذاعة الخبر ، فالغلطة نهائيا هي غلطة تيير وغلطة فرنسا التي رفضت مرارا كل المفاوضات التي عرضت على أعضاء الحكومة ولم يفكروا يوما فيما عسى أن يكون مركز فرنسا لو اتفقت الدول ضدها ، لذلك لما فوجئت الحكومة الفرنسية بالاتفاق خفي عليهم طريق العسمل وتخبطوا في سياستهم وخاصة أن فرنسا كانت مضطرة الى التمسك بمسذكرة ١٨٣٩ في سياستهم وخاصة أن فرنسا كانت مضطرة الى التمسك بمسذكرة ومساعدته التي وقعت عليها ، فما كان يمكنها الوقوف في جانب مجمد على ومساعدته ضد الدول ، إذ لا بد أن يجر ذلك الى حرب أور بية عامة لم تكن الحكومة في حالة تمكنها من الدخول فيها إلا بعد سنة على الأقل .

### خطة الحكومة الفرنسية بعد المعاهدة :

من أجل ذلك دعا الملك وولوى فيليب " أكبر رجال حكومته الى قصره للبحث فى الحالة وقررأيهم على ارسال رسل الى محمد على ليشجعوه و يتعهدوا حصونه واستعداده الحربى وليخففوا من حدته ، وفى أثناء ذلك يجب أن تستعد فرنسا للحرب ، وكتب ووتيير " الى سفراء حكومته يشير عايهم بملازمة التحفظ وابداء التأثر فى معاملاتهم مع سفراء الدول ، أما رد وو تيير " على والمرستون " فكان ردا قوى الجحة ، فقد كتب يقول: وإن فرنسا ترى أنه

<sup>(</sup>١) تاريخ حياة كلارندون لمكسو يل : الجزء الثانى ص ١٩٦

ليس من مصلحة السلطان في شيء أن تترك له أقاليم يعجز عن صيانتها وحكمها كذلك لا ترى أى فائدة للسلطان من إضعاف الباشا الذي قد يكون قوة منيعة للدولة ، وأن فرنسا تعتقد أنه ليس من الحكة ولا من الاحتراس في شيء أن تقرالدول على وسائل تعجز عن تنفيذها ، أو اذا نفذتها فبطرق ناقصة عظيمة الضرر (۱) وكتب الى جيزو يأمره بمعاملة وبالمرستون كاعامله فيتلوعليه المذكرة و يوجه اليه الأسئلة بشجاعة مستفهما منه عما اذا كارب لديه وسائل لمساعدة الثوار في سوريا ؟ وماذا يكون شأن الدول لو رفض محمد على الشروط التي يقدمها له السلطان رفضا باتا ؟ (٢) .

وكان "تبير" مصما في الحقيقة على الدخول في حرب أوربية اذا لم تحل العصابة الأوربية، ولم يكن غرضه تعضيد مجمد على فقط بل تمزيق معاهدات سنة ١٨١٥ ، وأعد اعتمادا ماليا عظيما للاستعداد للحروب ، وزيد الجيش والأسطول وأخذ في تحصين القلاع وانبعثت الحماسة في داخل فرنسا وأخذ الناس يترنمون بالأناشيد الوطنية في مجتمعاتهم .

### وثوق بالمرستون بالنجاح :

غيرأن هذه المظاهر لم تؤثر في والمرستون الذي كان واثقا أن الملك لوى فيليب لا يمكنه الدخول في حرب تجر معها ثورة قد تودى بعرشه فكتب الى وه هو دجس المعتمد البريطاني بمصر يقول له إن فرنسا لا يمكنها أن تدخل في حرب ضد باقى دول أور با من أجل محمد على ، وليس لدى فرنسا من القوة ما يمكنها من ذلك (٣).

وكانت فكرة بالمرستون تقضى باخضاع مجد على عاجلا حتى اذا هزم رأى الفرنسيون أن لا ضرورة لدخول الحرب فتنتهى الأزمة بسلام . لذلك رأى ضرورة السرعة والانجاز في العمل فبيناكانت المفاوضات دائرة بين معتمدى الدول ومجد على أرسل للا سطول البريطاني في مياه البحرالا بيض

<sup>(</sup>١) أوراق برانية: مذكرة "جيز و" الى " الحكومة الانجليزية " في ٢٤ يوليه سنة ١٨٤٠

<sup>(</sup>٢) مذكرات جيزو: جره خاس ص ٣٣٠ ــ ٣٣٥

<sup>(</sup>٣) أوراق برلمانية : "بالمرستون" الى "هدجس" في ١٨ ايوليه سنة ١٨٤٠

المتوسط أن يقطع المواصلات ببن سوريا ومصروكلف ممثلوالدول فسوريا إذاعة نصوصالاتفاق للعموم، وأخذ و بنسنبي "ينظم حركة الثورة في سوريا وشرع أعوانه يرسلون السلاح والذخيرة خفية الى الثورة (١).

# قيام الثورة فى سوريا :

نعم إن الثورة كانت قد خمدت في يوليه ولكن كان هناك وميض تذمر لو تعهده خدام السوء بالمال والسلاح لشبت نار الثورة وشغلت ابراهيم عن الزحف على القسطنطينية وعرقلت مساعيه الحربية والحلفاء يحاصرونه من البحر، فكان مما لا بد منه لنجاح خطة الحلفاء إضرام نار الثورة في الداخل. وفعلا نجح الحلفاء في ذلك فكانت ثورة سوريا سبب اخفاق ابراهيم وعد على أمام الحلفاء. إلا أنه لم يكن من الشهامة في شيء أن تتولى سفارة بريطانيا في القسطنطينية تحريض قوم عرفوا بتردهم ضد أي حكومة نظامية وخاصة بعد اعتراف ممشلى انجلترا نفسها بكفاءة ومقدرة الحكومة المصرية (٢). ولقد كان حقا على وتيير أن يستفهم من الحكومة الانجليزية: وهل كان التحريض على الثورة من الأعمال التي تفيد الدولة العلية التي النظام في قاوب رعايا السلطان ؟ وهل ينجح السلطان في حكم هؤلاء القوم بعد أن أثارهم الباب العالى في وجه الباشا "؟ (٣).

<sup>(</sup>۱) من "المرستون" الى بنسنبي.ف ۱۷ يوليه سنة ۱۸٤٠

<sup>(</sup>۲) ومما يؤيد اشتراك سمارة القسطنطينية في إثارة الشعور صديحد على رسالة "و بالمرستون" الى " بنسني" عقب انتهاء الحوادث وهذا نصها : "وانى انتهزهذه الفرصة لأذكر لك أنه لما كان أخالي سوريا لم يشهروا السلاح فى وجه مجد على إلا بنحر يض الموظفين الانجليز أصبح من واجب الحكومة أن لا تدخر وسعا فى نصح السلطان بعمل كل ما يصمن تخليص السوريين من الظلم (١٢ ديسمبر سنة ١٨٤٠) .

وقد بلغت نفقات الذخائرالحربية الموزعة في بلادالشام بواسطة السفارة البريطانية ١٩٢٨جنيا و١٣ شلنا وقد طلبت الحكومة الابجليزية بسديدها من الحكومة العثانية (فبرايرسنة ١٨٤٠)٠

<sup>(</sup>٣) أوراق برلمانية : مذكرة جيزو في ٢٤ يوليه سنة ١٨٤٠

#### استعداد محد على لاستقبال المعاهدة :

حين وصلت إلى مسامع مهد على أخبار اتفاق 10 يوليه أخذ يستعد في مصر لدفاع عظيم خليق بهمته المعهودة فكرون فرقا من الحرس الوطني من جميع الصناع والفعلة وأخذ يدر بهم على الحركات العسكرية ، وأقام القلاع على الشاطئ من رشيد إلى الاسكندرية وأمر بعودة جيش بلاد العرب ووحد الاسطولين العثماني والمصرى تحت أمرة ضابط مصرى ، وأرسل الى سوريا لتقوية حصن عكاثم أرسل ينذر الباب العالى بعاقبة تدخل الدول قائلا إنها لا تكلف نفسها مؤنة حرب لا تجنى من وراءها مصلحة ذاتية وأخذ مهد على يعامل معتمدى الدول بجفاء وصلف .

ولقد شكا الكولونيل "هدجس" المعتمد الانجليزى الجديد مماكان يلقاه من المعاملة الجافة.وكانت مهمة هدجس محفوفة بالشكوك إذ أرسله بالمرستون ليحل محل الكولونيل "كامبل" نصير عجد على ، وليدل الحكومة الانجليزية على بعض الارشادات الحربية فيما إذا اقتضت الحال إرسال حملة ضد عجد على (١) .

#### رد مجد على :

وفى 11 أغسطس حضر المندوب العثمانى رفعت بك حاملا شروط الاتفاق لعرضها رسميا على عهد على فلما قدمت له بحضور معتمدى الدول قابلها بثبات تام وخاطبهم قائلا : وو إن هذه الشروط لا يمكن قبولها وأنتم أعلم بأخلاق عهد على فهو لا يقضى على نفسه بالموت وهو على قيد الحياة وانى لا أستطيع قبول شروط مذلة لى " (٢) .

<sup>(</sup>۱) كتب هودجس الى حكومته يقول: ''ماكدت أطأ أرض هده البلاد حتى حوطنى الباشا بالجواسيس ليراقبوا حركاتى ولذلك أصبح من الواجب استعال الاحتراس الشديد لتجنب كل ما من شأنه إنارة شكوك الباشا وكل ما يشير الى الغرض الحقيق الذى أرمى اليه''. سجلات وزارة الخارجية: من ''ه هودجس'' الى ''بالمرستون'' ۱۸ يناير سنة ، ۱۸ ٤

<sup>(</sup>٢) سجلات وزارة الخارجية : من "هودجس" الى " بالمرسنون" ١٩٤٠ أغسطس سنة ١٨٤٠

فكتب اليه المعتمدون يذكرونه بما للعاهدات الدولية من القداسة وأنها لا تقبل التغيير والتبديل ، فلم يؤثر هذا في عزيمة مجد على واعتمد على تعضيد حكومة فرنسا وماكان عليه الشعور العام فيها إذ أكدله المسيو ولا كوشايه " معتمد فرنسا في مصر إن الحرب الأوربية لا محالة واقعة ، وفامت الحاليات الأجنبية واحتجت لدى حكوماتها على اتفاق الدول ضد يجد على . ووكانت الحالية الانجليزية أشد الحاليات احتجاجا وأكثرها سخطا على سياسة حكومتها وممثليها (١) .

ا الشعور عزيمة مجد على ، وفي ٢٥ أغسطس حضر اليه المعتمدون والمندوب العثماني فلم يزد عما قاله في الجلسة السابقة وأخبرهم بأن لا فائدة من الحضور ثانية بعد عشرة أيام لأنه ليس لديه إلا جواب واحد ثم صارحهم القول فأخبرهم بأن يعدوا العدة للسفر لأنه إذا تشبت الحرب لا يُمَكُّنُ أَنْ يَثْقَ فَيهِم ، وفَالرحيل خير وأشرف لكم وآمن لي الم (٢) . غير أن رفعت بك والمعتمدين مثلوا أمام الباشا في ٥ سبتمبر على حسب التعليمات الرسمية ليسمعواكامته الأخيرة على القول أو الرفض فقابلهم محمدعلى بمفاجَّأة غربية ذلك أنه قبل الشرط الشاني مر. ﴿ شروط الاتفاق وهو حكومة مصر الوراثيــة ، وأما عن سوريا فقــال انه مستعد أن يطلبها و احسانا " من السلطان ، وكان هذا الرأى نتيجة ما وصل اليـ مجلس رالم كومة الأعلى الذي اجتمع لهذا الغرض. فلم يكن من المعتمدين إلا أن ﴿ وَضَعُوا العقباتِ وظنوا أن هذه حيلة يكسب بها مجد على الوقت فرفضوا إلطائب وأعلموه باتخاذ الوسائل القهرية من غير إبطاء ، فأجابهم محلًا على بْقُولُه : ووليكن ذلك ولكن أرسلوا طلباني إلى لندره أو الى القسطنطينية فطلب المعتمدون ضمانا لحسن نيته رد الأسطول العثمانى فانهال عليهم الباشا ابصراخه وغضبه وانفض المجلس (٣) ولم يغادر المعتمدون الاسكندرية إلا

<sup>(</sup>۱) سجلات وزارة الخارجية (مصر): من (هو دجس ''الی (با لمرستون''۲۳ اغسطس سلة (۱۸۶۰) (۲) سجلات وزارة الخارجية (مصر): من مقابلة (فنجد علی '' ۲۵ اغسطس سنة (۲۵) (۲۷) سجلات وزارة الحارجية (مصر): مقابلة (فنجد علی '' في ه سبتمبر سنة ۱۸۶۰)

# قيام الحرب بين محمد على والدول :

والحقيقة أنه لا بفل محمد على إلا الحديد فقامت الحرب وتحملت انجلترا الجزء الأعظم منها ، إذ اقتصرت النمسا على ارسال قطعتين حربيتين من اسطولها . ثم ما لبثت الثورة أن قامت مرة ثانية في سوريا بفضل مساعى وو وود Wood " الموظف البريطاني الذي كتب الى بنسنبي يقول : وانه لم يدخر وسعا في تنظيم حركة الثورة ، وأنه تكبد مشاق عظيمة ، وعرض نفسه لأخطار جسيمة من أجل قيامه بالواجب "(۱) ثم فكر بنسنبي في مشروع يسهل على وو وود " نشر الثورة فنصح للباب العالى تحت مسئوليته ياصدار الأمر بعزل محمد على قائلا انه من العبث أن يترك مسئوليته ياصدار الأمر بعزل محمد على قائلا انه من العبث أن يترك محمد على ممتعا بنفوذ السلطان مع أنه يستخدم نفس هذا النفوذ ضد وجود السلطان (۲) .

عند ذلك كانت الحرب قد دارت رحاها بين ابراهيم باشا في سوريا والحلفاء الذين وقفوا بأسطولهم أمام السواحل بقيادة أمير البحر "استبفورد Stopford" ثم نزل الضابط البحرى "و نابيير Napier" وأصدر منشوره للا هالى يحرضهم فيه على القيام في وجه الحكومة ، واشتبك الطرفان في منتصف شهر سبتمبر ولم يمض قليل حتى كان النصر في جانب الحلفاء بيروت ثم نزلت قوة إلى البر مؤلفة من بمساعدة أساطيلهم فاحتل الحلفاء بيروت ثم نزلت قوة إلى البر مؤلفة من وفي ١٣ نوفبر سقط حصن عكا المنيع عقب انفجار هائل من الداخل لم يعرف سببه. ولولا هذا الانفجار ماسقط الحصن في ذلك الوقت ولدامت المقاومة طويلا (٣).

<sup>(</sup>١) سجلات وزارة الخارجية (مصر): من ''وود'' الى '' بنسنې'' ٣ أغسطس سنة ١٨٤٠

<sup>(</sup>٢) كان ذلك في ١ ١ سبتمبر ستة ١٨٤٠

<sup>(</sup>٣) الحرب في الشام: الجزء الأول ص ١٩٦ – ٢٢٥

## تقدم الحلفاء على السواحل:

و بسقوط عكا انحطت قوى محمد على المعنوية ، غير أن جيوشه التى تبلغ ، ، ، ، ، بقيادة ابراهيم باشا كانت لا تزال متفوقة فى داخلية البلاد وكانت دمشق وحلب والقدس وغزه لا تزال فى أيديهم فلم يكن فى إمكان الحلفاء محاربة ابراهيم فى الداخل واقتصروا على مناوشة الجبليين بلحيوشه ، واكتفوا هم بتضييق الحصر البحرى على الموانئ المصرية وقطع الصلات بين سوريا ومصر. ولم يدم تعضيد الجبليين لهم طويلا بدليل ماكتبه ونابيير الى بنسنبي يقول: ووإنه إذا استمرت الحرب مدة فلا بد من أن يقوى حزب ابراهيم فى سوريا ، (١) .

## الأزمة السياسية في أوربا:

وفى هذه الأثناء كانت الحوادث فى أو ربا تنبي بوقوع أزمة سياسية قد تؤدى إلى حرب عامة فى أى وقت ، فقد توترت العلائق بين فرسا والباب العالى و بلغ ذلك درجة أزعجت الدول، وكانت الحكومتان الانجليزية والفرنسية تبذلان جهدهما لمنع ما يمكن أن يزيد الحالة تعقيدا بينهما والفضل فى ذلك لوساطة الملك و ليو پولد " ملك بلچيكا وصهر لوى فيليب وخال الملكة فيكتوريا . ثم بدأ النزاع فى الوزارة الانجليزية من جديد وكاد الأمر يفضى الى الاستقالة لولا تدخل الملكة فيكتوريا نفسها ونصيحتها للوزارة بضرررة الظهور أمام العالم مظهرا يوافق سمعة انجلترا ومركزها لتدرأ بذلك ما يمكن أن ينجم من النتائج السيئة .

# تعضيد فرنسا لمحمد على :

ثم جاء خبر عزل السلطان لمحمد على فقامت فرنسا قومة واحدة ، وفطن بالمرستون لما يمكن أن يؤدى إليه مثل هذا الحادث فبادر با بلاغ الحكومة

<sup>(</sup>١) الحرب في الشام: الجزء الأول ص ٢٥٣

الفرنسية أن هذا العزل عمل مؤقت لحأ إليه الباب العالى ليرغم محمد على على قبول الاتفاق (١).

ولكن الشعب الفرنسي لم يسكت وأراد انتهاز الفرصة فيتقدم لمساعدة حليفه مجمد على ، و بلغت الحماسة حدا جعل و اللورد جرانفيل سفير انجلترا في باريس يكتب الى حكومته يقول: و إن حالة البلاد بالغة الغاية في الارتباك بسبب ثورة الأفكار التي يخشي أن تهدد السلام في أوربا وليس هناك حكومة يمكنها أن تمتنع عن مقاومة من يحاول قهر محمد على أو طرده من مصر سن (٢). وكتب تيير الى جيزو يخبره : و بأن حكومة فرنسا تعد وجود محمد على كقوة سياسية في العالم أمرا ضروريا ولا بد منه حتى يكل التوازن بين حكومات العالم وذلك بسبب سعة الأقاليم التي يحكها والبحار التي يمتد عليها سلطانه سن (٣).

ولم يكن في رسالة تيير شيء يشير الى العنف أو استعال القوة فاطائت الوزارة البريطانية وهدأ روعها وكتب بالمرستون الى سفيره بالقسطنطينية ينبهه الى: وو أنه بمقتضى شروط الاتفاق يجب أن يعمل الباب العالى كل ما يوافق مصالحه بشرط أن لا يحيد عن نصح حلفائه له . فالدول توصى السلطان باعادة مجمد على رسميا الى حكومة مصر وجعلها و راثية اذا ما أعاد الأسطول وأخلى جميع الأقالي عدا مصر وملحقاتها في أفريقية (٤) ولكن مترنخ اقترح أرز يطلب مجمد على العفو أولا من السلطان ، وهنا نترك بنسنبي يضع العراقيل في سبيل الصلح مع مجمد على على الرغم من أمر حكومته الصريح ليسهل عقد الصلح ما استطاع ولنعد الى فرنسا حيث الأنظار متجهة من كل أنحاء أو ربا لمشاهدة ما تقوم به الحكومة من المفاجآت الغربة .

<sup>(</sup>١) سجلات وزارة الخارجية (فرنسا): من "بالمرستون" الى "جرانفل" ٢ أكتو برسنة ١٨٤٠

<sup>(</sup>۲) سجلات وزارة الخارجية (فرنسا ): من ''جرا نفيل'' الى ''بالمرستون'' في ٥ و ١٨ كتو بر سنة ٤٠ ١٨ ٤

<sup>(</sup>٣) سجلات الخارجية (فرنسا) : من "تير" في ٨ أكنو برسنة ١٨٤٠

<sup>(</sup>٤) سجلات وزارة الخارجية (تركيا): من " بالمرستون " الى " بنسنى " ١٥٠ كتو برسنة ١٨٤٠

### فشل الحركة فى فرنسا :

فانه ما كاد العالم يستفيق من هول النظر الى حركات الجيوش والأساطيل حتى فتح عينيه فافا هو يرى منظرا مضحكا مبكيا وهو سقوط و زارة "تيير" التي كانت تريد الحرب وقيام و زارة معتدلة برياسة و جيزو " ذلك لأن الملك لوى فليب لم يفكر في الحرب بطريقة جدية بل كان يريد السلم بأى الوسائل ، نع سبق أن تكلم عن الحرب ، ولكن كما أوضح لسفير انجلترا و الكلام عن الحرب شيء والدخول فيها شيء آخر " (۱) ومما أضعف لوى فليب خىفه من قيام الثورة ، فقد تعدى عليه فوضوى يريد قتله فى ١٥ أكتو برسنة ، ١٨٤ ، وفي نفس هذا الشهر أيضا حاول و لوى في هن الحرب من معتقله و تحريك الثورة ، زد على ذلك ما ظهر من نابليون " الهرب من معتقله و تحريك الثورة ، زد على ذلك ما ظهر من ضعف مجمد على في سوريا وماكان يرسله بالمرستون من الكلمات المزرية ، فن ذلك ما كتبه لسفيره: و قل لللك ان فرنسا اذا تحدتنا فان انجلترا فن ذلك ما كتبه لسفيره: و قل لللك ان فرنسا اذا تحدتنا فان انجلترا أسطولها ومستعمراتها و تجارتها وأما مجمد على فانا لا نفعل معه أكثر من ألفول سعمراتها و تجارتها وأما مجمد على فانا لا نفعل معه أكثر من قدفه في النيل " (۱)

كل هذا أثر فى نفس لوى فيايب الذى فضل أن يعارض و تبير "على أن يعارض أوربا ، وأخيرا جاء وقت افتتاح مجلس النواب فوضع تيدير على لسان الملك خطبة عدائية حربية لم يقبلها الملك فسقطت الوزارة ، وتولاها من بعده المارشال سوات وجيزو في ٢١ أكتو برسنة ١٨٤٠

#### نيات تيير:

ولقد أوضح تبير خطته في مجلس النواب عقب انتهاء الأزمة فصرح بأنه: و كان يرمى الى زيادة جيش فرنسا الى ٣٠٠,٠٠٠ وتكوين حرس وطنى يتألف من ٣٠٠,٠٠٠ ، ومتى تم له ذلك ، يوقف كل المفاوضات مع

<sup>(</sup>١) تاريخ حياة بالمرستون : الجزء الثاني ص ٢٥٣

<sup>(</sup>٢) تاريخ حياة بالمرستون : من " بالمرستونين في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٠

الدول المتحالفة بشأن المسألة الشرقية حتى يستعد وينصح مجمد على أن يتجنب كل ما من شأنه أن يسبب تدخل فرنسا قبل الأوان ، و بعد أن تتم المعدات تلح حكومة فرنسا في طلب إلغاء معاهدة ١٥ يوليه وتطلب أيضا اعادة النظر في معاهدات سنة ١٨١٥ فتعدل بطريقة توافق مصالح فرنسا ومكانتها ، (١) .

#### مهمة شارلس نابيير:

وكان سقوط وزارة تبير بمثابة عهدللناس بأن فرنسا لا تتحرك في حرب من أجل مجمد على، وعلى ذلك قسا الباب العالى واللورد بنسبنى في معاملتهما لمحمد على، لولا ما بعثته العناية الإلهية في قلب رجل حرشجاع هو وشارلس نابيير "من أكبر ضباط الأسطول الانجليزى ، رأى هذا الضابط بعين بصيرته أنه من الصعب إخضاع مجمد على بقوة الأسطول منفردة ، ورأى قوة ابراهيم في الداخل ، وفساد الحكم التركى الجديد الذي يريد الحلفاء تثبيته بدلا من حكومة مصر ، وأي حقائق الحال وكان مرابطا أمام الاسكندرية ومعه خمس قطع حربية ففتح باب المفاوضات مع حكومة الباشا مباشرة .

## اتفاقه مع محمد على :

وكان ود نابير "من حزب الأحرار المتطرفين وكانت تصله الأخبار من أصدقائه بلندره ، فعرف فحوى الخطاب الذى أرسله بالمرستون لبنسنبي في أكتو بر ، و بني من تلقاء نفسه على ما جاء فيه أساس اتفاق عقد بينه و بين بوغوص باشا وزير محمد على المفوض بمقتضاه وعد محمد على بتسليم الأسطول العثماني و باخلاء ابراهيم لسوريا ، وفي مقابل ذلك تعهد ود نابير "بن تضمن الدول لمحمد على حكومة مصر وراثية ، وبأن لا تمس سواحل مصر بسوء ، وأن تعود العلاقات بين مصر وسوريا ، فرحب محمد على

<sup>(</sup>١) جريدة المونيتير الفريسية : في ٢٧ نوفير سنة ١٨٤٠

بالاتفاق على الرغم من نصيحة فرنساله بضد ذلك لأنه كان قد سمَّ من جمود فرنسا نحوه ، ووقع على الاتفاق فى ٢٨ نوفمبرسنة ، ١٨٤ ، وكتب و نابيير " الى حكومته يقول : و انه أخذ على عاتقه هذا العمل متحملا وحده تبعته ، وأنه عمل مارآه صوابا راجيا موافقة الحكومة ، نعم إن التبعة خطيرة ولكن يجب أن لا يحيجم الضابط عن العمل من غير أمر متى كان العمل في صالح الوطن (١) .

# موافقة بالمرستون على مشروع الاتفاق :

غير أنه من دواعى الأسف أن السلطان لم يعترف بنص هذا الاتفاق إذ أنكره أمير البحر و استبفورد و اللورد بنسبني والحكومة العثمانية ماعدا بالمرستون فانه وافق عليه ، وأرسل و استبفورد و يكلفه بعمل ما قام به نابيير ، و يكون بذلك قد اضطر بالمرستون في نهاية الأمر الى مفاوضة مجد على رأسا ، ولو فعل ذلك من أول الأمر لكانت المشكلة قد انتهت من زمن من غير اراقة دماء ، وهناك أسباب دعت بالمرستون لأن يخفف من غلوائه ضد مجمد على ، فقد كتبت اليه الملكة مرة بتاريخ ١٧ أكتو بر وأخرى في ١١ نوفجر تطلب اليه بشدة أن يخفف من حدته (٢) ومن هذه الأسباب أيضا وجود وزارة معتدلة في فرنسا فقد اضطرت الحكومة مجاراة للرأى العام أن تستمر في معدات الحرب ولكن أصبح من الواجب على الحلفاء مساعدة و جيزو و ومصالحة فرنسا التي بدأت تهدأ ثائرتها عقب الحلفاء مساعدة و عكا و وتدهور قوات مجمد على .

جزء أول ص ١٤٨



<sup>(</sup>۱) الحرب فى الشام: الجزء الأول من "فنا بعير" الى "فبالمرستون" فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٤٠ (١) مذكرات جوفل: الجسيزء الرابع ص ٣٥٠] وخطابات الملكة فكتوريا:

# الفصل الرابع عشر خاتمة المرحلة الأولى

# مفاوضة الدول رأسا مع محمد على :

فى صباح ٨ ديسمبرسنة ١٨٤٠ نول الى الاسكندرية الضابط وفانشو مندوبا مر. أمير البحر و استبفورد تقائد قوات الحلفاء ليبلغ مجمد على رغبات الدول ، فقبل مجمد على كل ما أشار به الضابط وكتب خطابا يستعطف به السلطان وأرسله الى الصدر الأعظم ، ولكن لعبت الأيدى المستترة فى القسطنطينية فشك الباب العالى فى اخلاص مجمد على وأرسل بنسنبي الى قواده فى سوريا بأن يؤذوا جيش ابراهيم أثناء اخلائه سوريا بناء على أمر الباشا ، وعلى العموم لم يدخر بنسبني وسعا فى الاضرار بجمد على حتى أن و نابيسير كتب يقول : و لو كان لبنسبني القوة لما تردد فى تضحية الأسطول البريطاني حبا فى اهلاك مجمد على "(١).

## معاكسة بنسنبي لمحمد على:

وآخرضر بة مر. بنسبني أنه أغرى الباب العالى بأن يمنح محمد على حكومة مصر ويهمل ذكر حق الوراثة ، وكان الباب العالى قد تشجع بانكسار محمد على وأخذ يتبجح بطلباته اذكتب رشيد باشا الى المندوب العثمانى بلندره يقول : ووكيف توفق الدول الأربع بين مبدأ المحافظة على كان الدولة ومنح محمد على حكومة وراثية "(٢).

<sup>(</sup>١) الحرب في الشام لنا بيير: الجزء الثاني ص ١٩٥

<sup>(</sup>٢) أوراق برلمانية : من "ورشيد باشا" الى " شكيب باشا " في ٨ ديسمبر سنة ١٨٤٠

#### ارسال الفرمان:

ولكن لم تكن لهذه الألاعيب السياسية نتيجة سوى إيغار صدر النمسا و بروسيا وروسيا فاحتج السفراء لدى الباب العالى وكانت النتيجة أن أرسل السلطان فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١، ولكن هذا الفرمان اشتمل على كثير من الشروط غير المعقولة كحق السلطان في اختيار والى مصر من أسرة على واستيلاء السلطان على ربع دخل مصر وتضييقات أخرى تتعلق بمنح الألقاب العسكرية وغيرها مما أثار غضب مجد على فرفض قبول الفرمان ما لم تعدل على حسب طلباته وكتب بهذه الطلبات مذكرة وأرسل للسلطان يقول: ووان الله سبحانه وتعالى لم يثقل كاهل العبد بشروط ليست في وسعه فكيف يطلب السلطان خليفة الله في أرضه أن يضيف الى منته شروط لا يمكن تنفيذها " (۱).

### مجد على يطلب تعديله والدول تؤيده :

وكتبت حكومة النمسا للسلطان والى الحكومة الانجليزية تهدد بالانسحاب من المحالفة اذا لم يعدل الفرمان على حسب طلبات مجد على وفعلا أمرت قائدها بأن لا يعمل ضد ابراهيم أو ضد مصر (٢) وأرسلت حكومتا بروسيا والروسيا كتابة بهذا المعنى ، فلم يكن من بالمرستون الا أن أرسل خطابا الى سفيره بالقسطنطينية يلح عليه إلحاحا شديدا أن يبذل كل جهده لدى الديوان لارسال الفرمان بالتعديل المطلوب فى أقرب فرصة ، فتم الفرمان الجديد ، وكان الوزير رشيد باشا قد استقال وخلفه فى وزارة الحارجية و رفعت بك تفعدل الفرمان فى أهم شروطه . وهى : أولا أن تكون الوراثة لأكبر أفراد الأسرة على حسب القانون العثمانى .

أولاً — أن تكون الوراثة لأكبر أفراد الأسرة على حسب القانون العثماني. ثانياً — أن تحدد الجزية بمقدار ٨٠٠٠٠ كيس ( ٤٠٠٠٠٠ جنيــه )

<sup>(</sup>١) أوراق برلمانية: من ''مجد على'' الى ''الصدر الأعظم''. في مارس سنة ١٨٤١

<sup>(</sup>٢) أوراق برلمانية: من " بوفيل" الى " بالمرستون" في ٩ أبريل سنة ١٨٤١

ثالثا — أن يكون للباشا حق منح الرتب العسكرية لغاية رتبة "قائمقام"، وفي ٢٦ ما يو وافق السفراء على نص الفرمان الجديد، وفي ١٠ يونيه قرئ الفرمان الجديد رسميا في قصر مجد على باحتفال لائق (١١)، وعلى ذلك يكون مجد على قد نجح في تثبيت عرشه على أرض مصر بحسب الشروط التي أملاها. بعد ذلك اهتمت الدول بمصالحة فرنسا فقبل جيزو ذلك بشرط أن تحل المحالفة وذلك بكابة كلمة تئي باتنهاء الأزمة الشرقية، فتم ذلك ووقع الدول الأربع على قرار الانتهاء . واشتركت الدول الخمس في التوقيع على الدول الأربع على قرار الانتهاء . واشتركت الدول الخمس في التوقيع على ومعاهدة المضايق " وهي اعلان من الدول بقبول المبدأ القديم القاضي باقفال البوغازات أمام جميع السفن الحربية وفتحها للسفن التجارية .

وهاك نص فرمان يونيه سنة ١٨٤١ إلى مجمد على :

# فرمان حق الوراثة لمحمد على فى حكومة مصر ( يونيه سنة ١٨٤١ )

رأينا بسرور ما عرضتموه من البراهين على خضوعكم وتأكيد أما نتكم وصدق عبوديتكم لذا تنا الشاها نية ولمصحة بابنا العالى و فطول اختباركم وما لكم من الدراية بأحوال البلاد المسلمة ادارتها لكم من مدة مديدة لا يتركان لنا ريبا بأنكم قادرون بما تبدونه من الغيرة والحكمة فى ادارة شؤون ولا يتكم على الحصول من لدما الشاهانى على حقوق جديدة من تعطفاتنا الملوكية وثقتنا بكم و فتقدرون فى بث هسذه المزايا التى امتزتم بها فى أولادكم ولذلك صممنا على تثبيتكم فى الحكومة المصرية المبيئة حدودها فى الخريطة المرسومة لكم من لدن صدرنا الأعظم ومنحناكم فضلا عن ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط الآتى بيانها :

<sup>(</sup>۱) وهذا نص اعتماد سفرا، الدول فى القسطنطينية على العرمان النهائى: "و نحن الموقعين أدناه ممثلي الدول الأربع العظمى حلفاء الباب العالى نعان حسب طلب الباب العالى بأنه قد وصلما الفرمان الجديد المراد اوساله الى مجدعلى باشا حاكم مصرولم نر فيه شيئا أيا كان يدعو الى معارضتنا و وعلى دلك لم يبق عاينا الا أن نطلب من الباب العالى ارسال الفرمان الى صاحب بأسرع ما يمكن " مه

۲۲ ما يو سة ۱۸۶۱ استور (النمسا) كونجز مارك (بروسيا) نسنني (انجلترا) بوتف (روسيا)

" متى خلا منصب الولاية المصرية تنتقل الولاية بالارث منكم الى أولادكم فأولاد أولادكم من الذكور من ذريتكم ثم يصدر الأمر بالتعيين مر لدنا . وادا انقرض نسل الذكور من أولاد كم فيعين الباب العالى شخصا آخر في الحكم ولا يكون لأولاد الساء من ذريتكم حقا أيا كان في الوراثة .

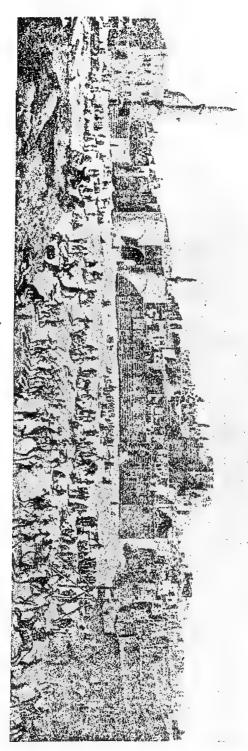
على أن حق النوارث الممنوح لوالى مصر لا يمنحه رتبة ولا لقبا أعلى من رتبة سائر الوزراء ولقبهم ولا حقا فى النقدم عليهم بل يعامل بذات معاملة زملائه وجميع أحكام خطنا الشريف الهما يونى الصادر فى كلحانة وجميع العهود المعقودة أو التى ستعقد فى مستقل الأيام بين الباب العالى والدول المتحابة يتبع الاجراء على مقتضاها جميعا فى ولاية مصر أيصا وكلما هو مفروض على المصريين من الأموال والضرائب يجرى تحصيله باسمنا الملوكى ولكى لا يكون أهالى مصر وهم من رعايا بابنا العالى معرضين للضار والأموال والضرائب غير القانونية يجب أن تنظم تلك الأموال والضرائب المذكورة حسب ترتبها فى سائر الممالك العثانية و يرسل الى نزا تتنا السلطانية الملبغ الذى سيقرر فى فرمان خاص مع بيان كيفية تحصيله بما يناسب ايرادات البلاد (١) هذا فضلا عن ارسال الغلال والخضر المعتاد ارسالها الى المدن المقدسة و

ولما كان من المقرر أن يعين بابنا العالى ترتيبا لسك النقود لما فى ذلك من الأهمية بجيث لا يعود يحدث فيها خلاف لا من جهة العيار ولا من جهة القيمة اقتضت ارادتنا السنية أن أصرح بسك النقود فى مصر ولكن النقود الذهبية والفضية الجائز لحكومة مصر ضربها باسمنا الشاهانى يجب أن تكون معادلة للنقود المضروبة فى الاستانة سواء كان من قبيل عيارها أو من قبيل هيئتها وطرزها .

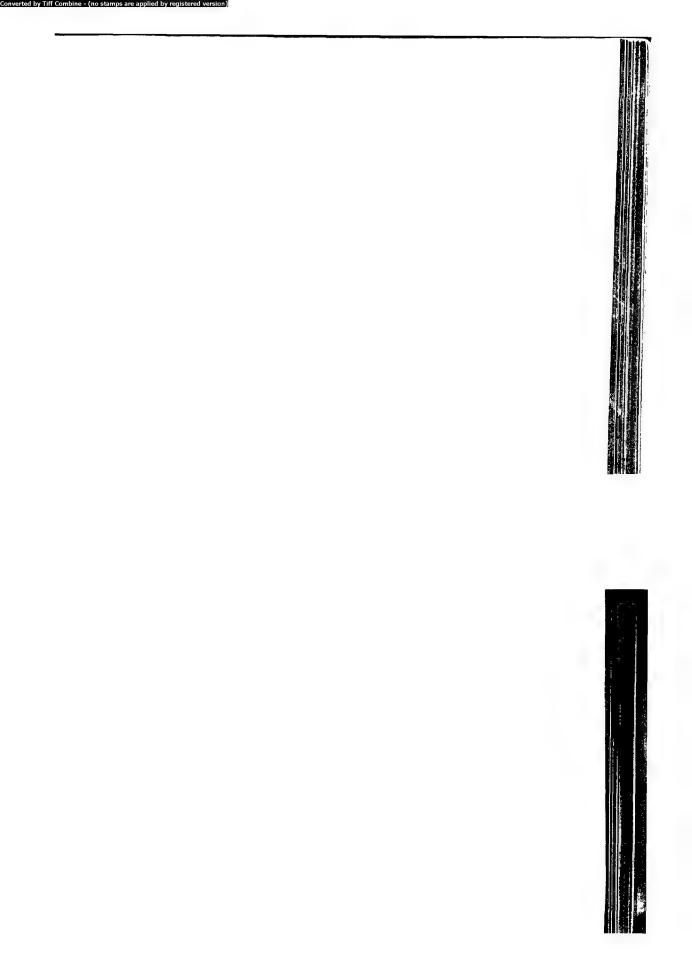
و يكفى أن يكون لمصر ثمانية عشر ألف نفر من الجند للحافظة فى داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدوا هذا العدد لأى سبب ما • ولكن حيث ان قوات مصر البرية والبحرية معدة لخدمة اللب العالى كسائر قوات المملكة العثانية ، فيسوغ أن يزاد هذا العدد فى زمن الحرب بما يرى موافقا فى ذلك الحين • على أنه بحسب القاعدة الجديدة المتبعة فى كافة مما لكما بشأن الخدمة العسكرية بعد أن يخدم الجند مدة خمس سنوات يستبدلون بسواهم من العساكر الجديدة • فهذه القاعدة يجب اتباعها أيضا فى مصر بشرط أن تستعمل فى ذلك جميع الجنود ما تقتضيه واجبات الانسانية والنزاهة والسرعة اللازمة ويرسل الى الاستانة سنويا أربعائة جندى • و يجب أن لا تختلف هيئة الملابس والعلامات ورايات الجنود المصرية عى مثلها من ملابس ورايات باقى

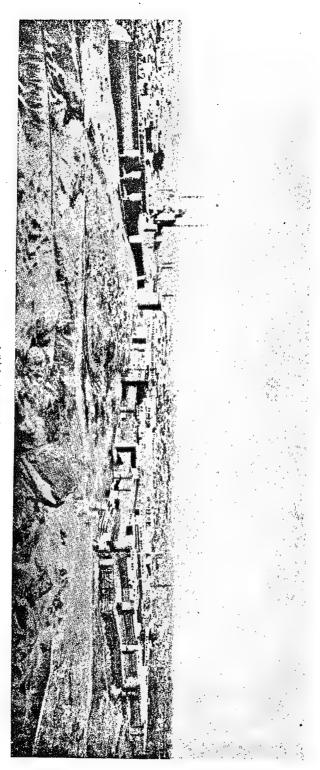
<sup>(</sup>۱) تقرر أن يكون هذا المبلغ ٨٠٠٠٠ كيس (٢٠٠٠٠ جنيه مجيدى) ٠

inverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



القلعة عند دخول الحلة الفرنسية





القلعة من ناحية المقطم

المحرية ورايات سفنها يجب أن تكون مما ثلة لملابس ورايات وعلامات رجالنا وسفننا وللحكومة المصرية ورايات سفنها يجب أن تكون مما ثلة لملابس ورايات وعلامات رجالنا وسفننا وللحكومة المصرية أن تعين وترقى الضباط البريين والبحريين حتى رتبة قائمقام أما ما كان أعلى من هذه الرتبة فالتعيين اليها واجع لارادتنا الشاهانية ولا يسوغ لوالى مصر أن ينشى من الآن فصاعدا سفنا حربية الاباذننا الحصوصى وحيثان الامتياز المعطى بوراثة مصرخاضع للشروط الموضعة أعلاه ففي عدم تنفيذ أحد هذه الشروط موجب لابطال هذا الامتياز والغائه وبناء على ذلك قد أصدرنا خطنا هذا الشريف الملوكي كي تقدروا أنتم وأولادكم وذريتكم قدر منحتنا الشاهانية فنعتنوا كل الاعتناء باتمام الشروط المقررة فيه وتحوا أهالى مصر من كل ظلم وتكفلوا أمنيتهم وسعادتهم مع اخبار با بنا العالى عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد الممهودة ولايتها اليكم "اه ه .

#### فرمان ولايته على السودان

م صدر فرمان آخر يثبت ولايته على النوبة ودارفور وكردوفان وسنار هذا نصه :

و° ان سدتنا الملوكية كما توضح فى فرمانها السلطانى السابق فد ثبتتكم على ولاية مصر بطريق التوارث بشروط وحدود معينة . وقد قلدتكم فضلا عن ولاية مصر ولاية مقاطعات النو بة والدارفور وكردوفان وجميع توابعها وملحقاتها الخارجة عن حدود مصر .

فبقوة الاختبار والحكمة التى امتزتم بها تقومون بادارة هاته المقاطعات وترتيب شؤونها بما يوافق عدالتنا وتوفير الأسباب الآيلة لسعادة الأهلين وترسلون فى كل سنة قائمة الى بابنا العالى حاوية بيانات الايرادات السنوية جميعها الخ".

**张 张** 

#### تلخيص نهائى

وعلى ذلك انتهى المشكل الدولى الذى شغل بال الحكومات مدة سنتين أصبحت الحرب الأوربية فى أثنائهما قاب قوسين: واو تركت الدول المسألة من غير تدخل ما بلغت الأزمة أشدها ولاتفق السلطان وعهد على على حل كما اتفقا فى سنة ١٨٣٣ بمرأى من الدول ، ولكن خشيت الدول

تدخل الروسيا بمفردها وهذا الخوف جرهم الى التدخل فى شؤون الحكومة العثمانية تدخلا لم يسبق له نظير . ولما زالت الهواجس من جهة الروسيا بتوقيعها على المذكرة الدولية فى سنة ١٨٣٩ سنحت الفرصة لبالمرستون ليعمل على حل المشكل حسب مصالح السلطان التي كانت تتفق وقتئذ مع مصالح انجلترا .

ولأجل تنفيذ هذه الخطة وجد بالمرستون أن لا بد من الانفصال عن عالفة فرنسا التي كانت مصالحها تتفق مع مصالح مجد على ، فزاد الخلاف بين الحكومتين وأصبح الانشقاق مؤكدا ، فاجتهد بالمرستون في كسب الدول الأوربية الى جانبه ، وتم له ذلك لخوف هذه الدول وغيرتها من فرنسا . بعد ذلك ظهر لبالمرستون أن عجد على قد يعارض الدول و يقاومها بالقوة واذا أريد قهره فلا بد من الحرب ، ولم يكن بالمرستون ولا حلفاؤه على استعداد تام للحرب وحيئئذ عن له أن يكسب اتفاق فرنسا بنزوله لها عن بعض شروط لمحمد على ، ولكن فرنسا عاندت ورفضت مرارا واستعملت دعاوى عريضة أوغرت صدر بالمرستون .

وحدا بفرنسا على سلوك هذه السياسة اتكالها على استحالة اتفاق الدول من غير اشتراكها . واعتمادها على قوة مجد على العظيمة . ولكن خاب ظنها من الوجهتين فان مصالح انجلترا في المسألة كانت حيوية ولذا قر بالمرستون على عقد الاتفاق وضرب فرنسا ضربة أدبية أعادت اليها رشدها . نعم كان من المظنون أن تدخل فرنسا الحرب من أجل هذه الاهانة لولا مساعى ملكها لوى فيليب الذي كان يفهمه بالمرستون حق الفهم .

ثم ما لبثت قوى مجد على فى سوريا أن تداعت تداعيا سريعا ونجحت بذلك سياسة بالمرستون نجاحا كاملا . وأراد الباب العالى أن ينتفع بالفرصة فقص من جناحى مجد على ، ولكن بالمرستون وحلفاؤه فطنوا الى سوء هذه السياسة فأوقفوا الباب العالى عند حده وفتحوا باب المفاوضة مع مجد على مباشرة وانتهى المشكل بانضام فرنسا الى الدول .

وخرج مجد على من الأزمة مغلوبا فى الحرب لأنه اعتمد على تعضيد فرنسا له ، وحكومة فرنسا لم تزوده الا بالأقوال والدعاوى حتى اذا جاءت الساعة العصيبة أحجمت . لأن الملك رأى غير ما كان يراه الشعب . غير أن مجد على نال أقصى أمانيه ومطامعه اذ ثبت عرش أسرته فى أرض مصر بموافقة الدول وسوى العلاقات بين حكومته و بين الباب العالى بحسب الشروط التى اختارها لنفسه .

#### خاتمة مجد على :

و بوصول فرمان يونيه سنة ١٨٤١ انتهت حياة مجد على السياسية فانصرف الى تحسين داخلية البلاد بقدر ما سميحت به شيخوخته، وصارت علاقاته مع دول أور با على أحسن ما تكون فلما سافر ابنه ابراهيم في عام ١٨٤٥ الى أور با للاستشفاء استقبلته فرنسا وانجلترا استقبالا فحلى علم منزلة ابراهيم الحربية ومكانة والده في نظر أور با ولكى يبرهن عجدعلى أمام الدول علىحسن نياته نحو الباب العالى سافر في يوليه سنة ١٨٤٦ الى الاستانة وقدم فرض الإخلاص للسلطان الذى رحب به أيما ترحيب ثم عرج على بلدته وقوله وترك فيها عدة أعمال خيرية ثم عاد الى الاسكندرية وكانت صحته قد تضعضعت كثيرا فترك مقاليد الأمور لحفيده عباس بن طوسون ، اذ استمر ابراهيم يشكو من مرضه فسافر الى أور با ثانية سنة ١٨٤٧ وفي أثناء هذه الزيارة قام مجد على برحلة بحرية الى نابلى وهناك سميع بثورة سنة ١٨٤٨ وخلع لوئى فليب فتأثر عجد على كثيرا للصداقة الى

كانت بينهما فعاد الى مصر وحالته العقلية والجثمانية قد ضعفت ضعفا ظاهرا ، وعاد ابراهيم فتقلد الولاية بدلا من والده فى يوليه سنة ١٨٤٨ ولكن المنية عاجلته فى نوف بر ١٨٤٨ بغاء عباس باشا مر. مكة واستلم زمام الأحكام ، وكان مجد على اذ ذاك فى الاسكندرية فى قصره المحبوب برأس التين ومن حوله الأطباء والممرضون وهو يعانى أشد الآلام لا سيما بعد وفاة ابنه الأكبر ، وأخيرا فى ٣ أغسطس سنة ١٨٤٩ مات الرجل العظيم فنقلت جثته الى القاهرة ودفن بمسجده الذى شيده ليشرف على القاهرة من أعلى المقطم .

# ملحق (١)

#### منشور بونابرت الى المصريين

الذى طبعه فى الاسكندرية ووزعه فى جميع أنحاء البلاد عقب نزول الفرنسيين فى الاسكندرية فى ٢ يوليه سنة ١٧٩٨ الموافق ١٨ محرم سنة ١٢١٣

ووبسم الله الرحمي الرحيم، لا إله إلا الله، لا ولد له، ولا شريك له في ملكه : من طرف الجمهور الفرنساوى المبنى على أساس الحرية والنسوية السرعسكر الكبير بونابرت أمير الجيوش الفرنساوية يعسرف أهل مصر جميعهم أنه من زمن مديد الساجق الذين يتولون مصر يعاملون الملة الفرنســوية بالاحتقار والاعتداء وقد حضرت الآن ساعة عقو بتهم وأخرا من مدة طويلة هؤلاء المساليك المجلو بول من بلاد الأباطة والحركس يفسدون في الاقليم الحسن الأحسن الذي لا يوحد فى كرة الأرض كلها ، ولكن رب العالمين القادرعلى كل شيء فا نه قد حكم با نقصا ،دولتهم فيا أيها المصريون قد قيل لكم اننى ما نزلت هذه الجهة الابقصد إزالة دينكم بدلك كذب صريح لا تصدقوه وقولوا للفترين انني ما قدمت اليكم الالأحلص حقكم مي يد الظالمين وانني أكثر من المساليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العطم . وقولوا لهم أيصا ان جميع الناس متساوون عند الله وان الذي يميز بعضهم عن بعض هو العقل والفضائل والعلوم . وأي شيء في المماليك يميزهم عن غيرهم ويسستوجب أن يتملكوا مصر وحدهم فحيثا تكون أرض مخصبة فهى للــاليك ومثل ذلك أحسن الجوارى وأكرم الخيل وأجمل المساكن • فانكانت الأرض المصرية النزاما للمساليك فليظهروا لنا الحجة التي كتبها الله لهم . ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحكم ولكن بعونه تعمالي من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالي مصرعن الدخول في المساصب السامية وعن اكتساب المراتب العالبة فالعةلاء والفضلاء والعلماء منهم سيدبرون الأمور وبذلك والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله الاطمع الهــاليك وظلمهم . فيا أيها القضاة والمشايخ والأئمة ' ويا أيها الشربجية وأعيان البلاد قولوا لأمتكم ان الفرنساريين هم أيضا مسلمون مخلصون ٠ واثبات ذلك أنهم نزلوا فى رومية الكبرى وأخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة المسلمين ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكفاليرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم محاربة المسلمين . ومع ذلك فان الفرنسو بين في كل وقت صاروا محبين مخلصين لحضرة سلطان العثمانيين وأعداء أعداتُه أيد الله ملكه مع ذلك أن الماليك المنعوا عن طاعة السلطان غير ممتثلين لأوامره فما أطاعوا أصلا الالطمع أنفسهم فطوبي ثم طوبي لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وترقع مراتبهم وطوىى للذين يقعدون فى أماكنهم غير

ما ثلين لأحد من الفريقين المتحاربين فاذا عرفوها بالأكثر تسارعوا الينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل شم الويل للذين ينحدون مع المماليك ويساعدونهم فى الحرب علينا فلا يجدون بعد ذلك طريقا للخلاص ولا يبق لهم أثر:

المادة الأولى ـــ جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة على مسافة ثلاث ساعات من المواضع التى يمر بها عسكر الفرنساوية يجب أن ترسل للسر عسكر وكلاء من عندها كيا يعرف المشار اليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا العلم الفرنساوى الذى هو أبيض وكحلى وأحمر .

المادة الثانية — كل قرية تقوم على العساكر الفرنسوية تحرق بالنار .

المادة الثالثة — كل قرية تطبع العساكر الفرنسوية يجب أن تنصب أيضا سناجق السلطان العثمانى محبنا دام بقاؤه .

المادة الرابعة — المشايخ فى كل بلد يختمون حالا جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التي تتبع الهاليك وعليهم الاجتماد النام لئلا يضيع أدنى شيء منها ·

المادة الخامسة — يجب على المشايخ والعلما، والقضاة والأثمة أن يلازموا وظائفهم وعلى كل واحد من أهل البلدأن يبق فى مسكنه مطمئنا كذلك تكون الصلاة فى الجوامع على العادة وعلى المصريين جميعاً أن يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى لانقصا، دولة المماليك قائلين بصوت عال ، (لعن الله المماليك) ، وأصلح حال الأمة المصرية " ،

يحريرا في معسكر الاسكندرية في ٢ يوليه سنة ١٧٩٨ الموافق ١٨ محرم سنة ١٢١٣.

#### ملحق (ب)

### عد على والخلافة(١)

اتحف في سلاطين بنى عبّان لقب الخلافة فى القرن السادس عشر بعد الميلاد وأقرتهم أكثرية العالم الاسلامى على ذلك بسبب ما أحرزه الأتراك من الانتصارات الباهرة فى ميادين القتال شرقا وغربا وما فتحوه من الأقاليم الغنية الواسعة بما فى ذلك الأراضى المقدسة ، وما أحيوه من روح اسلامية حربية كانت قد ضعفت منذ انتهاء الحروب الصليبية ، ولكن ما جاء النصف، الأخير من القرن النا من عشر حتى بدأت الدولة تتدهور لاضطراب داخليتها من حهة ، وظهور جارات لها طامعات فى ملكها من جهة أخرى ، فا لبثت الدولة الحربية أن انهزمت فى مبادين القتال أمام أعدائها فضعف نفوذها الأدبى ولم تقو على كبح جماح الناثرين من رعاياها ، وما جاء عام ١٨٣٢ حتى فقدت معظم بلاد البلقان وكريد والجزاثر ومصر وسوريا و بلاد العرب ، فلا غرابة اذن أن يحفظ التاريخ فى سجلات سنة ١٨٣٢ مشروعات عربية تنبي والاد العرب ، فلا فاغانية وانتقال أمرها الى يد من هو أقوى سلطانا وأشد بطشا ، وهو و همد على " ،

والحقيقة أنه لو أراد عجد على قلب حكومة الخلافة اذ ذاك لما تعذر عليه ذلك • ألم يكن له من سعة السلطان والقوة ما يرشحه لمنصب الخلافة فضلا عن مواهبه ومحبة الشعب له ؟ ألم يكن هو الذى خلص المدن المقدسة من أيدى الوها بيين وفتح طريق الحج الى بيت الله حتى لهجت بذكره ألسنة المؤمنين فى أنحاء العالم الاسلامى ؟ أو لم يكن هو الحاكم المنصرف فى دولة عربية واسعة النطاق تمتد من كريد الى الخليج الفارسى ومن جبال الطوروس الى أعالى النيل الأبيض؟ ألم يكن صاحب الجيوش والأساطيل المنظمة الظافرة ؟ أو لم تقمع جيوشه ثورة الاغريق ثم واستولت على سوريا وهزمت جيوش السلطان فى أكثر من موقعة ؟ ثم زحفت كتأبه داخل الأناضول حتى وقفت عند و كوتاهية ، ومنها هددت القسطنطينية مقر الخلافة نفسها •

<sup>(</sup>١) هذه المقالة نشرها المؤلف في مجلة '' المقتطف ''عدد نوفمبر سنة ١٩٢٣

ولكننا على الرغم من كل هذا نحطئ كثيرا وتركب متن الشطط فى تصوير سياسة مجد على اذا عزونا اليه ارادة انتزاع الخلافة مرب العثانيين • فثل هــذا الأمل لم يدخل فى حدود منهجه السياسى العملى • لقد كان لمحمد على من النظر السياسى الصائب ما جعله يحافظ على علاقاته الرسمية بالدولة المثانية ضمانا لصيانة أملاكه الواسعة التى فتحها والتى لم تكن فى الحقيقة الاجزءا من الدولة العثمانية التى ما فتئت الدول تعلن لزوم حفظ كيانها واستقلالها • لقد انتفع عهد على أيما انتفاع من مركزه داخل الدولة اذ أخذ يواصل سياسة الفتح والاستمار لمصلحته الخاصة تحت ستار من الاخلاص والولاء للسلطان •

ان مجد على لم ينس قط منشأه وما هو مدين به للسلطان الذى منه استمد حقوقه وقوته . ولم يجهل قط مبلغ تمسك الأتراك بأسرة آل عثمان على عرش الخلافة اذ مهما يكن من شأن الأتراك فى منازعًاتهم وخلع سلاطينهم وتنصيبهم فن المحقق أنهم لم يحاولوا يوما تغيير الأسرة الحاكمة .

كل هذه الاعتبارات جعلت مجد على يضع حدا لمقاصده وتصمياته فلم يقذف بنفسه فى مشروع عالمى كالحلافة تحكمه التقاليد التاريخية قبل كلشى، ولم يكن نصيبه من الارث التاريخى حينذاك شيئا مذكورا . واننا اذا تتبعنا خطواته واسترشدنا بخطته التى سار على منهاجها تبين لنا أرب الغرض الذى كان يعمل له هو تثبيت أقدامه وأسرته من بعده فى حكم مصر وما يتبعها من الأراضى على أساس معاهدة دولية صريحة . وأنه كان كبير الأمل متى بلغ هذه الأمنية أن تجد الدولة العثمانية من قوته ونفوذه واستنارته خير نصير لها وللامم الشرقية الاسلامية بصفة عامة .

ان البحث الدقيق في كتب عن مجد على من مصادر أصلية لم يدانسا على أنه طمح يوما الى النشاء خلافة جديدة . ولقد أرادت الحكومة الانجليزية أن تستوثق مر نياته نحو الخلافة فطلبت الى معتمدها فى مصر الكولوئيل كامبل سنة ١٨٣٦ ـ ١٨٣٩ أن ينقب فى سجلات القنصليسة رجاء العثور على ما يثبت إدانة مجد على فبحث ولكن على غير جدوى وكتب ينفى الخبر ففيا باتا .

#### (سجلات وزارة الخارجية الانجليزية من''كامبل'' الى''بالمرستون'' أكتو برسنة ١٨٣٨ ''سرى'')

وكل ما فى الأمر أنه فى أثناء أزمة سنة ١٨٣٢ — ١٨٣٣ لما نشبت الحرب الشامية الأولى بين مجد على والسلطان محود الثانى تبادل الطرفان قرارات تدل على شدة التحامل والتسرع ولا يمكن أن يؤبه لها لأنها صدرت فى أحوال استثنائية مؤقتة . من ذلك أن السلطان أصدر قرارا بعزل مجد على وابنه ابراهيم وطردهما خارج القانون وهدر دمهما فأجاب مجد على على ذلك بأن أم شريف مكة باصدار فتوى دينية ضد الخليفة الأعظم على نسق ما كان يجرى فى أور با فى العصور الوسطى بين الملوك والبابوات . واقمد بدا لمحمد على حينذاك أن يظهر فى مصر بمظهر المستقل و بلغ به السخط على الباب العالى أن صرح لبعض عمثلى الدول أنه يود خلع السلطان واجلاس ابنه الصغير (ابن السلطان) على عرش الخلافة فيكون هو صاحب الوصاية والقوة المحركة للحليفة

القاصر · وهذا منهمى ما وصل اليه تطرف مجد على الفكرى أثناء الأزمة العصبية التي هزت عرش الخلافة هزا ·

ولوكان مجد على يطمع حقا فى الخلافة لانتهز فرصة انتصاراته الحاسمة ولأمرجيوشه بالزحف على القسطنطينية من غير تردد ، وما كان أصلحها فرصة له فان انجاترا وفرنسا كانتــا تساعدانه بلا شك ضد أية حركة عدائية من حانب الروسيا أو النمسا أوهما معا .

ولكن مجد على لم ينحوك ضد القسطنطينية بل أرسل أوامره الى انه ابراهيم بالوقوف عند "كوتاهية " حتى تجاب مطالبه التى قصرها على حكم سوريا واطنه عدا الأقاليم التى كانت فيده قمل الحرب • وان كل ما بدا من مجد على أثناء هذه الأزمة من الحذر وضبط المفس والاعتدال لبرها نا قو يا على سلامة نياته نحو الخلافة العنائية .

\*

وهناك عامل آخر لابد مر حسبامه عند البحث فى هذا الموضوع وهو رأى دول أور با فيا لو تمكن مجد على من انتزاع الخلافة من يد العثمانيين • وليس هسذا من العروض الناريخية التي لا يجوز البحث فيها • فليس ثمة شك أن هذه المسألة طرحت فعلا على بساط البحث والمناقشة بين الدول عقب أزمة سنة ١٨٣٣ ، وكان الرأى الذى اتفقت عليه الدول اذ ذاك أنه يجب المحافظة على كيان الدولة العثمانية وخاصة فى أور با ضمانا للسلام والصعاء بين الدول •

غير أنه كان لكل دولة تبع أهوائها ومراميها تفسير خاص لهذا المدأ . فالروسيا مثلاكانت تريد أن تبقى الدولة كما كانت ضعيفة تحت رحمة القيصر ورهن ارادته . وما كانت الروسيا لتمضد عنصرا ناهضا كمحمد على الا اذاكانت مجهوداته مسلطة ضد الدولة خارج بحر مرمره . فقد كتب الكونت " نسلود " رئيس حكومة روسيا في ذلك الوقت الى المنسدوب الروسي في القسطنطينية يقول : " يجب أن لا يصل مجد على الى القسطنطينية و يقلب نظام الحكم فيها . فقل هسذا العمل لا يتفق مع مصالح حكومة القيصر وأغراضها . فان مجد على اذا وطد ملكه في الاستانة كان منه حصن منبع وقوة لا يستهان بها أمام روسيا بدلا من حار ضعيف منهزم " .

أما فرنسا فكانت ســياستها ذات وجهين فبينا نراها منجذبة نحو مجد على عاملة على رفع شأنه اذ هى من جهة أخرى تؤكد للباب العالى صدق ولائها القـــديم وتصميمها على الوقوف فى وجه الروسيا ومنعها من تنفيذ أغراضها فى الدولة .

أما انجلترا فانها لم تكن تود أن ترى مجد على عقبة فى طريقيها الى الهند أعنى طريق السويس وطريق الفريس وطريق الفرات وليكنها اذا خيرت بينه وبين الروسيا فضلت مجد على فبعض الشرأهون مرب بعض وطذا السبب تضامنت مع فرنسا فى حمل السلطان على اجابة مطالب مجد على سنة ١٨٣٣

ولهـــذا السبب أيضا أدنى المرستون و زير خارجية انجلترا لسفيره فى القسطنطينية بتصريج مهم قال فيه أدا اضطررنا يوما أن نختار أحد أمرين : إما استيلاء عجد على على القسطنطينية أو جعلها تحت نفوذ روسيا فلا يكون فى وسعنا الا أن نختار الأمر الأول .

(سجلات وزارة الخارجية : من بالمرستون'' الى "بنسبني'' ٦ ديسمبر سنة ١٨٣٣) .

هذا تصريح نزل نزول الصاعقة على الروسيا والنمسا تصريح لم يف الوزير الانجليزى بمثله في جانب مجد على و بلغ من خوف مترنخ الوزير النمسوى أنه كتب على أثر ذلك يرجو بالمرستون أن يحفظ تصريحه فى طى الكمّان نحافة أن يصل الى علم الباشا فيشجعه على تجديد العداء للسلطان . وأداد الوزير الانجليزى أن يوضح الأمر جليا للروسيا فكتب الى سفيره ببطر سبورج يقول : "ولو أنه لايوافق الحكومة الروسية أن ترى مجد على على رأس الدولة العلية لأنها تخشى همته ونشاطه فان انجلترا ترى أنه خير لأور با ومصالحها أن يحكم الدولة حاكم قوى مستقل من أن يكون السلطان آلة في لد الروسيا تحركها كيف شاءت " .

( من بالمرستون ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٤ ) .

ولمــا نشبت الحرب الشامية النانية بين مجد على والسلطان سنة ١٨٣٩ صرح بالمرستون لسمير فرنسا فى انجلترا : ''بأنه كان يروم من صميم فؤاده أن يرى مجد على حتى فى منصب الخلافة لو أن له من الخصال وحوله من التقاليد ما يضمن بقاء الدولة وتمــاسكها فى المستقبل ''

(مذكرات جبزو الجزء الرابع) لم

هسذه خلاصة آراء الدولة العظمى بشأن محمد على والخسلافة ، وكابها تؤيد ما ذهبنا اليسه وهو فى حين أنه كان من المستطاع أن يقلب محمد على حكومة الخلافة العثمانيسة و يلقى فى سبيل ذلك تعضيد بعض الدول فانه كامير مسلم عثمانى صميم طأطأ رأسه أمام سرير الخلافة العظمى فلم يمسسها بسوء وظل الى النهاية يقدس مقام الخلافة و يعمل فقط على تثبيت حكمه وأسرته فى مصر وما يتبعها من الأقاليم حتى تحقق جل أمانيه بمعاهدة لندره سنة ، ١٨٤ وهى أساس استقلالنا اليوم أمام الدول .

# ملحق (ج) مشروع لجمعية الأمم في سنة ١٨٤٠ (١)

كانت دول أور با العظمى قد قررت سنة ١٨١٥ فى مدينة فيينا أن يجتمع مندوبون مرفق الها فى مؤتمر غايته الاتفاق على الطرق التي تكفل بقاء السلم العام فى أور با ، وقد عقد المؤتمر ولكنه لم يأت بالفرض المرجو منه لأن الدول اقتصرت على تطبيق المبدأ من جهة واحدة ، ذلك أنها اهتمت فى المؤتمر الأوربى الأول الذي عقد ته بشؤون غيرها من الأم وعفلت عن نفسها وأغلاطها قركتها من غيرقيد ولا شرط زاعمة أن الثورات الداخلية وحدها هى التي يخشى منها على بقاء السلم ونسيت أو تناست أن المطامع الفردية اذا تسلطت على احدى الدول العظمى كانت مدعاة الى نشوب الحرب لا محالة ،

وهناك أمرانساعدا على فشل المؤتمر الأوربي: (الأول) قيام انجلترا ضد دول أوربا المستبدة ناصرة للمالك الصعيرة وقائلة بعدم التصدى لها فى شؤونها الداخلية ، (الثانى) سعى كل من الدول العظمى فى أغراضها الخاصة بها من غير اكتراث لقانون الحقوق الشرعية ولا مراعاة لتخوم الممالك التى قررها مؤتمر فيينا سنة ه ١٨١ فقد حدث أن تعرضت روسيا لشؤون الدولة العثمانية بين سنة ١٨٢٨ — ١٨٣٣ وكادت تقضى على استقلا تركيا فى أوربا ، وتعرضت النمسا لشؤون ايطاليا وتعرضت فرنسا وانجلترا لشؤون هولندا حتى باتت الحرب فى كل حادثة من الحوادث المذكورة على قاب قوسين و باتت فكرة السلام الهام أملا مضيعا ونسيا منسيا

كان منجما، هـذه الحوادث وأمثالها أن علم سواس أوربا الذين كانوا يتوقون الى السلم أن الضان الحقيق للسلام العام انمها هو وضع حد لمطامعاً ية دولة من الدول العظمى نفسها تظهر ميلا الى التعدى وذلك با تعاق باقى زملائها عليها لافى مراقبة الدول الصغيرة وحماستها ، ولو وجد مؤتمر على هذه القاعدة لعمر طويلا فى أوربا .

وليس فى التاريخ ذكر لجمعية الأم هذه وانما توجد مستندات تاريخية تؤيد محاولة بعض الساسة تأليف جمعيسة للاثم فى أوربا سنة ١٨٤٠ فقد تولدت هذه الفكرة فى ثبينا والفضل فى ارازها يرجع الى رجلين : (الأول) "اللورد بوفيل" (السير فردر يك لام) سفير بريطانيا العظمى فى ثبينا ، (الثانى) البرنس مترنخ رئيس حكومة النمساوصاحب المبادئ الرجعية المعروفة . وكان ذلك فى أغسطس سنة ١٨٤٠ أيام أن عكرت المسألة المصرية صفو أور با وكادت فرنسا تشعل الحرب من أجل محمد على .

و يغلب على الظن أن الأوراق التاريخيــة التي محن بصـــدها لم يسبق نشرها فان المســـتر " أليسن فيلبس" لم يشر في كتابه الشهير " اتحاد أورو با " بكلمة ما الى هذه الخطوة الهـــامة

<sup>(</sup>١) نشرها المؤلف في مجلة ود المقتطف " في عدد أبريل سنة ١٩١٩

فى سبيل تكوين جمعيـة الأمم والأوراق المشار اليها تنبى، عن مشروع تكوين عصابة أوربيـة دفاعية من الأربع أو الخمس الدول العظمى التي أخذت على عاتقها اصلاح ذات البين بين الدول والوقوف أمام أية دولة سواءاً كانت من أعضاء الجمعيـة أم خارجة عنها تهدد السلم العام إما بالمظاهرات أو بالحرب الفعليـة ، ومقاومة الجمعية لحذه الدولة المعتدية إما أن تكون بواسطة الاحتحاج أو باستعال القوة لوقضت الضرورة بذلك ،

وتمتاز هذه الجمعية عن الجمعيات التي ألفت قبلها لتأييد السلم العام بثلاث نقط: (أوله) وأهمهاأن المشروع يقضى صراحة بوجوب العمل ضد أية دولة من الدول العظمى تسعى فى تهديد السلم العام ، (ثانيا) أن المشروع لا يقضى بتكوين جمعية دائمة لمندوبي الدول ، انما يجتمع النواب بناء على دعوة ترسلها إحدى الدول أو فى حالة ما اذا أصبح السلم فى أوربا مهددا فى نظر الجميع ، (ثالث) أن الدول فى هذه المرة كانت مدفوعة بعامل الاخلاص لأجل المحافظة على السلم العام لا سعيا وراء مصلحة الملوك بل وراء مصلحة الشعوب أيضا ودوام سعادتها .

و يلاحظ أن عدد الممالك التي تتألف منها الجمعيسة لم يحدد في المشر وع وذلك لعسدم وثوق الدول با مكان انضهام فرنسا اليهن . على أن المادة السادسسة من المشر وع تقضى بقبول أية دولة أو ربية في الجمية بشرط أن تحفظ الدول العظمى لنفسها حق دعوة من تريدان تشركها من المكومات في جاساتها . كذلك يلاحظ مطابقسة روح المشروع لأفكار أكر القائلين بتاً بيسد السلام العام . فقد قال المسيو "فو بل" صاحب الجائزة المعروفة : "اذا عاهدت الدول نفسها بأن تتحذ ضد أول معتد من الأمم استحال وقوع الحرب وتعذر على أشد الحكومات عنادا سلوك بأى طريق سوى السكون أو التحكم ". وذكر السير فردر يك بلوك : "أن المنازعات على التفوق في العالم لا يفصل فيها بالبراهين والحجج المنطقية ، وليس هناك الا علاج واحد مقيسد وهو وجود عصبة تعمل على تنفيذ مبدأ السلام العام ".

وهاك نص المشروع الذي وضعه سفير بريطانيا في ڤييا بالاتفاق مع البرنس مترنخ وهو(١) :

#### المادة الأولى

تتعهد الدول الأربع · · · كل على حدة و بالتضامن بأن لا تعمد الى استعمال القوة ضد أى حكومة أوربية من غير أخذ رأى الدول الأخرى الموقعة على هذه المعاهدة أولا حتى يمكن أن تنظر الدول فى رفع ظلامتها وانصافها بالطرق السلمية ·

ملاحظة — وافق البرنس مترنخ على هذه المادة معتبرا أنها أساس المشروع كله .

<sup>(</sup>۱) من سجلات وزارة الخارجية (النمسا)، شؤون خارجية : من اللورد''بوفيل''الى اللورد'' ''بالمرستون'' وزير خارجية انجلترا في ۲۹ أغسطس سنة ۱۸۳۰ '' سرى '' .

#### المادة الثانية

اذا قدم طلب مثل هذا تتعهد الدول بالاجتماع في المدينة التي تعينها الدولة التي طلبت الاجتماع للاتفاق معا على الطرق التي تكفل منع الحروب ومتى درست الدول حقائق الموضوع تسرع الى ازالة بواعث الحرب باستخدام نعوذها الأدبى لحماية الدول المهددة أو لتعين التعويضات اللازمة حسب ظروف القضية .

ملاحظة — هنا اقترح البرنس مترنخ أن تعين المدينة التي يجتمع فيها ، فكان جواب اللورد بوفيل أنه قد تمضى سسنة فى مفاوضات عديمة الجدوى بشأن ذلك وأن اللازم أن تعين المكان الدولة الطالبة للاجتماع فهى أعرف بالمكان الذى يوافقها ، وأحيرا اقترح البرنس مترنخ أن يكون الاجتماع فى عاصمة الحكومة التي طابته ، ومع ذلك فيترك المؤتمر حرية الانتقال الى المكان الذى يعتره أكثر موافقة ،

#### المادة الثالثة

اذا أصرت دولة مهاجمة على العدوان بالرغم من مساعى الدول الأخرى وفضلت استعمال القوة فللدول حيثئذ فى هـذه الحالة فقط دون عيرها أن تأخذ الندا بير اللازمة للدفاع المشـــترك وفى هذه الحالة يعتبر الهجوم ضد أى دولة كأنه هجوم ضد الجميع .

ملاحظة — وافق البرنس مترنح على هذه المادة -

#### المادة الرابعة

لكى لا يكون هناك أدنى ريب فى نيات الدول الحقيقية ازاء مشروع السلام العام تعلن الدول أنه إذا هددت السلام إحدى الدول الموقعة على هذا فان الدول الأخرى تقوم بما فرض عليها كما هو مبين فى المواد السابقة وتعمل كما لو كانت هذه الدولة لاعلاقة لها بالدول الأخرى ولا بهذه المعاهدة .

ملاحظة - وافق البرنس مترنخ على هذه المادة .

#### المادة الخامسة

اذا لم يقدم للدول أى طلب ولكن اشتهر لدى الجميع أنالسلام العام فى خطر فالدول الموقعــة على هذا تحفظ لنفسها حق الاجتماع فى عاصمة أى حكومة من بينها لاتخاذ التدابير والطرق اللازمة للحافظة على السلام العام .

ملاحظة - وافق البرنس مترنح على هذه المادة .

#### المادة السادسة

لما كانت رغبة الدول العظمى الأربع • • • أن تتمتع أور با بمثل هذه الضمانات التي أخذتها المدول على نفسها فقد اتفقت الدول على ارسال هذه المعاهدة الى الحكومات الأخرى داعية اياها . الى الانضام اليها بشرط أن يبق حق المذاكرة والفصل حسب نص هذه المعاهدة في أيدى الدول الواضعة للعاهدة .

ملاحظة — صادق البرنس على هذه المادة واكمنه ذكر أنه يفضل الاشارة الى معاهدة "اكس لاشابل" التى تقضى بأن يشترك فى المذاكرة الحكومات صاحبات المصالح فى المسألة المعروضة ، ولكن من رأى اللورد بوفيل أن الأوفق عدم الساح بذلك لأنه لابد أن يكون هناك دولة من الدول العظمى لها مصالح فى كل مسألة معروضة فهل يسمح لها بأن تكون حكما فى قضية تخصها ، هذه مسألة معضلة ، وهناك معضلة أخرى وهى كيف يوفق بين فكرة دعوة حكومات أور با للانضام الى هسنده المعاهدة وفى الوقت نفسه لا يسمح لها بالاشتراك فيا يقرره المؤتمر بشأن مصالحها الخاصة ، ومع ذلك فالمشروع يكون عديم الفائدة من عير اعطاء هذا الحقى للحكومات ،

\* \*

لم يقبل اللورد بالمرستون وزير خارجية انجلترا وقتئذ المداولة بشأن هذا المشروع لأن الأزمة السياسية التى هددت السلم العام فى أور با كانت قد زالت بسقوط حكومة تبير فى فرنسا فىأكتو بر سنة ١٨٤٠

Professional Communication of the Communication of

· 1

1

# ملحق (د) أهم مصادر الكتاب

#### مصادر أصلية

- سجالات وزارة الخارجية بلندره
- ٢ مكتبة المتحف البريطاني (المخطوطات) .
  - ٣ ـــ الأوراق البرلمانية •
- عجائب الآثار : في أربعة أجزاء تأليف الشيخ عبد الرحمن الجبرتي .
- — سور یا رمصر : تألیف حنا بارکر معتمد انجانرا فی مصر سنة ۱۸۲۹ ۱۸۳۲ ( انجایری ) •
  - ٣ نطرة عامة في أحوال مصر : في جزئين لكلوت بك (فرنسي) .
    - ٧ -- تاريح محمد على : تأليف مورييه فى أربعة أجزاء (فرنسى) .
  - ۸ حصر ومحمد على : تألیف "سنت جونه" فی جزئین ( انجلیزی ) .
    - ٩ مذكرات نابليون: تأليف "الكونت لاكاس" (فرنسي) .
- ١ مصرفي سنة ١٨٣٧ و ١٨٣٨ : تأليف'' توماس واجهورن'' ( انجليزي ) ٠
  - ۱۱ مذكرات جيزو : تأليف "حيزو" وزير مرنسا (فرنسي) .
    - ۱۲ تاریخ حیاة مترنخ: بنفسه ( انجلیزی ) •
  - ١٣ الحرب في الشام : تأليف "شارلس نابيير" في جرئين ( انجليزي ) .
- إلى المرستون: تأليف "هنرى بلور" في ثلاثة أجزاء ( انجليزى ) .
  - ( انجليزى ) مجموعة هانسارد: للخطابات البرلمانية ( انجليزى )
  - ۱۲ مذكرات جرفل: تأليف "هنرى جرفل" ( انجليزى ) •
  - ١٧ خطابات الملكة فكتوريا: سنة ١٨٣٧ ١٨٦١ ( انجليزى ) .
    - ١٨ الثورة الفرنسية: تأليف " تبير " (فرنسي ) .
    - 1 س نابليوں بونابرت في مصر: تأليف ''لا كروا'' (فرسي) •

#### مصادر ثانوية

- ۲۰ اریج أور با السیاسی: تألیف "دییدور" جزئین (فرنسی) .
  - ٢١ ــ المسأَّلة الشرقية: تأليف "دريولت" (فرنسي) .
    - ٢٢ مسألة مصر: تأليف "ده فرسنيه" (فرنسي) .

```
۲۲ — البسفور والدردنیل: تألیف ''غریانوف'' (فرنسی) .
۲۵ — حقائق الأخبار عن دول البحار: تألیف ''اسماعیل باشا سرهنگ'' .
۲۵ — الکافی: تألیف ''شارو بیم بک'' .
۲۷ — تاریخ مصر الحدیث: تألیف ''السیر ولیم میور'' .
۲۷ — المالیک: تألیف ''السیر ولیم میور'' .
۲۸ — تاریخ آور با منذ سنة ه ۱۸۱: تألیف ''هازن' (انجلیزی) .
۲۹ — انجلترا وأسرة الأورلیان: تألیف ''هول'' (انجلترا) .
۲۰ — التاریخ العام: تألیف ''تامیرل'' (انجلیزی) .
۲۳ — مذکرات عن محمد علی: تألیف ''تالیف ''السیر شاولس مری'' (انجلیزی) .
۲۳ — بحموعه القوانین: تألیف ''جلاد'' (فرنسی) .
۲۳ — تاریخ حیاة اللورد کلارندون: تألیف ''السیر هربارت مکسو یل'' (انجلیزی) .
۲۳ — توریخ محمد علی: تألیف ''جلاد'' (فرنسی) .
۲۳ — تقدم دول أور با: تألیف '' آئیس فیلبس'' .
```

ملاحظة — هذه أهم ما نذكره من مراجع الكتاب الأصلية وقد ظهر أخيراكتب قيمة واللغات العربية والانجليزية والفرنسية في هذا الموصوع .

۳۸ — مصرَّمن سنة ۱۷۹۸ — ۱۹۰۰ : تألیف ''اویس برهیبه'' (فرنسی) · ۲۰۰۰ — انجلترا والحملة الفرنسیة علی مصر : فی مجلدین تألیف '' شارل رو'' ·

# ملحق (ه) أسماء أهم الأعلام الأوربية الواردة فى الكتاب

# الفرنسيون

بليار أحد قواد الحملة الفرنسية بمصر .	يار Belliard يا
مندوب فرنسى بالقاهرة سنة ١٨٣٢	الكت Bois-le-Comte
قائد أسطول الحملة الفرنسية .	Brueys 9.
دكتور فى خدمة مجد على ومنشى مدرسة الطب	کلوت بك كلوت بك
معتمد فرنسا بالقاهرة .	كشله Cochlet
من منشئ الأسطول المصرى في عهد مجد على •	رينى Cerisy
أحد قواد الحملة •	يزيه يزيه
سفير فرنســـا بلندره مارس سنة ١٨٤٠ ثم وزير	يزد Guizot
حارجية فرنسا أكتو برسنة ١٨٤٠	
القائد العام للحملة بعد عودة نا بليون •	کلیر رای Kléber الاستان
قائد أسطول البحر الأبيض المتوسط سنة ١٨٣٩	لند Lalande يا
فيلسوف ألمــانى •	بنتر Leibnitz
ملك فرنسا سنة ١٨٣٠١٨٤٨	رى فيليب Louis Philippe
ممثل الحكومة الفرنسية باسكندرية قبل الحملة ،	بالون Magallon
قائد الحملة الفرنسية بالمورة سنة ١٨٢٧	يزون Maison
القائد العام للحملة بعد قتل كليبر .	ينو ينو
رئيس البعثة الفرنسية العلمية •	سنح Monge
أمير البحر في واقعة نوارين .	Rigny
سفير فرنسا بالقسطنطينية .	وسين Roussin
سفير فرنسا بلندره لغاية فبراير سنة ٤٠ ١ ٨	سبستيانى Sebastiani

سيڤ (سليان باشا) Sèves منشى ً الجيش المصرى في عهد محمد على •
سولت Soult Soult مثيس و زراء فرنسا لعاية فبراير سنة ١٨٤٠
تاليرند Talleyrand أحد أعضاء حكومة الادارة بعرنسا •
تبیر Thiers دئیس الوزارة من مبرایرسنة ۱۸٤۰ الی أ کتو بر
سنة ۸ ۶ ۰
قارن Varennes قارن
البريطانيون
بوقیل Beauvale سمیر پشیینا .
بورنج Bowring عضو فى البراسان ومندوب لمصر سنة ١٧٣٧
بلور Bulwer سكرتير السفارة بالقسطنطينية ثم في باريس · ·
كاننج Canning وزير الخارجية ورئيس الوزارة سنة ١٨٢٧
كاسبل Campbell معتمد بالقاهرة .
كدرنجتن Codrington أمير البحر في موقعة نوارين
فانشو ' Fanshaw مندوب ليفاوض محمد على سنة ١٨٤٠
فريزر Fraser قائد الحملة الانجليزية على مصر سنة ١٨٠٧
جمانقيل أ Granville سفير بباريس
هولند Holland أحد أعضاء الوزارة .
هدجس Hodges معتمد انجلترا بالقاهرة بعد كامبيل .
كيث Keith قائد أسطول البحر الأبيض المتوسط سنة ١٨٠١
مندفيل Mandeville ممتمد بالقسطنطينية.
ملبورن Melbourne رئيس الوزارة -
نابيير Napier ا
بالمرستون Palmerston وزير الخارجية .
بنسنبي Ponsonby سفير بالقسطنطينية من سنة ١٨٣٣

القائد العام لحمله الحلفاء سنة ٤٠٠٠	اسبهورد Stopford				
قائد بحری أمام عکا سنة ١٨٩٩	سدنی سمت Sidney Smith				
مندوب شركة الهند الشرقية الانجليزية •	واجهورن Waghorn				
ضا بط بالأسطول العثاني •	اکر کا				
موظف بريطانى .	ورد wood				
. الروسيون					
سفير بالقسطنطينية	يوتنف Boutenieff				
مفوض بلندره سنة ٠ ١ ٨ ٤	برونوف Brunnow				
القائد في الحرب الروسية الركية سنة ١٨٢٩	ديبتش Diebitch				
أمير البحر في واقعة نوارين •	هيدن Heyden				
ممثل الحكومة بالقاهرة .	مدم Medem				
مندوب خاص لتركيا ومصر سنة ١٨٣٢	مورانیف Muravieff				
رئيس الحكومة .	نسارود Nesselrode				
مفوض بالقسطنطينية سنة ١٩٣٣	ارلو <b>ن</b> الروف				
النمسويون					
ممثل الحكومة النمسوية بمصر •	لورين لورين				
مقوض بلندره سنة ٢٨٤٠	يومن Nieumann				
رئيس الحكومة .	مَرْنج Metternich				
مندوب بمصرسنة ١٨٣٣	پرکش برکش				
سفير بالقسطنطينية •	استورم Stürmer				
البروسيون					
مفوض بلىدرة سنة ١٨٤٠	بيلوف يلوف				
سفير بالقسطنطينية	كونجزمرك Kænigsmark				
قائد بالجيش العثماني .	Moltke				

# اليونانيون

كابودسترياس Capo distrias وزيرخارجية فيصر الروسيا ورئيس حكومة اليونان سنة ١٨٣٠

هتريا فليكي Hetairia Philike جمعية الاخوان الاغريقية م

ابسلنی ... ... Ipsilanti ... ... Maurocordatos ما فروکردا توس Colcotronis کا کمترونس ... Colcotronis

كاريس ... ... Canaris ... ... كاريس ميوليس ... ... Miaoulis ... ...

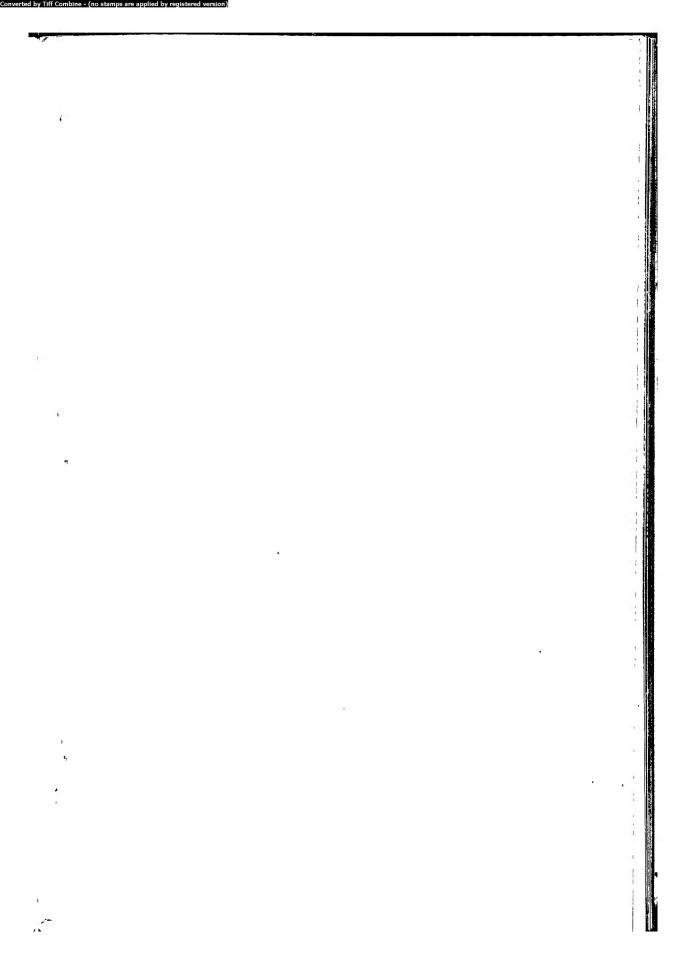
الكلفت ... ... Klephtes ... ... الحلين

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق فى يوم ١٥ مر رجب سنة ١٣٥٣ ( ٢٤ من أكتو بر سنة ١٩٣٤) ما مدير المطبعة الأميرية همين فيهمجرت

Bladorhicon My Sundan Mill & Judia

nome - (no stamps are applied by registered v	esiony		
		Ţ	
•			
-			
	11,		
	•		
			1
	٠,		

Converted by Tiff Co



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

4

#

.

.

